

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية الآداب

خصائص المعبد العمارية

من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي القديم

رسالة تقدَّم بها

علي سالم عبد اللّه الخطابي

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

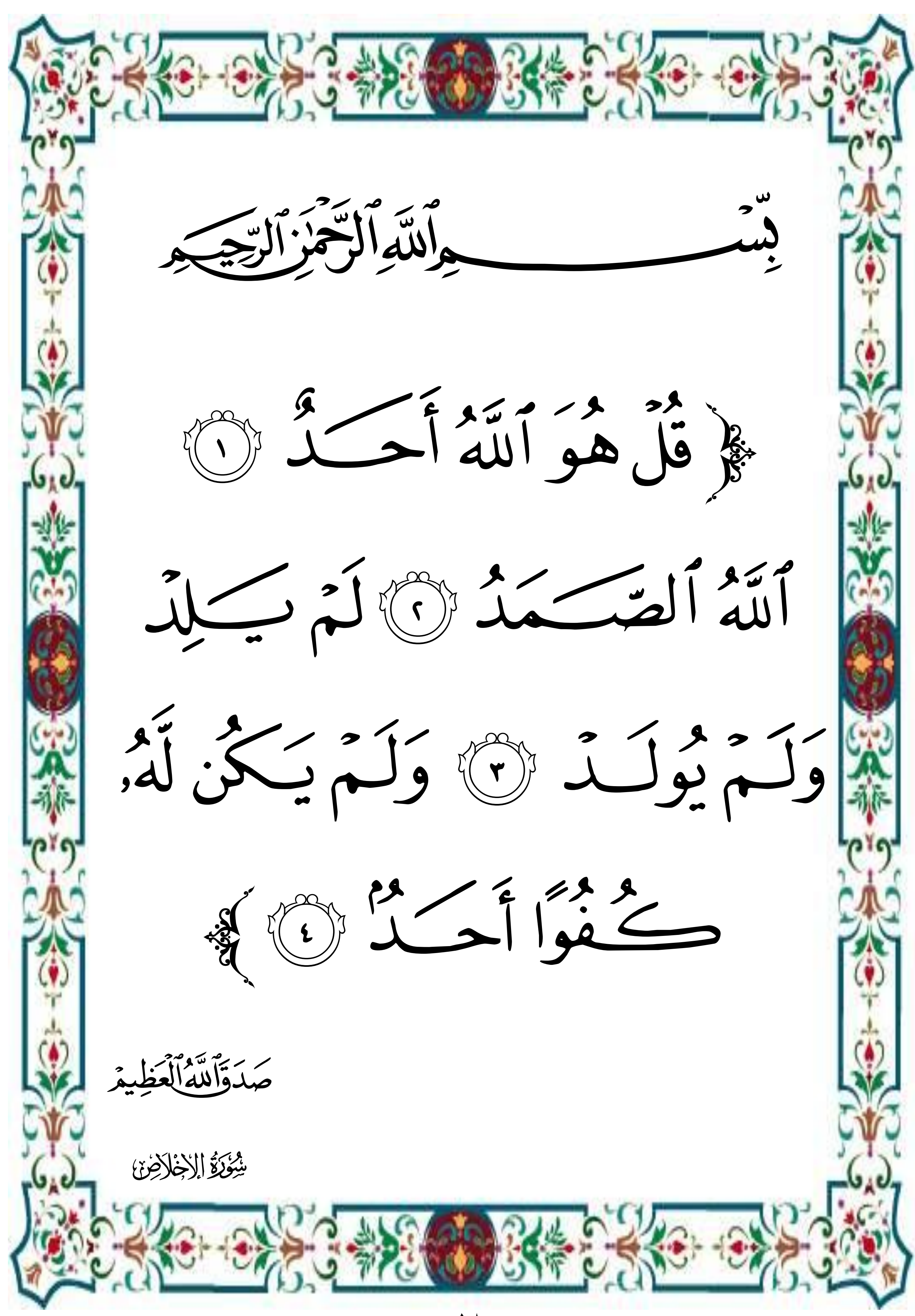
في الآثار القديمة

بإشراف

الأستاذ الدكتور

جابر خليل إبراهيم

١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ

وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ

كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ

سُورَةُ الإخلاص

المقدمــــة

تعد أبنية المعابد من أهم الأشكال العمارية السائدة في عمارة العراق القـديم، إذ كـان المجتمع آنذاك شديد التأثر بالقيم والمعتقدات الدينية، وأولى معابده عناية كبيرة بوصفها بيوت الآلهة على الأرض، لذلك احتلت أبنية المعابد النسبة الأكبر من نماذج الأبنية العامة المكتشـفة خلال التنقيبات الأثرية، فبحكم الوازع الديني أنتشر العديد منها في مدن العراق القديمة جميعها حتى بلغ عددها المئات، وعَكست الكتابات القديمة اهتمام الملوك والحكام بعمارتها، لنيل رضا الآلهة. لذلك فإن العمارة الدينية أتسمت بخصائص تخطيطية وعماريـة ميزتهـا عـن بـاقي أصناف المباني الأخرى، وان هذه الخصائص بكل سماتها لم تأتِ من فراغ بل هـي ترجمـة لفلسفة روحية وجدت حيزها المادي ضمن إطار البناء الديني، وتُعد التطبيق الفعلي لما عجـز الفن والنص عن تجسيده فكرياً في إطار مادي، فجاءت المعابد متفـردة بتلـك الخصـائص المميزة.

أتاحت التنقيبات الأثرية التي أُجريت في أبنية المعابـد والزقـورات أعتمـاداً علـى مخططاتها ومتابعة الأنظمة العمارية المتبعة في إنشائها وتقويتها تحديد عدد من الخصـائص المميزة لها والتي أكتسب وجودها صفة الثبات، وغدت من السمات المميزة لعمـارة المعابـد العراقية القديمة، وساعد وجود هذه الخصائص المنقبين والباحثين كثيراً في الاسـتدلال علـى طبيعة البناء وتمييز بناية المعبد من بين الأبنية المحيطة به، من جانب وتتبع مراحل تطـوره من جانب آخر. ومن أبرز هذه السمات الجناح المقدس موضع مقام الإله والـدكاك المقدسـة وأنظمة الدخول إلى المعبد وتوجيه أركانه نحو الجهات الأربع الرئيسة وإنشاء المعبـد فـوق مصطبة اصطناعية واحتوائه على فناء داخلي، فضلاً عن جملة من التزيينات العمارية والفنية ذوات الطابع المميز والتي كان من أبرزها الطلعات والدخلات.

وقد أسهمت هذه السمات في وضع أسس وقواعد تطور عمارة المعابد فـي العـراق القديم لذلك فقد اعتمد البحث على دراسة العناصر الأساسية المكونة لتخطيط وعمارة المعابـد ومقارنتها مع بعضها، ومحاولة تأصيلها وبيان دور المعبد فـي وجودهـا وتطورهـا، إذ أن الدراسة المقارنة للخصائص العمارية المتعاصرة زمنياً ومتابعة تطورها، يؤدي إلـى تكـوين

تصور شامل ودقيق عن طبيعة نشوء هذه الخصائص وأثرها على أبنية المعابد وبالمقابل تأثير قدسية المعبد في ظهور بعض هذه الخصائص وتطورها.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها غطت فترة زمنية مهمة امتدت من بداية عصر فجر السلالات في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد(حدود٢٩٠٠ق.م) وحتى نهاية العصر البابلي القديم أي في اواسط الألف الثاني قبل الميلاد(حدود١٥٩٥ق.م) وتميزت هذه الفترة بتغيرات سياسية كبيرة، إذ قامت كياناتٌ ودولٌ وأنظمة سياسية دامت سيادتها لمدة طويلة وبرز فيها الاتجاه نحو توحيد البلاد وتعاظم دور السلطة الدينية في قيادة المجتمع وانتقالها لاحقاً إلى السلطة المدنية. وفي الجانب الحضاري امتازت هذه الفترة بازدهار كبير شمل جوانب الحياة جميعها، إذ تطورت فيها الكتابة وسُنت القوانين وأزدهرت شتى أصناف الفنون والعلوم وشهدت فيها مدن العراق القديم نشاطاً عمرانياً كبيراً. وكان نتيجة التطورات في هذه الفترة الزمنية أن مرت الحضارة العراقية بأربعة من أهم عصورها وهي عصر فجر السلالات والعصر الاكدي وعصر سلالة أور الثالثة والعصر البابلي والأشوري القديمين.

وتركت تلك العوامل كلها الأثر الواضح في عمارة المعابد والزقورات وخصائصهما التنظيمية والتخطيطية والعمارية، إذ تطورت خلالها العمارة الدينية تطوراً كبيراً وتنوعت الطرز والأساليب المتبعة في تخطيطها وعمارتها، أعقبها شيء من الاستقرار النسبي مع نهاية العصر البابلي القديم. وبالإمكان التحقق من أهمية هذه الفترة بالنسبة لموضوعنا من خلال معرفة إن عدد أبنية المعابد التي يتناولها البحث تصل إلى ستين بناية تم اكتشافها خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في العديد من المدن العراقية القديمة وهذا العدد كاف ليمُدنا بصورة واضحة عن طبيعة هذه المباني ويمكننا من دراسة خصائصها وتطورها.

إقتضت مادة البحث أن تُقسم الدراسة إلى خمسة فصول مسبوقة بتمهيد. استعرضنا في التمهيد نشأة المعتقدات الدينية في العراق القديم وأبرز سماتها وآلهتها وأثرها في المجتمع ودورها في ظهور أولى أشكال العمائر الدينية.

أما فصول الدراسة فقد اشتمل الأول منها على مبحثين تناول المبحث الأول: محورين عني المحور الأول منها بدراسة أنماط المعابد وتحديد خصائص كل واحدٍ منها والأسس التي أعتمدها الباحثون في تقسيمها، أما الجزء الثاني من هذا المبحث فقد تطرق إلى سلسلة التطور التخطيطي والتنظيمي لأبنية المعابد في العراق القديم منذ نشأتها من خلال مقارنتها مع بعضها

في أدوارها البنائية في الموقع ومع ما يعاصرها في مواقع أخرى، وبيان أهم التغيرات التي طرأت عليها في كل عصر. أما المبحث الثاني: فقد تم تقديم وصف لبعض مخططات المعابد القياسية والفريدة التصميم المتبعة في عمارة المعابد العراقية القديمة، والتي سارت على منوالها بقية مخططات المعابد وفق العصر الذي تنتمي إليه.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه الجناح المقدس أهم أجزاء المعبد من ناحية الوظيفة الدينية والتخطيطية والعمارية، ويتألف هذا الفصل من ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول: منها الحجرة المقدسة التي تُعد أهم جزء في هذا الجناح بشكل خاص وفي المعبد بشكل عام، إذ كان يوضع تمثال الإله في أحد أضلاعها وعلى دكة خاصة به تقام أمامها الطقوس الدينية كما كانت القرابين تقدم إليه على دكة معدة لهذا الشأن توضع غالباً أمام الدكة الأولى وهذه الدكاك كانت موضوع المبحث الثاني. أما المبحث الثالث: فيتطرق لحجرة المابين وهي العنصر العماري الثاني الذي يتألف منه الجناح المقدس والتي تُعد الجزء الممهد للوصول إلى الحجرة المقدسة.

ويقع الفصل الثالث، نظام الدخول، في مبحثين عُنيَ المبحث الأول فيه بالمداخل من حيث أهميتها في المعابد وموضعها فيها وطبيعة نظام الدخول المتبع في تخطيطها وأثره على التخطيط العام للمعبد كما أشتمل المبحث على وصف لأجزاء المدخل العمارية الرئيسة والتكميلية أما المبحث الثاني: فتناول حجرة المدخل كجزء متمم لنظام الدخول في أبنية المعابد العراقية القديمة.

وخُصص الفصل الرابع لبيان أهم العناصر التخطيطة والعمارية التي نشأت وتطورت في أبنية المعابد، وأشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث، تطرق المبحث الأول: لعرض سمة أساسية اشتركت فيها معظم أبنية المعابد وتُعد من التقاليد الثابتة فيها وهي توجيه أركان المعبد نحو الجهات الأربع الرئيسة وتوضيح الأسلوب المتبع في تحقيق ذلك التوجيه ودور نظام التشريق فيها، أما المبحث الثاني: فقد عُنيَ بإيضاح أهمية المصاطب في عمارة المعابد والأساليب المتبعة في إنشائها ودورها في ظهور الزقورات. في حين تناول المبحث الثالث: الفِناء الداخلي كأحد العناصر الأساسية المميزة لعمارة المعابد العراقية القديمة وبيان أهميته الوظيفية في البناء والعوامل التي تتحكم في فعاليته كالموضع والتخطيط والمساحة.

أما الفصل الخامس (الأخير) فقد تضمن مبحثان تطرق المبحث الأول: لطبيعة العناصر المستخدمة في تزيين أبينة المعابد للوصول إلى أعلى مستويات الجمال في الشكل العماري عبر توظيف العناصر العمارية والفنية جميعها لتحقيق ذلك الغرض، وفي المبحث الثاني: تم عرض نماذج منتخبة من واجهات المعابد العائدة لفترة البحث مع تأصيل لبدايات الاهتمام بالشكل الخارجي للمعابد وعرضُ لسمات تنظيمها المميزة في كل عصر.

أما خاتمة البحث فقد جاءت باستعراض لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسة الخصائص العمارية لمعابد العراق القديم.

ولا يفوتني أن اذكر احتواء الرسالة على العديد من المخططات والأشكال فضلاً عن الجداول التي تشكل أهمية توضيحية للقارئ، وقد وضعت في آخر الرسالة لتيسير عملية الرجوع إليها بسبب تكرار الإشارة لكل منها أكثر من مرة على صفحات الرسالة.

وقد نهلت هذه الدراسة مادتها من المصادر الأجنبية والعربية والتي ساهمت في إثرائها بمعلومات غزيرة محاولين الإفادة منها لغرض ترصين الدراسة ولعل من أهم هذه المصادر وأكثرها استخداماً هي المصادر التي تهتم بنتائج التنقيبات الأثرية في المواقع العراقية القديمة ومنها: سلسلة التنقيبات الألمانية في مدينة الوركاء والمعروفة بـ(UVB) كما أعتمدنا على بعض أجزاء سلسلة منشورات المعهد الشرقي في شيكاغو المعروفة بـ(OIP) وكذلك على الأجزاء الخاصة بنتائج التنقيبات الأمريكية في مواقع ديالى من سلسلة (OIC) الصادرة عن المعهد الشرقي بشيكاغو، واستعنا أيضاً بسلسلة التنقيبات الأثرية في مدينة أور للمنقب (ليونارد وولي Leonard Woolley) والمعروفة بـ(UE) كما تم الاعتماد على ما نُشر في المجلات العلمية المختصة من نتائج التنقيبات مثل مجلة (IRAQ) ومجلة (سومر)، وفضلاً عما سبق العديد من الدراسات والبحوث والدوريات المختلفة والتي تمثل نتاجاً علمياً لجهود عدد كبير من الباحثين والمختصين في التنقيب والعمارة القديمة وقد أشرنا إلى عناوينها بالتفصيل في قائمة المصادر.

وأخيراً يسعدني وأنا أنتهي من إعداد بحثي أن أنسب الفضل إلى أهله وان أتقدم بالشكر لهم، فلا يسعني إلا أن أُقدم وافر شكري وخالص امتناني إلى مشرفي الأستاذ الدكتور جابر خليل إبراهيم، إذ أن فضله عليَّ تعجز الكلمات أن تعبر عنه أو توفيه إذ كان لتوجيهاته السديدة وملاحظاته الدائمة وتصويباته الغزيرة أكبر الأثر في إتمام هذا البحث وإخراجه على هذا النحو – فجزاه الله عن العلم وعن طلابه خير الجزاء-.

كما أُقدم شكري وعرفاني إلى أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم في مرحلتي البكالوريوس والماجستير وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور عامر سليمان والدكتور حسين ظاهر حمود والدكتورة أحلام سعد الله.

ولا بد لي وأنا في هذا المقام أن اذكر كلمة شكر وعرفان بالجميل والفضل للست ياسمين عبد الكريم والأستاذة الدكتورة زينب بحراني أستاذة تاريخ الفن وعلم الآثار في جامعة كولومبيا، لِما أبدياه من عون ومساعدة أثناء فترة إعدادِ البحث ولم يبخلوا عليَّ بما توافر لديهم من معلومات ومصادر.

كذلك أقدم جزيل شكري وامتناني إلى الدكتورة زهراء خالد العبيدي التي تفضلت مشكورة بتقويم البحث لغوياً ومتابعتها لأدق التفاصيل الخاصة باللغة العربية فيه. كما أشكر أخوتي وزملاء دراستي العليا على ما قدموه من مساعدة أثناء إعداد البحث وهم السادة إبراهيم وحسن ومنير. وأعبر عن الثناء العميق لإدارة وموظفي المكتبة المركزية بجامعة الموصل وأخص منهم موظفات مكتبة اشوربانيبال لتعاونهم معي في إتمام متطلبات الرسالة. ويقتضي واجب الوفاء أن أقدم أعمق شكري ومحبتي إلى من هم سندي في الحياة أهلي لدعمهم المتواصل لي .

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة ودقيقة عن الخصائص العمارية في المعابد العراقية القديمة، وان أكون قد حققت الفائدة المرجوة من البحث، ومن الله التوفيق.

التمهيد

مدخل إلى المعتقدات الدينية في العراق القديم

جاءت مقومات البناء الديني من ترجمة الفلسفة الفكرية التي وجدت صداها المادي في إطار البناء المقدس. وقد عكست مزاياه جوانب عدة من الفكر الديني وتبلوره المؤثر في تلك الخصائص، إذ يمكن ملاحظتها من خلال مقارنة نماذج المعابد وسماتها عبر العصور. ويتطلب استيعاب ظهور تلك الخصائص العمارية والبنائية وتطورهما معرفة عوامل نشوء العقيدة الدينية وأهم سماتها وأبرز ألهِتها.

نشأة المعتقدات الدينية

إن مبدأ التطور الذي يتحكم في النتاجات البشرية جميعها سواء أكانت تلك النتاجات مادية أم فكرية، ينطبق على المعتقدات الدينية لفترة العصور التاريخية والتي لابد وان تكون متشعبة عن المعتقدات التي سادت خلال الفترة الممتدة من الألف الثامن وحتى بداية العصور التاريخية في الألف الثالث قبل الميلاد[١] وإن معلوماتنا عن نشأة المعتقدات الدينية عند الإنسان تعتمد بالدرجة الأولى على بعض الآثار المادية الصماء وعلى التخمين والحدس واعتقد بعض الباحثون ان أولى المعتقدات الإنسان الدينية إنما قامت على مبدأ الشرك أي تعدد الآلهة والذي استمر لعشرات القرون، واغفلوا فكرة التوحيد وتاريخ وجودها والتي ظهرت لأجلها العديد من الدعوات التوحيدية في مصر وبلاد الشام في أواسط الإلف الثاني قبل الميلاد والتي تهدف إلى إرجاع البشر لعبادة اله واحد[٢].

إذ أستنتج الباحثون من خلال الآثار المادية التي خلفتها تلك المجتمعات الزراعية المعتمدة بصورة رئيسة على الأمطار خصوصاً في المناطق الشمالية، بأن سكان هذه القرى قد عبدوا الخصوبة وكل شيء يساعد على وفرة الإنتاج في الحياة، وقد رمزوا لهذه العبادة بدمى الأمهات[٣]. إذ أن خصوبة الأرض وكمية الأمطار الكافية لنمو الزرع، وتوفير الغذاء هي السبب الرئيس الذي دعاهم إلى عبادة الخصوبة كونها العامل المهم والأساس الذي يتحكم في حياتهم، وأن انتشار هذه الحضارات منذ بداية الألف السادس قبل الميلاد في المناطق الواقعة

---

[١] رشيد، فوزي، "الديانة" في: حضارة العراق، جزء ١، بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٥.

[٢] للمزيد من التفصيل حول عقيدة التوحيد وتاريخ ظهورها يراجع: سليمان، عامر، المدرسة العراقية في دراسة تاريخنا القديم، الموصل، ٢٠٠٩، ص١٣٣-١٥٢.

[٣] للمزيد من التفاصيل حول الإلهة الأم يراجع :

Lieck, G. A., Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London(1998), P.119f.

الوائلي، فيصل، "من أدب العراق القديم"، سومر، مجلد ١٩، ١٩٦٣، ص١٤-١٨.

جنوب خط المطر[١]. حيث كانت كمية الأمطار السنوية متذبذبة وغير مستقرة مما أدى إلى زعزعة أركان تلك العبادة[٢].

وهذا التذبذب في كمية الأمطار دفع إنسان تلك المناطق إلى أن يتجه بأنظاره إلى العوامل الجوية المؤثرة على خصوبة الأرض والأمطار والزرع والحصاد، فضلاً عن دور رجال الدين في ترسيخ هذه الأفكار الغيبية في عقول الناس لتحقيق المكانة الاجتماعية والمكاسب المادية، ونتيجة لذلك أدت هذه الظروف إلى ظهور فكرة دينية جديدة تعتمد في طقوسها على قدسية العوامل الطبيعية، والتي تجسدت بهيئة آلهة عبدها البشر تقرباً منها وابتغاءً لمرضاتها واتقاءً لشرها[٣].

وهكذا نجد أن تجربة الطبيعة التي أوجدت هذه الحالة الذهنية جاء التعبير المباشر عنها في فكرة الكون لدى سكان العراق القديم، إذ لم يكونوا غافلين أبداً عن إيقاعات الكون المتمثلة في عناصره كالأرض والشمس والقمر وظواهره الطبيعية كالسماء والمياه والهواء، ورأوا فيه نظاماً لا فوضى، غير أن ذلك النظام لم يكن أميناً يطمئنون إليه. وقد شعروا ان في مكنوناته حشداً من القوى والإرادات الفردية الجبارة المتنازعة، والتي لا تتبع إلا هواها. وبموجب

ذلك جعل الإنسان العراقي القديم فهمه للكون يعبر عن نفسه في صورة الجمع والتوحيد بين الإرادات الكونية الفردية الكثيرة، أي في صورة الأنظمة الاجتماعية كنظام العائلة والجماعة، وبوجه أخص الدولة[٤] وتعكس أسطورة الخليقة البابلية جوهر ذلك الاعتقاد بصورة مباشرة[٥].

---

[١] خط وهمي يمتد جنوب مدينتي سامراء وهيت في الوقت الحاضر ويكون المعدل السنوي لسقوط الأمطار أعلاه كافٍ لإنتاج المحاصيل الزراعية دونما إرواء. لويد، سيتون، أثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، بغداد، ١٩٨٠، ص٩.

[٢] رشيد، المصدر السابق، ص١٤٦.

[٣] بوتيرو، جين، وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٨٦، ص٣٣٤.

[٤] فرانكفورت، وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، طبعة ٢، بيروت، ١٩٨٠، ص١٤٨.

[٥] تعد أسطورة الخليقة البابلية نسخة للأسطورة السومرية الأقدم منها والتي لم يصلنا منها سوى بعض الكسر. وعرفت لدى علماء الاثار "برقم الخليقة السبعة" وسماها البابليون بـ"اينوما ايليش" وتعني "حينما في العلى" لان أول بيت منها يبدأ بهذه العبارة، ودونت على سبعة ألواح من الطين مجموع ما فيها ألف سطر تقريباً. للمزيد حول اكتشافها وتاريخ وضعها والنص الكامل لها يراجع :

باقر، طه، و بشير فرنسيس، "الخليقة واصل الوجود"، سومر، مجلد ٥، ١٩٤٩، ص١-٣٦.

هايدل، الكسندر، سفر التكوين البابلي، ترجمة: سعيد الغانمي، كولونيا، ٢٠٠٧. يراجع كذلك: فرانكفورت، المصدر السابق، القسم الخاص ببلاد الرافدين.

سمات المعتقدات الدينية في العراق القديم

إن لكل ديانة من الديانات سواء أكانت سماوية أم وضعية لها سماتها وخصائصها التي تميزها، وترسم الخطوط العريضة للمنهج الذي تسير عليه العقيدة الدينية. وقد تشترك أكثر من ديانة في صفة من الصفات أو أكثر. وانطلاقاً مما سبق فقد اتصفت المعتقدات الدينية في العراق القديم بخصائص رئيسة يمكن إيجازها بما يأتي:

١- **مبدأ الشرك :** يعد مبدأ الشرك، أي تعدد الآلهة وكثرتها، من أهم ما اتسمت به المعتقدات الدينية في العراق القديم على الرغم من ظهور عقيدة التفريد[١]. في عبادة بعض الأقوام كالبابليين والأشوريين إلا أن العراقيين القدماء لم يؤمنوا بوجود إله واحد هو الخالق المسيطر على كل شيء، بل اعتقدوا وأمنوا بعدد كبير من الآلهة يصل إلى المئات بل الآلاف، بحيث ان هذه القوى الإلهية قد تمثلت بكل جزء من أجزاء الطبيعة ولذلك وصف الدين في العراق القديم بأنه حلولي، أي ان الآلهة حالة في الطبيعة[٢].

ولذلك فقد كان مجمع الآلهة يضم عدداً كبيراً من الآلهة تملأ أسماؤها معجما كبيراً ونظموا جداول بأسمائها وصنفوها إلى مجاميع متعددة[٣]. وإن هذه النظرة قد تطورت بعد تطور المدن في الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب العراق، وبعد أن أصبحت الحياة أكثر تعقيداً بظهور عناصر حضارية إضافية، على الرغم من أن الخصوبة بقت دائما العنصر الرئيس إلا أن النظرة إلى القوة الخارقة قد تغيرت[٤] فقد قسموا الكون إلى أجزاء يحكم في كل جزء منه إله، كإله للقمر وللشمس وللأرض، وكذلك جعلوا لكل شأن من شؤون الحياة إله خاص، فللحكمة وللمعرفة إله[٥] وخصصوا لكل الظواهر الطبيعية آلهة تتحكم فيها وفي

---

[١] التفريد Henotheism هي امتداد لعقيدة التوحيد أو صدى لها والتفريد مرحلة متوسطة بين الشرك والتوحيد لأنها تتضمن الاعتقاد بوجود إله واحد دون منع الاعتقاد بالآلهة الأخرى. بينما ينكر التوحيد وجود آلهة أخرى مع الإله الواحد، أي أن تعدد الآلهة يبقى جنباً إلى جنب مع عبادة إله معين يخصه القوم بالتكريم أكثر من غيره، ومن المؤكد أن ظهور هذا المبدأ "التفريد" جاء متأثراً بالدعوات التوحيدية التي حوُّرت وصيغت بأسلوب ينسجم ومعتقدات القوم المعتمدة أساساً على الشرك والتشبيه، فالبابليون في زمن حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) أفردوا للإله مردوك مكانة خاصة بين الآلهة الأخرى فأحتل مكانها ومارس سلطاتها، وكذلك الحال بالنسبة للإله أشور عند الأشوريين. يراجع: سليمان، المصدر السابق، ص١٤٩. كذلك: الدباغ، تقي،"آلهة فوق الأرض دراسة مقارنة بين المعتقدات الدينية القديمة في الشرق الأدنى واليونان"، سومر، مجلد ٢٣، ١٩٦٧، ص١٠٣.

[٢] فرانكفورت، المصدر السابق، ص٢٦٣.

[٣] للمزيد يراجع : .Deimel. A. S. I., Pantheon Babylonicum, Romae(1914)

[4] Saggs, H. W., Babylonian, London(1995), P.36 .

[٥] باقر، طه، "ديانة البابليين والأشوريين"، سومر، مجلد ٢، ١٩٤٦، ص٤ .

حدوثها كإله للرعد وللمياه[1]. كما كان لكل دولة مدينة إله محلي رئيس يكون الإله الحامي لها، كذلك وجدت معابد لآلهة أخرى في المدن فضلاً عن وجود المعبد الرئيس لإله المدينة، مثل معبد لأنليل وآخر لأوتو (شمش) وثالث لأنكي (أيا) في مدينة لــگش. فضلاً عن عبادة آلهة أخرى ولاسيما تلك التي تكون من عائلة إلهها الرئيس أو من حاشيته[2]، لذلك فقد قسمت الآلهة في العراق القديم من حيث المكانة على ثلاثة أصناف هي:

الصنف الأول: يتكون من الآلهة الرئيسة والتي كان يتألف منها مجلس الآلهة ويأتي على رأسها التثليث الإلهي (أنو-انليل-انكي). وكانت عبادتهم معروفة على صعيد البلاد كلها ولم تقتصر على مدينة واحدة.

الصنف الثاني: ويضم الآلهة المحلية والتي كانت عبادتها محدودة في حدود دولة المدينة التي كانت تحت حمايتها مثل الإله ننــگرسوا إله مدينة لــگش[3].

الصنف الثالث: يضم الآلهة الشخصية، مثل الإله شولوتولا الإله الشخصي الذي ورد ذكره في كتابات حاكمي لــگش إياناتم وإنتمينا[4].

٢- مبدأ التشبيه: يعد مبدأ التشبيه من المبادئ الأساسية التي اتصفت بها المعتقدات الدينية في العراق القديم، وجوهر هذا المبدأ هو تمثيل وتشبيه الآلهة بالبشر ونسبة صفات البشر المادية والروحية جميعها كشكله وملامحه الخارجية وغرائزه وعواطفه وحواسه إلى الآلهة. إذ كانت الآلهة في اعتقادهم تأكل وتشرب وتحب وتكره وتتزوج وتنجب وتفرح وتحزن تماماً كالبشر كما كانت علاقاتها الاجتماعية ببعضها كعلاقات البشر[5] وتظهر آثار هذا المبدأ بشكل جلي في الأساطير حيث تُشخص الآلهة مثل البشر[6]، إلا أن الآلهة تختلف عن البشر في مسألتين هما التمتع بقوى خارقة عن الطبيعة والخلود فهي لا تموت وإن كان هناك بعض الآلهة التي تموت لمدة مؤقتة ثم تعود للحياة[7].

وتشير النصوص المسمارية إلى تفوق الآلهة وسيطرتها المطلقة عليهم وذلك بقابليتها الخارقة التي امتازت بها وبحياتها الخالدة، وعن ذلك جاء في أحد النصوص المسمارية ما يلي:"إن أفكار الآلهة بعيدة عنا- بعد أعماق الأرض عن السماء- يتعذر علينا إدراكها- ولا

---

[1] بوتيرو، جين، بلاد الرافدين الكتابة-العقل-الآلهة، ترجمة: الأب البير ابونا، مراجعة: وليد الجادر، بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٨.

[2] باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جزء ١، طبعة ٢، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٣٥.

[3] علي، فاضل عبد الواحد، "المعتقدات الدينية" في: موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، ١٩٩٠، ص٣٠٦.

[4] باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٣٣٣.

[5] كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت، ١٩٧٣، ص١٥٥.

[6] علي، فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، بغداد، ١٩٨٩، ص١٤٦.

[7] علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، بغداد، طبعة ٢، ١٩٨٦، ص١٦٧.

أحد يستطيع فهمها"، وكذلك جاء في ملحمة كـلـكـامش "حينما خلقت الآلهة البشر-عينوا لهم الموت- أما الحياة "التي لا حد لها" فقد أخذوها لأنفسهم"[1].

ويظهر التشبيه ما بين الآلهة والبشر من خلال الأعمال الفنية ومنها المنحوتة المعروفة بمسلة العقبان العائدة إلى الملك إياناتم حاكم لـكش التي تصور انتصاره على مدينة اوما، ويبدو فيها الإله ننكرسوا إله مدينة لـكش وقد سيطر على المشهد، إذ صوُّر وهو يحمل في يده اليمنى صولجاناً من الحجر يوجهه على المحاربين الذين وقعوا في الشبكة التي يمسك بها بيده اليسرى[2]. كما ظهرت الآلهة بشخصياتها الحقيقية وبكل صفاتها التي وصفت بها في العديد من الأعمال الفنية وبمختلف العصور وبإحجام متنوعة فمنها ما مثل على الأختام الأسطوانية وكانت بأحجام صغيرة ومنها ما مثل على المنحوتات وكانت بأحجام كبيرة[3].

٣- مبدأ الحيوية: الحيوية أحد العناصر الأساسية التي قامت عليها المعتقدات الدينية في العراق القديم، وعرفت من لدن الباحثين بـ"الروحية أو الارواحية" و "الحياتية". وتقوم على أساس الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح حيوية كامنة في مظاهر الطبيعة، وتمثل رد الفعل البشري لتجربة الطبيعة والتي كانت سببا في إيقاظ الشعور الديني؛ لأن التأمل في تلك المظاهر وحدوثها جعل الجميع يشعر بأنه محاط من كل جانب بقوى خارقة لكل منها روحاً خاصة به، تُخضع البشر لتأثيراتها ولا قدرة لهم على تغيير مسارها أو تبديل نظامها[4]. لذلك فقد استحوذت تلك القوى على فكر الإنسان، ودفعته إلى محاولة تبديل هذا الشعور الغامض تجاه القوى الخارقة بفكرة واضحة، والذي فسره بتأليه تلك القوى التي تمثل ظواهر الطبيعة المختلفة كالسماء والشمس والقمر وغيرها من الظواهر المتعددة[5]. وشخصوا الأشياء والظواهر المحيطة بهم على درجات متفاوتة، فهي حية بشكل ما، ولها إرادتها الخاصة، ولكل منها شخصية محددة، وتعاملوا معها وفق ذلك المبدأ[6]. أي أن لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة الطبيعة التي يراها الإنسان حوله كانت شيئاً حيا له شخصيته وإرادته وذاته المتميزة[7].

---

(١) موسى، مريم عمران، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٤٨.

(٢) بارو، اندريه، سومر فنونها وحضارتها، ترجمة:عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٨، ص١٨٦.

(٣) موسى، المصدر السابق، ص٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٥) باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٣٣٢.

(٦) فرانكفورت، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٧) المصدر نفسه، ص١٥٥.

وذلك ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بان سبب نشأة الأساطير يتمثل في إيمان الإنسان العراقي القديم بحيوية الطبيعة ومحاولته تعليل ظواهرها[١].

٤- مبدأ الاستمرارية: أي أن جوهر المعتقدات الدينية التي تبلورت في الألف الثالث قبل الميلاد لم يطرأ عليه تغيير خلال العصور التاريخية الطويلة على الرغم من تعرض البلاد للاحتلال أكثر من مرة ودخول أقوام كثيرة إلى المنطقة من الشرق والغرب. فالآلهة التي كانت تُعبد في عصر فجر السلالات هي ذاتها التي كانت تعبد في العصور اللاحقة، مع بعض التغيير في أسمائها أو إضافة بعض الصفات الجديدة لها[٢]. وقد يطال التغيير أيضاً علاقة الآلهة بعضها ببعض. إذ كانت العلاقات بين الآلهة تتغير تبعاً للتبدلات السياسية، فعندما تكون المدينة ذات قوة سياسية تمكنها من توسيع نفوذها على حساب المدن الأخرى، عندها يُعظّم شأن إلهها الرئيس وترتفع مكانته ويعمد الكهنة على تحوير علاقة هذا الإله بغيره من الآلهة الأخرى. فعندما صارت بابل في عهد حمورابي عاصمة للدولة البابلية، عُظّمت مكانة الإله مردوك إله مدينة بابل الرئيس، فنسبَ كهنة بابل لمردوك العديد من الصفات والمزايا وأصبحت عبادته شائعة في كثير من المناطق والمدن التابعة لبابل. وينطبق الشيء ذاته على الإله أشور الذي أصبح إلهاً مُعظَّماً إبان سيطرة الأشوريين السياسية[٣].

٥- مبدأ انتفاء الأزلية : من المبادئ التي اتسمت بها الديانة في العراق القديم إنتفاء الأزلية من صفات الآلهة فلم يكن العراقيون القدماء ليتصوروا كائناً أزلياً ليست له بداية، فهي وإن اتصفت "الآلهة" بصفة الخلود إلا أنها لا تتصف بصفة الأزل[٤]، وقد ورد في قصة الخليقة كيفية خلق العالم والآلهة، ففي البدء لم يكن في الكون مخلوق سوى العماء تمثله المياه البدائية المؤلفة من عنصرين أحدهما مذكر هو الابسو والاخر مؤنث وهو تيامات، ومنهما ولدت جميع الأشياء، وكان أول من أنجبا إلهين هما لخمو ولخامو وجاء منهما الآلهة الأخرى، أما الإنسان فلم يخلق إلا عرضاً وبعد فترة طويلة من خلق الآلهة[٥]. ومن ابرز الأساطير التي تناولت موضوع خلق الإنسان أسطورة الخليقة البابلية، وأسطورة انكي وننماخ.

أبرز الآلهة

---

[١] يراجع: السواح، فراس، مغامرة العقل الأولي، طبعة ١١، دمشق، ١٩٩٦، ص١٨-١٩؛ بوتيرو، المصدر السابق، ص٢٦٥-٢٦٦.

[٢] باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٣٣٠ .

[٣] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٦، ص٣.

[٤] المصدر نفسه، ص٥.

[٥] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٩، ص١١.

كان في العراق القديم العديد من الآلهة لا يجمعهم حصر. إذ كان لكل مدينة إلهها الخاص كما كان لكل مظهر من مظاهر الحياة إله، حتى بلغ تعداد أسمائهم نحو خمسة آلاف إله[١] ونظراً لكثرة أعداد تلك الآلهة فقد كانت تنظم على شكل مجموعات تحوي كل منها على عدد من الآلهة يبلغ ثلاثة أو أربعة آلهة، وتميزت من تلك المجاميع مجموعتان تضم الأولى الآلهة آنو-انليل-انكي وقد يضيفون الإلهة ننخورساك إلى تلك المجموعة، وكان هؤلاء يوضعون عادة على رأس الجداول الخاصة بالآلهة، وتليها المجموعة الثانية المكونة من الآلهة ننا(سين) واوتو(شمش) وإنانا(عشتار)[٢].

المجموعة الأولى

١- آنو

كان الإله آنو عند العراقيين القدماء إله السماء وأعظم الآلهة مرتبة وشاناً، ويشار له بالنجمة الثمانية وهي العلامة الدالة على الإلوهية في الخط المسماري[٣]، ويرمز له أيضاً بالعمود الذي ينتهي بحلقة جانبية وكذلك بالتاج المقرن[٤]. واحتل منزلة رفيعة باعتباره أبو الآلهة جميعها، إذ تشير إليه النصوص المسمارية على أنه مصدر كل السلطات والأوامر الرسمية، وإنه صاحب الشخصية المسيطرة في مجمع الآلهة، وكان أسمه يتصدر قوائم الآلهة جميعها كما مر ذكره سابقاً[٥].

والإله آنو هو أبن الإله انشار والإلهة كيشار اللذَين ورد ذكرهما في قصة الخليقة، ونسبت إلى آنو زوجة هي آنتو ونسبت له زوجة أخرى هي نن-زالي[٦]. وكان مركز عبادته في مدينة الوركاء إذ شُيد له معبد مبني على مصطبة ترتفع خمسين قدماً يعرف بالمعبد الأبيض، فضلاً عن مدينته الوركاء كان آنو يقدس في أنحاء العراق القديم جميعه، إذ خصصت لعبادته معبد في مدينة الدير يدعى É-dam-gal-kal-ma[٧]. ومعبد أخر في مدينة

---

[١] ثبت الكهنة قوائم طويلة بأسماء الآلهة، وكانت هذه القوائم مرتبة وفق العوائل الإلهية، وحسب مكانة كل إله والقابه، وقد وجدت هذه المعاجم منذ عصور مبكرة في العراق القديم، فمنذ الألف الثالث قبل الميلاد وجـــدت قوائم مدينة فارة (شروباك) ومن مدينة نيبور(نفر) كذلك، وفي العصر البابلي القديم تظهر أسماء جديـــدة == ==لإلهة أخرى، إلا إن أهم وأشهر قائمة بأسماء الآلهة هي الفهرس المعبدي المسمى آن-انوم إذ تذكر هـــذه التسمية في بداية النص. بوتيرو، جان، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، بغداد، ١٩٧٠، ص٣٠.

[٢] كريمر، المصدر السابق، ١٩٧٣، ص١٥٦.

[3] Leick, Op.Cit, P.4.

[4] Black, J., Green, A., Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, London(1998), P.45.

[٥] موسى، المصدر السابق، ص٦٤.

[6] Black, Op.Cit, P.30.

[7] George, A.R., House of Most High, Indiana(1993), P.76.

مدينة أشور كان يعبد فيه مع الإله ادد[١]. إلا أنه وبمرور الزمن تراجعت مكانة الإله آنو تدريجياً حتى صار مجرد رئيس رمزي للآلهة، وأصبح من النادر أن يذكر في تراتيل وأساطير العصور المتأخرة، إذ أعطيت في هذه الفترة معظم سلطاته للإله انليل[٢].

٢- انليل

يمثل الإله انليل ثاني القوى العظمى في الكون بنظر العراقيين القدماء، ويأتي بعد الإله آنو في الأهمية[٣]. ويتكون أسمه من مقطعين الأول "en" ويعني "سيد" والثاني "lil" ويعني "الهواء" فيكون أسمه "سيد الهواء" ولهذا الإله لقب أخر هو "kur-gal" والذي يعني "الجبل العظيم"[٤] ويشار له بالتاج المقرن[٥]. ويعد الإله انليل الابن الأول للإله آنو، إذ يرد في في النصوص المسمارية على أنه يترأس مع آنو مجمع الآلهة، ويُنسب لأنليل زوجة هي ننليل وله سبعة أولاد هم حراس أبواب العالم السفلي وقد شيد لهم معبد خاص في مدينة أشور[٦].

وكان الإله انليل الإله القومي لبلاد سومر وقد كان مركز عبادته في مدينة نيبور التي حازت بسبب ذلك مكانة رفيعة، ومعبده فيها من أقدس المعابد وهو É-kur أي بيت الجبل[٧].

ويوصف الإله انليل بأنه ملك كل الأراضي ولذلك فقد تم منحه الملوكية والسيادة، وعلى هذا الأساس كان يلقب بالعديد من الألقاب منها أبو الآلهة وملك السماء والأرض وملك البلدان والمبجل، وكان الملوك يتباهون بأن الإله انليل هو الذي وهبهم ملوكية البلاد وهو الذي يعطيهم شاراتها وينظر إليهم بعين الرضا[٨]. لقد لعب الإله انليل دوراً بارزاً في الشعائر والصلوات والأساطير ومنها أسطورة "انليل وننليل"[٩]، وأسطورة "خلق الفأس"[١٠] فضلاً عن دوره الكبير في قصة الطوفان[١١]. وملحمة گلگامش[١٢].

---

[١] شُيد هذا المعبد في العصر الأشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ق.م) من قبل الملك الأشوري أشور-ريش-ايشي (١١٣٣-١١١٦ق.م) وهو معبد مزدوج خصص لعبادة الإله آنو وادد.

[٢] كريمر، المصدر السابق،١٩٧٣، ص١٥٧.

[٣] علي، المصدر السابق، ١٩٩٠، ص٣٠٦.

[4] Leick, Op.Cit, P.45-46.

[5] Black, Op.Cit, P.45.

[6] Ibid, P.76.

[7] George, Op.Cit(1993) P.116.

[٨] كريمر، المصدر السابق، ١٩٧٣، ص١٥٧.

[٩] للمزيد عن الأسطورة يراجع: هروشكا، بوهسلاف وآخرون، الأساطير في حضارة وادي الرافدين، ترجمة: عصام عبد اللطيف احمد، بغداد، ٢٠٠٦، ص٨٨-٩٤.

[١٠] للمزيد عن الأسطورة يراجع: كريمر، صموئيل نوح، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١، ص٨٠.

[١١] للمزيد عن الأسطورة يراجع: Foster, B., From Distant Days, Maryland(2001), P.52-77.

[١٢] حول دور الإله انليل في ملحمة گلگامش يراجع :

٣- انكي (آيا)

يأتي الإله انكي في المرتبة الثالثة بعد آنو وانليل ضمن المجموعة الأولى، ويتكون أسمه من مقطعين الأول "en" ويعني "سيد" والثاني "ki" ويعني الأرض فيكون معناه "سيد الأرض"[١] وانكي هي التسمية السومرية لهذا الإله، أما التسمية الاكدية فهي "آيا" وتعني "بيت الماء"[٢]. وقد أشتهر الإله انكي في العراق القديم بأنه إله الحكمة أيضاً[٣]، ويرمز له في المشاهد الفنية بالماء المنساب من كتفي الإله وكذلك بالسمكة الماعز والصولجان الذي ينتهي برأس جدي[٤].

كان مركز عبادته في مدينة اريدو وفيها معبده المسمى É-abzu[٥]. كما كان له معابد أخرى في مدن العراق القديمة ولاسيما لــگش والوركاء وأور ونفر ومدن أخرى. أما عن أصل الإله انكي، فأن أسطورة الخليقة البابلية ترجعه إلى الإله آنو وله زوجة هي دامكينا وأبرز أبنائه مردوك بطل قصة الخليقة البابلية وإله مدينة بابل القومي.

وتعكس الأساطير السومرية مكانة هذا الإله في الفكر الديني في العراق القديم ودوره البارز في مجمع الآلهة، ومن الأساطير التي تدور حول الإله انكي هي أسطورة "انكي وننخورساك"[٦] وأسطورة"انكي وتنظيم الكون"[٧] وفي أسطورة "رحلة إنانا إلى اريدو" التي لعب فيها دوراً بارزاً إذ تشير الأسطورة إلى امتلاك انكي لكل مظاهر الحضارة "me" ولذلك فهو المُصدّر والمُنظم لها[٨] وأسطورة "انكي وننماخ" التي تتناول موضوع خلق الإنسان[٩]. وقد صورته تلك الأساطير بكونه إلهاً رحيماً بالناس والآلهة على حد سواء، ففي قصة الطوفان البابلية اتراخاسيس نجده يستجيب لاستغاثة الناس ويدلهم على الطريقة التي يتخلصون بها من القحط والمرض اللذين أنزلهما الإله انليل لمعاقبة الناس[١٠].

المجموعة الثانية

٤- ننا (سين)

George, A. R, <u>The Epic of Gilgamesh</u>, London(1999), P.88-99.

(1) Leick, <u>Op.Cit</u>, P.40.

(٢) ساكز، هاري، <u>عظمة بابل، لندن</u>، ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٣٦٩.

(٣) كريمر، <u>المصدر السابق</u>، ١٩٧٣، ص١٦٢.

(4) Black, <u>Op.Cit</u>, P.149.

(5) George, <u>Op.Cit</u>,(1993), P.65.

(٦) للمزيد عن الأسطورة يراجع: كريمر، <u>المصدر السابق</u>، ١٩٧١، ص٨٥-١٠٠.

(٧) للمزيد عن الأسطورة يراجع: هروشكا، <u>المصدر السابق</u>، ص٩٦-١١٢.

(٨) للمزيد عن الأسطورة يراجع: كريمر، <u>المصدر السابق</u>، ١٩٧١، ص١٠٧-١١٢.

(٩) للمزيد عن الأسطورة يراجع: هروشكا، <u>المصدر السابق</u>، ص٨١-٨٧.

(١٠) علي، <u>المصدر السابق</u>، ١٩٩٠، ص٣٠٦.

يأتي على رأس المجموعة الثانية وهو يمثل إله القمر، عبده السومريون تحت أسم "ننا" أو"ننار" في حين سماه الاكديون "سين" وشاعت هذه التسمية في العصر الاكدي واستمرت في العصور اللاحقة[١]. ويرمز له بالهلال أو بالقرص الدائري[٢].

يعد الإله ننا(سين) المولود الأول للإله انليل والإلهة ننليل وفق ما جاء في أسطورة انليل وننليل، وزوجته هي الإلهة ننكال "السيدة العظيمة" ومن أبنائه الإلهة إنانا(عشتار) والإله اوتو(شمش) والإله اشكور[٣]. وتعد مدينة أور من أبرز المراكز الدينية لعبادة الإله ننا(سين) وقد شُيد له معبد مشهور فيها يدعى É-kišnugal[٤].

واحتل إله القمر مكانة بارزة في حياة الأقدمين وذلك لأنهم لاحظوا تغير منازله واعتمدوا ذلك في حساب الأيام والأسابيع والأشهر للسنة وفي تحديد المواسم الزراعية، وورد ذكره في عدد من الأساطير والتراتيل، والتي من أبرزها أسطورة "رحلة إله القمر ننا إلى نفر" التي تعكس جانباً من خصائصه[٥].

٥- اوتو (شمش)

يعد الإله اوتو من الآلهة الشهيرة في العراق القديم وفي مناطق الجزيرة العربية، وهو يمثل إله الشمس وقد عُرف باللغة السومرية بالاسمين(اوتو) و(ببار) أما في الاكدية فقد استخدمت كلمة شمش للدلالة عليه وتلك الكلمات جميعها تعني الشمس أو الضياء المنبعث منها[٦]. وكان يُرمز له في الأعمال الفنية بهيئة قرص دائري ينبعث منه شعاع، أو برأس ثور، وإذا ما صور بهيئة بشرية فإن طابعه الشمسي يُمثّل عن طريق الأشعة الصادرة من جسمه[٧]. وكانت مدينة سبار من المراكز الشهيرة لعبادة إله الشمس وعرف معبده فيها باسم É-babbar-ra ويعني "بيت الضياء" كما وشيد معبد له في لارسا يحمل الاسم ذاته[٨]. ويعتبر ويعتبر الإله اوتو(شمش) أحد أبناء إله القمر"ننا" وله زوجة هي "آي" وله أبنان هما "كتو" العدل و"ميشارو" الحق. واقترن اسم إله الشمس بكونه إله العدل والقاضي الأعظم ومصدر

---

[1] Leick, Op.Cit, P.125.

[2] Black, Op.Cit, P.60 ; 35.

[3] Black, Op.Cit, P.125-126.

[4] George, Op.Cit,(1993), P.114.

[٥] موسى، المصدر السابق، ص٧٥.

[٦] عبد الرحمن، عبد المالك يونس، عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص١٣.

[7] Black, Op.Cit, P.182-184.

[8] George, Op.Cit,(1993), P.70.

الشرائع في العراق القديم لذلك فإنه صوّر في أعلى مسلة حمورابي وهو يُسلم شارات العدل إلى الملك حمورابي[١].

٦- إنانا (عشتار)

تمثل الإلهة إنانا الخصب والحب والحرب، ويعني اسمها في السومرية إنانا "سيدة السماء" في حين يدل اسمها في الاكدية "عشتار" على "الربة"[٢]. ويرمز لها بنجمة الزهرة أجمل الكواكب السماوية، وقد صُورت في الأعمال الفنية وهي تحمل أسلحتها كالسيف والصولجان والقوس وتقف على أسد أو أسدين باعتبارها إلهة الحرب[٣].

احتلت الإلهة إنانا (عشتار) مكانة بارزة في فكر العراقيين القدماء، لكونها تعكس أقدم المعتقدات المتعلقة بعبادة الخصب المتمثلة في دمى الأمهات التي عُثر على أولى نماذجها في قرية جرمو[٤] أقدم القرى الزراعية في العراق القديم والتي تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد[٥] كما يعتقد بعض الباحثين.

واختلفت النصوص المسمارية في ذكر النسب الإلهي للإلهة عشتار، ويعود سبب ذلك إلى المؤثرات السياسية والكهنوتية، فعُرفت في قوائم الأنساب بأنها ابنة ننا(سين) إله القمر وأمها ننكال وإن لها أخاً هو اوتو(شمش)، وهناك نصوص أخرى تنسبها خلافاً لذلك فتجعلها زوجة لآنو ومرة أخرى ابنة له كما ورد في بعض الأساطير[٦].

تعد مدينة الوركاء مركز عبادة الإلهة إنانا (عشتار)، إضافة إلى كونها مركز لعبادة الإله آنو إله السماء، وبذلك فقد اكتسبت هذه المدينة أهمية وشهرة واسعة منذ أقدم العصور، وكان لهذه الإلهة جملة من المعابد تدعى É-ANNA مخصصة لعبادتها[٧]. وفي العصور التالية انتشرت عبادة هذه الإلهة وأصبح لها معبد خاص بها في كل مدينة تقريباً.

---

[1] Lieck, Op.Cit, P.161.

[2] Lieck, Op.Cit,, P.86 .

[3] Black, Op.Cit, P.108 .

[٤] يراجع: حنون، نائل، "شخصية الإلهة الأم ودور الإلهة عشتار في النصوص السومرية والاكدية"، سومر، مجلد ٣٤، ١٩٧٨، ص٢٢-٣٩.

[٥] المصدر نفسه، ص٢٤.

[٦] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٦، ص١٨؛ Lieck, Op.Cit, P.87 .

[7] George, Op.Cit,(1993), P.67.

ونسج العراقيون القدماء حول الإلهة إنانا(عشتار) العديد من الأساطير منها ما يصور حرص الإلهة على إعمار ورفاه وازدهار مدينة الوركاء كما في أسطورة "انكي وإنانا"[١]. وهناك أساطير أخرى تصور الإلهة إنانا(عشتار) في مغامراتها العاطفية كما في أسطورة "إنانا وشجرة الخالوب" ومقطع من ملحمة گـلـگـامش الذي يصف تعلق إنانا بهذا البطل وكيفية رفضه لها، وأسطورة مأساة تموز التي تبين معاناة الإله تموز في العالم السفلي[٢].

---

[١] للمزيد عن الأسطورة يراجع: كريمر، المصدر السابق، ١٩٧١، ص١٠٧-١١٢.

[٢] علي، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٨٦.

الفصل الأول المبحث الأول

المعابد أنماطها وتطور مخططاتها

يعد المعبد جوهر الحياة في مدن العراق القديم، ومركزاً لمختلف شؤون الحياة الإدارية والاقتصادية والثقافية، والمعبر عن روح المجتمع سواء أكان في مدينة أم بلدة أو قرية، من خلال مساهمته في عملية التطور الاجتماعي، وكان المعبد يدين للمجتمع بوجوده، ولذا فقد كانت معاييره في صعود أو أفول تبعاً لذلك[١].

والمعبد يعكس بشكل مباشر صوراً جلية عن العقائد الدينية ومدى نضجها وتبلورها كونه المكان المخصص لأداء العبادة والطقوس الدينية في العراق القديم.

كما اتُخذَ المعبد كمقر للحكم وإدارة شؤون المدينة ففي جناح خاص سمي "إكيبار" كان يسكن أول الحكام الذين تولوا إدارة المدينة منذ عصر الوركاء والذين كانوا يحملون لقب "En"، ولابد وإن كان يرافق الحكام عدد من الموظفين أو العاملين من معاونيه لإدارة شؤون المدينة[٢] كما كان المعبد ولفترة طويلة استمرت حتى العصر البابلي القديم مركزاً للقضاء بين الناس وكان جل القضاة من الكهنة وكان جزء مهم من المرافعات القضائية يتم فيه[٣].

ويتمتع المعبد بأهمية اقتصادية إذ يمثل عماد اقتصاد المدينة، لأنه كان يمتلك باسم إله المعبد معظم الأراضي الزراعية ويتولى إدارتها والإشراف على تأجيرها أو زراعتها وجمع وارداتها وخزنها في إحدى أجنحته الخاصة بذلك، كما كان المعبد يقوم بمختلف أنواع التجارة والصناعة وتشغيل المئات من الصناع والمزارعين وغيرهم، لذلك يعتبر المعبد العامل الرئيس في الحياة الاقتصادية في العراق القديم[٤].

كما يعد المعبد مركزاً علمياً وثقافياً إذ تشير النصوص المسمارية المكتشفة في المعابد المهمة إلى أن المعابد كانت المكان الأول الذي يتعلم فيه المبتدئون القراءة والكتابة فكان يقوم مقام المدارس، ثم أصبحت المعابد مراكز للتأليف والاستنساخ[٥].

وساهم المعبد في ترسيخ الأسس الهندسية في العمارة من ناحية انتظام الوحدات البنائية فيه ومحاولة المعمار إظهار المعبد على أفضل ما يكون وإبرازه عن بقية أجزاء المدينة أو القرية؛ ولمكانته المقدسة فقد أحتل المساحة المركزية في المدينة[٦].

---

[١] بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق وأثاره، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩١، ص٢٠.

[٢] ساكز، المصدر السابق، ص١٩٣.

[٣] رشيد، فوزي، القوانين في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٨، ص٤٩.

[٤] تومينيف، اقتصاد الدولة في سومر، في: العراق القديم دراسة لأحواله الاقتصادية، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٦، ص١٠٥.

[٥] ساكز، المصدر السابق، ص٢١٣.

[٦] سعيد، مؤيد، العمارة من عصر فجر السلالات إلى العصر البابلي الحديث، في: حضارة العراق، جزء ٣، بغداد، ١٩٨٥أ، ص١٠٤.

ومن خلال ما تقدم يمكن ان تعد معظم المدن الرئيسة في العراق القديم مدن معابد، وفي ذات الوقت فإن المدن المتوسطة والصغيرة بأحجامها كلها تمتلك معابد خاصة بها، وكثرة المعابد والمزارات لها علاقة بإعداد الآلهة وأشكالها وأسمائها وصفاتها وعلاقات بعضها ببعض وبالبشر أيضاً، ولقد أتاحت التنقيبات الأثرية، اعتماداً على متابعة الأشكال التخطيطية للمعابد وأنظمتها العمارية المتقدمة تاريخيا، ومقارنتها بإشكالها الأقدم، التوصل إلى أقدم المعابد المكتشفة، والتي قادت لوضع خطوط تطور تخطيطها وعمارتها عبر العصور، وكذلك تمييز نماذجها الكثيرة والمتنوعة وتوزيعها إلى مجاميع عدة متشابهة من حيث الأهمية والتخطيط والعمارة.

أولاً : أنماط المعابد العراقية القديمة :

تُعد أبنية المعابد من أهم الأشكال البنائية في العمارة العراقية القديمة منذ ظهورها وحتى نهاية العصر البابلي الحديث (٦١٢-٥٣٩ق.م)، لما امتازت به من خصائص تختلف بها عن المساكن وكذلك عن بقية المنشآت البنائية الأخرى[١]. لذلك فقد احتلت أبنية المعابد النسبة الأكبر من نماذج الأبنية العامة المكتشفة خلال التنقيبات الأثرية، فبحكم الوازع الديني أنتشر العديد منها في مدن العراق القديمة جميعها حتى بلغ عددها الآلاف[٢]. فتشير النصوص المسمارية إلى أن مدينة بابل[٣]. وحدها خلال العصر البابلي الحديث، ضمت مالا يقل عن ٥٣ معبداً كبيراً للآلهة المختلفة و٥٥ حجرة مقدسة خاصة بالإله

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٠٤.

[2] George, Op.Cit,(1993) P.1.

[٣] بابل: تقع على بعد ٩٠كم جنوب بغداد، ورد اسمها بالاكدية بالصيغة باب-ايلو وتعني باب الإله. ويرجع تاريخ الاستيطان فيها إلى عصور ما قبل التاريخ إلا أن أقدم إشارة تاريخية للمدينة ترجع إلى السلالة الاكدية. وتُعد بابل من أشهر مدن العالم القديم، وورد ذكرها في القران الكريم(البقرة:١٠٢) كما ذكرت في الكتاب المقدس. وكَتب عنها الكثير من الكتاب الكلاسيكيين يأتي في طليعتهم هيرودوتس الذي زارها عام ٤٥٠ق.م . وزارها عدد من الرحالة والمستكشفين كان أولهم الحاخام بنيامين التطيلي وأبرزهم بيترو ديلافالا عام ١٦١٦م. وبدأ أول استكشاف منظم فيها عام ١٨٥٢م من قبل بعثة فرانل-اولبرت. وفي عام ١٨٩٩م بدأت الجمعية الشرقية الألمانية برئاسة كولدفاي التنقيب فيها واستمرت حتى عام ١٩١٧م. وبعد انقطاع دام عقدين استأنفت مديرية الاثار عام ١٩٣٨م أعمال الحفر والتنقيب والصيانة في مدينة بابل بصورة شبه متواصلة. ومن أبرز المعالم العمارية المكتشفة فيها معبد ايساكيلا ومعبد ننماخ ومعبد عشتار ومعبد نابو شخاري والقصر الجنوبي والشمالي والقصر الصيفي وبوابة عشتار وشارع الموكب وسور المدينة.(شكل١)
باقر، طه، بابل وبورسبا، بغداد، ١٩٥٩أ، ص٢.
روثن، مارغريت، تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال أبي فاضل، طبعة ٢، بيروت، ١٩٨٤، ص١٤.

مردوك و٦٠٠ حجرة مقدسة للانوناكي و٣٠٠ حجرة للإجيجي[١]. و٣٨٤ دكة إله موزعة في أنحاء المدينة[٢]. وتقدم جداول الآلهة قائمة بأسماء ٣٤ معبداً في مدينة أشور[٣]. بضمنها زقوراتها الثلاثة وزقورة الإلهين آنو وادد[٤].

ورغم ذلك العدد الكبير من المعابد لم يكن جميعه يتمتع بالقدر ذاته من الأهمية سواء أكانت دينية أم عمارية. إذ أن بعضاً منها كان يشغل جزءاً من معابد أو مبان أخرى، أو قد تجتمع عدة معابد في بناء واحد، وقد تكون كلها بالدرجة نفسها من التخطيط والمتانة، أو يكون بعضها متميزاً عن الآخر مما يشير إلى آلهة رئيسة وأخرى ثانوية، وقد تكون الحجرة المقدسة معبداً خاصاً لإله واحد أو مزدوج لعدة آلهة، كأن يكون المعبد مخصصاً لعبادة إلهين زوجين أو إلهين متماثلين بالمرتبة والمكانة[٥]. وتدل كل تلك الأنماط على إنها مستمدة من صلب المعتقدات الدينية القائمة على أساس التعددية التي أملت على العراقيين القدماء بناء معابد ومزارات تنسجم ومكانة الإله ودوره في مجمع الآلهة وتأثيره في المجتمع.

وتؤكد النصوص المسمارية وجود أكثر من نمط واحد من المعابد عرفها العراقيون القدماء، فضلاً عن الأسماء التعريفية الخاصة بكل معبد، إذ وردت مصطلحات عدة ذات معانٍ محددة تُميز بين تلك المعابد. وأبرز تلك المصطلحات المصطلح السومري É ويعني البيت أو المسكن بمختلف أشكاله وصوره[٦]. والذي يقابله في اللغة الاكدية مصطلح bītu أي البيت[٧]. ومنها جاءت عبارة bīt-ili وتعني بيت الإله أي

---

[١] مصطلحان سومريان أطلق الأول على الآلهة السماوية أما الثاني فأستخدم للإشارة إلى آلهة العالم السفلي . يراجع : Leick, Op.Cit, P.8,85 .

[٢] سعيد، مؤيد، "المدن الدينية والمعابد" في: المدينة والحياة المدنية، جزء ١، بغداد، ١٩٨٨، ص١٣٨.

[٣] أشور: تقع أشور، أول عاصمة للأشوريين، على الضفة اليمنى لنهر دجلة وتعرف أطلالها اليوم بقلعة شرقاط، وتبعد عن بلدة الشرقاط ١٠كم وعن مدينة الموصل ١١٠كم جنوبا، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الإله أشور، إله الأشوريين القومي وحامي المدينة. بدأت فيها التنقيبات الأثرية المنظمة من لدن الألمان عام ١٩٠٣ واستمرت حتى ١٩١٤ وأشهر من نقب فيها كودلوفاي وفالتر اندريه واستمرت فيما بعد العديد من الحملات التنقيبية العراقية والأجنبية كشف من خلالها العديد من المعابد أهمها معبد أشور ومعابد أخرى لشمش وعشتار ونابو ومعبد مزدوج لعبادة الإلهين آنو وادد.(شكل١) سفر، فؤاد، أشور، بغداد، ١٩٦٠، ص٣-٦. وكذلك يراجع: صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٢-٢٦. حول تنقيبات البعثة الألمانية في هذا الموقع يراجع سلسلة MDOG

[٤] هيرودا، بارث، "طوبوغرافية أشور"، سومر، مجلد ٣٥، ١٩٧٩، ص٢٧٤.

[٥] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١١٢.

[6] Edzard, D. O., "The Names of the Sumerian Temples", CM.7, Netherlands(1997), P.159.

[7] CAD, B, P.282ᵃ.

معبده[١]. وكانت العلامة é تتقدم أسماء المعابد للتعريف بها[٢]، وكلا المصطلحين السومري والاكدي يستخدمان للدلالة على المعبد بشكل عام دون التمييز بينهما. ومن التسميات التي ترد للدلالة على المعبد المصطلح السومري É-KUR-RA ويقابله بالاكدية ékurru وتعني بيت الجبل، وهي في الأصل أسم معبد الإله انليل في نيبور[٣] لأنه يمثل المعبد الرئيس لبلاد سومر جميعها[٤] أما الكلمة الاكدية ékallu[٥] وهي من الكلمات المستعارة من اللغة السومرية وأصلها É-GAL وتعني البيت الكبير "القصر" فقد اتخذت بعض تسميات المعابد الصيغة ذاتها، وأقترن هذا المصطلح بمواضع العبادة ذات المساحة الواسعة والبناء الفخم والتخطيط المعقد[٦]، وكانت هذه المعابد مخصصة للآلهة الرئيسة في مراكز عبادتها أو خارجها[٧] ومنها معبد الإله انكي é.gal.an.zu في مدينة اريدو[٨]. ومعبد الإلهة

---

[١] لابات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: البير أبونا ووليد الجادر وخالد سالم، بغـداد، ٢٠٠٤، ص١٤٩ : العلامة ٣٢٤.

[٢] سمى الباحثون هذا النوع من العلامات في اللغة السومرية بالعلامات الدالة، والتي كانت توضع غالباً قبـل العلامات المسمارية التي تدل على الأسماء وأحياناً بعدها لتحديد صنف أو ماهية الاسم الذي تعود له والمعنى المقصود منه. سليمان، عامر، الكتابة المسمارية، الموصل ، ٢٠٠٠، ص٦٣.

[٣] نيبور: تعرف أطلالها اليوم بنفر، وتبعد حوالي١٠كم عن عفك و٣٥كم شمالي شـرقي الديوانيـة ونحـو ١٨٠كم جنوب شرق بغداد، وهي إحدى المدن السومرية المهمة. بدأت التنقيبات فيها عام ١٨٨٩م مـن لـدن بعثة جامعة بنسلفانيا، وفي عام ١٩٤٨م أجرى المعهد الشرقي في شيكاغو تنقيبات مهمة فيه استمرت حتـى عام ١٩٨٥م، كَشف من خلالها عن ٢٣ طبقة أثرية يمتد تاريخها من عصر الوركاء وحتى نهايـة العصـر البابلي الحديث. واستُظّهر في الموقع عدة مباني دينية أبرزها المعبد الرئيس المخصص لإله المدينـة انليـل ومعبد للإلهة إنانا والمعبد الشمالي(شكل١). للمزيد يراجع: بصمة جي، فرج، نفر، بغداد، ١٩٦٠، ص٥-١٥.
حول تنقيبات المعهد الشرقي في الموقع يراجع: OIP No.78 ; 97 و OIC No.22 ; 23

[٤] مهدي، علي محمد، دور المعبد في المجتمع العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغـداد، ١٩٧٥، ص٣٨.

[5] CAD, E, P.52[a].

[٦] الشيخ، عادل عبد الله، عمارة العراق في العصرين الحجري الحديث والحجري المعدني حتى نهاية طـور العبيد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص١٣٦.

[7] Edzard, Op.Cit, P.160.

[٨] اريدو: مدينة سومرية شهيرة تُعرف أطلالها اليوم بأبو شهرين، تقع على مسافة ٤كم إلى الغرب من مدينة مدينة الناصرية. بدأ التنقيب فيها عام ١٩٤٦م من قبل مديرية الآثار العراقية برئاسة فؤاد سفر ومحمد علـي مصطفى وسيتون لويد. وأستمر العمل فيها لعدة مواسم متتالية، استُظهر خلالها ١٩ طبقة أثرية غطت فتـرة زمنية طويلة امتدت منذ عصر العبيد وحتى عصر فجر السلالات.وكان أبرز نتائجها الكشف عن بقايـا ١٧ معبد شيدت بشكل متعاقب يرجع تاريخ أقدمها إلى عصر العبيد الأول وكان لهذا الاكتشاف أهمية كبيرة حيث ان معبد الطبقة ١٧ يعد أقدم النماذج المعروفة حتى الآن لأبنية المعابد في العراق القديم(شكل١).
سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الاثار العامة في اريدو"، سومر، مجلد ٣، ١٩٤٧، ص٢١٩.
حول نتائج تنقيبات مديرية الاثار يراجع: Safar, F., et. al, Eridu, Baghdad(1982).

گولا[١]. é.gal.mah في مدينة آيسن[٢]. ومعبد الإله آنو é.gal.an.ki.a في الوركاء[٣]. وكذلك معبد é.gal.hal.hal في المدينة نفسها[٤]. واستخدم المصطلح الاكدي sukku منذ العصر البابلي القديم (٢٠٠٠-١٥٩٥ق.م) للدلالة على المصلى الصغير، فتشير أحد النصوص المسمارية إلى قيام الملك بترميم أحد مصليات الشارع "šumma lu sukku lu muhru ….. uddiš إذا (في شهر) جدد (الملك) مصلى (صغير) أو معبد الشارع"[٥] ويُطلق هذا المصطلح كذلك على الحجرة المقدسة الثانوية ضمن بناء المعبد ومنها ما أطلق على الحجرات المقدسة في دور شروگين[٦]

---

[١] الإلهة گولا: إلهة الطب والشفاء عند العراقيين القدماء، مركز عبادتها مدينة آيسن.

[٢] آيسن: تعرف أطلالها حاليا بـــ(إيشان بحريات)، ويبعد هذا الموقع حوالي ٢٠كم إلى الجنوب من بلدة عفك عفك و٤٠كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الديوانية، بدأ التنقيب فيها عام ١٩٠٢م من لدن البعثة الأمريكيـــة وبعد ذلك عملت فيها بعثة المانية، واستُظهر خلالها معبد گولا المعبد الرئيس للمدينة والعائـــد إلـــى عصـــر آيسن-لارسا(شكل١). صالح، المصدر السابق، ص٢٤٣.

حول التنقيبات في آيسن يراجع:

Hrouda, B., Vorlãufiger Bericht über dieergebnisse der 2 Kampagne in Ishan Bahriyat (Isin), SUMER, Vols: Vol.31,(1975), PP.25-32; Vol.33,(1977), PP.119-127; Vol.34, (1978), PP.86-97; Vol.36,(1980), PP.83-98.

[٣] الوركاء: هي بقايا المدينة التاريخية اوروك أكبر المدن السومرية وأعرقها، إذ يرجع زمن تأسيســـها إلـــى الألف الخامس قبل الميلاد، تقع هذه المدينة على بعد ٣٠كم جنوب شرق السماوة، بدأت التنقيبات فيها في فترة مبكرة من قبل الجيولوجي الانكليزي وليم لوفتس عام ١٨٤٩م. وفي عام ١٩١٢م بدأت فيها التنقيبات العلميـــة المنظمة من قبل البعثة الألمانية والتي استمرت بشكل متقطع حتى عام ٢٠٠٢ وتولى رئاســـة تلـــك البعثـــات بالتتابع كل من يوردان ونولدكة ولنزن وشميدت وفان ايس. وقد أسفرت تلك التنقيبات عن نتائج مهمة غطت فترة زمنية امتدت منذ الألف الخامس إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد. وكشف فيها عن العديد من المنشآت الدينية لعل أبرزها منطقة المعابد المعروفة بـــ (أي-انا) من الطبقة V-IVa التي تعود إلى عصـــر الوركـــاء المتأخر، وتضم هذه المنطقة معابد للإلهة إنانا(عشتار). وإضافة إلى تلك المنطقة كُشف عن مجموعة معابـــد أخرى كمعبد آنو ومعبد بيت ريش ومعبد كاريوس وبيت اكيتو(شكل١).

بصمة جي، فرج، "الوركاء"، سومر، مجلد ١١، ١٩٥٥، ص٤٧ ؛ صالح، المصدر السابق، ص٢٤٥.

حول تنقيبات البعثة الألمانية يراجع : سلسلة منشورات الجمعية الشرقية الألمانية (… 1930) UVB .

[4] George, Op.Cit,(1993) P.87.

[5] CAD, S, P.362^{a}.

[٦] دور شروگين: تعرف أطلالها اليوم بـــ خورسباد، وهي العاصمة الرابعة للدولة الأشورية شـــيدها الملـــك شَروُ كين الثاني (سرجون) (٧٢٢-٧٠٥ق.م) تقع على بعد ١٥كم شمال شرق الموصل. أول من نقب فيهـــا الفرنسي بوتا عام ١٨٤٢م ومن ثم فيكتور بلاس في المدة ١٨٥٢-١٨٥٤م وخلال الأعـــوام ١٩٢٩-١٩٣٥م نقبت فيها بعثة المعهد الشرقي في شيكاغو وأعقبتها بعثات عراقية في عـــام ١٩٣٩م وعـــام ١٩٥٧م وعـــام ١٩٩٣م. وكشفت فيها العديد من المعابد كمعبد سين وسيبيتي وأشور(شكل١). OIC.16, P.80f.

حول تنقيبات المعهد الشرقي يراجع: OIP, No.38; 40 .

" ešrēti namrāti sukki nakūlti ina qereb GN tabiš irmû انتقلت (الآلهة) بسرور إلى الهياكل البهية (و) الغرف المقدسة الغنية في (مدينة دور شروگين)"[١]. وذكرت النصوص المسمارية تسميات أخرى للدلالة على أبنية المعابد، منها على سبيل المثال كلمة ayakku وتعني بناء في المعبد[٢] وكلمة šahuru التي تعني بناية المعبد أو حجرته المقدسة[٣] وكذلك كلمة gagû التي تعني بناية أو جزء من منطقة المعبد مخصص للكاهنات من طبقة ناديتو[٤]. ربما كانت تشير هذه المصطلحات إلى أصناف محددة من أبنية المعابد.

الى جانب ذلك وردت العديد من النصوص المسمارية التي تذكر وصفاً لعملية بناء معبد أو ترميمه وتظهر مدى العناية والاهتمام التي أولاها الملوك لعمارتها كونها مخصصة لإله المدينة الحامي أو لأحد الآلهة العظام، ولعل من أبرز هذه النصوص ترتيلة الملك گوديا (٢١٤٤-٢١٢٤ق.م) حاكم لـــگش[٥]. إذ تصف تفاصيل عملية البناء والتجديد التي قام بها الملك لبناية معبد الإله ننكرسو المعروف بمعبد الخمسين في مدينة گرسو[٦].

كل التفاصيل والمعطيات المذكورة أنفاً، يضاف لها عامل الخبرة المكتسب جراء الحفريات المتواصلة قد ساعدت المنقبين في التعرف على المعبد وأهميته أولاً؛ وتصنيف مكانته بين بقية المعابد ثانياً. إلا أن الباحثين والمنقبين لم يضعوا آلية لتقسيم المعابد وفق انماط محددة، فمنهم من صنفها إلى شمالية وجنوبية، تبعاً لتغير الطرز العمارية بين الشمال والجنوب وكان المنقبين الالمان أمثال **روبرت كولدڤـــاي وڤـــالتر اندريه** أول من تبنى هذا التصنيف[٧]. إلا أن هذا النوع من التصنيف تعتريه العديد من المآخذ أبرزها أنه تعامل مع العناصر الحضارية بشكل مجتزأ فصنفها إلى شمالية (أشورية) وجنوبية (بابلية) بصورة تعطي انطباعاً بوجود اختلاف جوهري في القيم الدينية، والذي تمثل المعابد أحد أركانه المهمة. كما أن هذا التصنيف أقتصر على فترة زمنية محددة تبدأ من منذ العصرين البابلي

---

[1] CAD, S, P.361[b].

[2] CAD, "A" Part.I, P.224[b].

[3] CAD, "Š" Part.I, P.108[b].

[4] CAD, "G", P.10[a].

[٥] حول نص الترتيلة يراجع : RIME, Vol. 3/1, PP.68-101 .

[٦] گرسو: مدينة سومرية ذات شهرة واسعة، كانت تضم الكثير من المعابد والقصـــور ومنهـــا معبـــد للإلـــه ننـــگرسو والإلهة نانشة، وتعرف حاليا بتلو وتقع على بعد ١٦كم شمال شرق الشطرة في ذي قار، نقبت فيها بعثة آثارية فرنسية عبر مرحلتين الأولى بين عامي ١٨٧٨-١٩٠٠م برئاسة دي سارزيك والثانية مـــن عـــام ١٩٢٩م إلى ١٩٣٣م برئاسة اندريه بارو(شكل١).

Suter, C. E., "Gudea's Temple Building", CM.17, Netherlands(2000), P.31ff.

[7] Watanabe, K., Priests and Officials in the Ancient Near East, Heidelberg(1996), P.48.

والأشوري القديمين ولم تغطي العصور السابقة التي ظهرت فيها بنايات المعابد والممتدة إلى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، وان الاختلاف الذي قسمت على أساسه المعابد إلى شمالية وجنوبية لا يتعدى كونه اختلاف في التخطيط العماري بينهما، كما أن عمليات التنقيب في مطلع القرن العشرين تركزت في المواقع الشهيرة التي ورد ذكرها في التوراة وكتابات المؤرخين والرحالة كبابل وأشور، تلك الأسباب كلها أنفة الذكر دفعت فريقاً آخر من المنقبين أمثال **فرانكفورت** و**جاكوبسن** و**دوغلاس** وغيرهم إلى إتباع نمط مغاير يقوم على أساس الأهمية الوظيفية ومكانة الإله الذي خصص لأجله البناء وهو كالآتي:

١- المعابد الكبيرة

وهي معابد شيدت في المدن الرئيسة في العراق القديم، وخصصت للآلهة الكبيرة التي تأتي في قمة الهرم التنظيمي لمجمع الآلهة، وهي آلهة ذات صفات قيادية على غيرها من الآلهة الأقل منها مرتبة[١] ويعد هذا الصنف من المعابد، المركز الرئيس للإله وله يتوجه الجميع عند رغبتهم في التعبد إليه[٢] ومنها على سبيل المثال مبعد وزقورة إله القمر ننا(سين) في مدينة أور[٣] ومعبد الإله انليل في مدينة نيبور، ومعبد الإلهة (إنانا)عشتار في مدينة الوركاء.

٢- المعابد القومية

وهي معابد لآلهة رئيسة كانت تحمي مدناً خاصة بها، ثم أتيح لها وبفضل الفعل السياسي والعسكري للمدن التي عبدت فيها أن تتحول إلى آلهة ذات طابع قومي، وحملت صفات عدة من الآلهة الكبيرة الأخرى وأصبح لها نفوذ واسع. ومن أبرز هذه الآلهة الإله

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص١٢٨.

[٢] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١١٢.

[٣] أور: مدينة سومرية ذات شهرة واسعة تعرف أطلالها اليوم بالمقير وتقع على بعد ١٥كم جنوب غرب مدينة الناصرية و٣٦٥كم جنوب بغداد، بدأ التنقيب فيها عام ١٨٥٠م من لدن وليم لوفتس وأعقبه القنصل البريطاني تايلر عام ١٨٥٢م، غير أن التنقيب العلمي بدأ فيها عام ١٩٢٢م من لدن بعثة مشتركة أوفدها المتحف البريطاني ومتحف بنسلفانيا برئاسة ليونارد وولي واستمرت حتى عام ١٩٣٤م. وقامت مديرية الاثار بإجراء عمليات الصيانة فيها ولعدة مواسم منذ عام ١٩٦٠م. وكَشفت التنقيبات العديد من المباني الدينية والدنيوية لعل أبرزها زقورتها وبناية كيك-بار-كو ومعبد انكي ومعبد الميناء ومعبد دب-لال-ماخ والمقبرة الملكية العائدة لسلالة أور الثالثة. فضلاً عن مجاميع كبيرة من اللقى والكنوز الأثرية والنصوص المسمارية(شكل١).يراجع Woolley,S.L., Excavation at UR, London(1955), P.7ff . وكذلك: UR Excavation IX Vols. (1927-1976) . وحول أعمال الصيانة التي قامت بها مديرية الآثار يراجع: الصيواني، شاه محمد علي، "صيانة أثار أور في لواء الناصرية"، سومر، مجلد ١٧، ١٩٦١، ص٢٠٩-٢١٥؛ "الصيانة الأثرية في أور الموسم الثاني"، مجلد ١٨، ١٩٦٢، ص١٨١-١٩١.

أشور إله الأشوريين القومي والذي توسع نفوذه منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وكذلك الحال مع الإله مردوك عند البابليين أيضاً.

٣- المعابد المحلية

وهي معابد ذات طابع محلي تُعبد فيها الآلهة من لدن سكان مدينة معينة وما حولها[١]. وان معابد هذا الصنف لم تستمر لأكثر من فترة زمنية معينة. ومن هذه المعابد معبد الإله سين في خفاجة (توتوب)[٢]. ومعبد الإله آبو في تل اسمر(اشنونا)[٣] الذّين استمرا إلى بداية العصر البابلي القديم.

٤- المعابد البسيطة المنفردة

وهي معابد صغيرة جداً أقرب إلى المصليات، استخدمت من لدن السكان في أحياء المدن وخصص بعض منها لأصحاب المهن والحرف والصناعات كالطب والفلك والتنجيم وغيرها. وأشهر تلك المعابد معبد خندورسانغا في الحي السكني لمدينة أور والعائد إلى العصر

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص١٢٨.

[٢] خفاجة: هي بقايا المدينة السومرية توتوب، وتقع على الضفة اليسرى لنهر ديالى وتبعد ١٥كم شرق بغداد، بدأت بعثة من المعهد الشرقي في شيكاغو برئاسة فرانكفورت حفرياتها فيه عـام ١٩٣٠م واستمرت لغاية ١٩٣٨م. استُظهر خلالها العديد من المباني الدينية يعود معظمها لعصر فجـر السـلالات، أبرزهـا المعبـد البيضوي ذو التخطيط الفريد من نوعه في عمارة المعابد العراقية القديمة. وكُشف كذلك عـن عشـرة أدوار بنائية لمعبد إله القمر سين. وسبعة أدوار بنائية لمعبد الإله ننتو، فضلاً عن عدد مـن المصـليات الصـغيرة (شكل١). OIC.13, P.60f.

حول تنقيبات المعهد الشرقي في الموقع يراجع:

OIC : No.13, PP.60-112; No.16, PP.58-76; No.17, PP.63-80; No.20, PP.15-34.

[٣] تل اسمر: يمثل هذا الموقع أطلال مملكة اشنونا، التي كانت من دويلات المدن المهمة والكبيرة في عصر فجر السلالات، وكانت تمتد في أراضي واسعة خصبة في المثلث الكائن بين دجلة وديالى وتبعد ٢٥كم جنوب شرق بعقوبة وحوالي ٥٠ ميل شمال شرق بغداد. بدأت الحفريات فيه من لدن المعهد الشرقي فـي شـيكاغو برئاسة فرانكفورت في الفترة من ١٩٢٩-١٩٣٦، عثر خلالها على العديد من اللقى الأثريـة المهمـة، كمـا كُشف عن بقايا عمارية يرجع تاريخها إلى بداية الألف الثالث وحتى القرن الثامن عشر قبل المـيلاد، ويعـد معبد الإله آبو من أهم الأبنية المكتشفة في الموقع، كما استظهرت التنقيبات في الجانب الشمالي مـن الموقـع قصراً ومعبداً ملاصق له عرف بمعبد شو-سين(شكل١). OIC.13, P.1ff

لايك، كويندولن، معجم عمارة الشرق الأدنى القديم، ترجمة:غسان ياسين وكمال نادر، كوالالمبـور، ٢٠٠٣، ص٩٠.

حول تنقيبات الموقع يراجع:

OIC : No.13, PP.1-41; No.16, PP.1-53; No.17, PP.1-62; No.20, PP.1-14.

البابلي القديم، وقد تنتشر هذه المعابد في المواقع الريفية وتتوسط عدة قرى تتجمع حولها تدريجياً وتحولها إلى مدينة مركزية صغيرة[١].

٥- المعابد التعليمية

وهي معابد مخصصة لتعليم طبقة معينة من الأشخاص العلوم الكهنوتية ابتداءً بالكتابة ويعقبها تعليم اللغة والأدب والفلك والعرافة والطب وغيرها من العلوم الخاصة بطبقة الكهنة. ويعد معبد تل السيب[٢] العائد إلى العصر البابلي القديم نموذجاً لذلك الصنف من المعابد[٣].

يلاحظ على هذا النمط أنه لم يعول كثيراً على التخطيط العماري للمعابد، كما أنه لم يشمل نماذج الأبنية الدينية المكتشفة جميعها مما أقتضى وجود نمط أخر للمعابد يعتمد على الموازنة بين التخطيط العماري للمبنى والمكانة الدينية له.

وانطلاقاً مما سبق فقد صنَّف **حنون** أبنية المعابد إلى نمطين رئيسين يشمل الأول الأبنية المنفصلة ويشمل القسم الثاني الأبنية الملحقة ببنايات مختلفة، ومعابد كل قسم تتوزع على ثلاث مجموعات تشكل كل مجموعة صنفاً من الأبنية الدينية[٤] وهي كالآتي :

المعابد المنفصلة

يقصد بها المعابد على اختلاف أنواعها، التي شيدت أبنيتها بشكل مستقل عن الأبنية الأخرى، وهي قائمة بذاتها ولا تتصل بأي بناء أخر، وهذه الاستقلالية تدل بحد ذاتها على أهمية هذه المعابد وأدائها لوظائف دينية رئيسة في المدن والبلدات التي أنشئت فيها. وقسم هذا النمط إلى ثلاث مجاميع وفق عمارتها ووظائفها وهي على النحو الآتي:

١- المعابد الرئيسة

تُعد معابد هذا النمط أهم المباني الدينية في العراق القديم. إذ أنها شيدت في المدن الكبيرة وخصصت لإلهة المدن الرئيسة والتي كان لبعض منها معابد في أكثر من مدينة فشُيد لآنو وانليل وعشتار وغيرها من الآلهة العظام العديد من معابد هذا النمط توزعت على أكثر من مدينة، وضمت المدن المهمة أكثر من معبد رئيس كما في بابل وأشور وأور وغيرها من تلك المدن[٥] اتسمت أبنية هذا النمط بدقة تخطيطها وكمال عمارتها، لذلك فقد اشتملت على

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص١٢٩.

[٢] تل السيب: يقع إلى غرب نهر ديالى ضمن مجموعة التلول الصغيرة الموجودة في الجهة الشرقية من تل بردان، بدأ التنقيب فيه من قبل دائرة الآثار عام ١٩٧٧م وكُشف فيه عن أربع طبقات أهمها الطبقة الثالثة العائدة إلى العصر البابلي القديم. حنون، نائل، "تل السيب"، سومر، مجلد ٣٥، ١٩٧٩، ص٤٣٣.

[٣] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص١٢٩.

[٤] حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، جزء ٢، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٣.

[٥] المصدر نفسه، ص١٤.

المظاهر المميزة جميعها لأبنية المعابد العراقية القديمة ومن أهمها اتجاه زوايا البناء نحو الجهات الرئيسة الأربع، ورفع البناء بأكمله فوق مصطبة، وتزيين جدرانه الخارجية بالطلعات والدخلات، ووجود الحجرة المقدسة أهم أجزاء البناء، والتي تضم دكة الإله وتمثاله ودكة ثانية لتقديم القرابين.

لقد حاز هذا النمط من المعابد على اهتمام كبير من المنقبين والباحثين لما يعكسه من قيم ومعتقدات دينية، واهتمام الملوك بعمارتها وديمومتها بما ينسجم ومكانة الإله الذي خصص لأجله المعبد، كما تُظهر مقدار الرقي في الجانب العماري في كل عصر وتطورها عبر العصور التالية، ومن أمثلة المعابد الرئيسة معابد إنانا في الوركاء ومعبد انليل في نيبور ومعبد أشور في مدينة أشور ومعبد مردوك في مدينة بابل وغيرها الكثير.

٢- المعابد الثانوية

يأتي هذا النمط من المعابد بالدرجة الثانية بعد المعابد الرئيسة لكون الآلهة التي تشغلها أقل شأناً ومرتبة من الآلهة الكبار. وقد انعكس هذا على عمارتها التي كانت أقل ضخامة وهيبة من الصنف الأول[١]. إلا أنها تمتعت بعدد من مميزات المعابد العراقية القديمة. كانتظام وتناسق المخطط العام واتجاه أضلاعه نحو الجهات الأربع الرئيسة، واحتواء جدرانه الخارجية على الطلعات والدخلات فضلا عن العناصر الأساسية المتمثلة بالحجرة المقدسة ودكة الإله ودكة القرابين. ومن أبرز نماذج هذا الصنف المعابد الصغيرة في خفاجة[٢]. والمعبد الشمالي في نيبور[٣]. العائدين لعصر فجر السلالات.

٣- المصليات العامة

تمثل المصليات العامة الصنف الثالث من المعابد المنفصلة في العراق القديم وكانت مخصصة لعبادة آلهة ثانوية. وشيدت هذه المصليات بمخططات مختلفة لا تتبع معايير ثابتة تغلب عليها البساطة وتعتمد في أشكالها على المساحة المتوفرة للبناء في وسط الحي السكني[٤] ولذلك افتقدت العديد من العناصر المميزة لعمارة المعابد العراقية القديمة. ويستدل على وجودها من خلال ما يرد في النصوص المسمارية من إشارات إليها كنصوص التكريس وجداول الآلهة، كما يساعد وجود العناصر الأساسية المتمثلة بالحجرة المقدسة والكوة التي تكتنف دكة الإله في التعرف عليها خلال التنقيبات.

---

[١] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٣١.

[2] OIP.58, P.104ff .

[3] OIP.97, P.3.

[٤] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٤١.

ومن أمثلة هذه المصليات ما كشفت عنه تنقيبات **وولي** في مدينة أور، إذ عُثر على أربعة مباني من هذا الصنف. كان أحدها مخصصاً للإله خندورساك[١] والأخر للإله ننشبور[٢]، أما المصليان الآخران فلم يعرف أسم الإله الذي كان يعبد في كل منها، ولكن أطلق على إحداها أسم مصلى الكبش وعلى الأخر أسم مصلى السوق، بالاعتماد على نص مسماري يذكر المصلى الأول أما الآخر فقد جاءت تسميته نسبة إلى موقعه في السوق[٣].

ثانيا: المعابد الملحقة بمباني أخرى

تمثل المعابد الملحقة القسم الثاني من أنماط المعابد، ويقصد بها المعابد التي كانت تشغل جزءً من أبنية عامة أو خاصة أو كونها مرتبطة بها، وتقسم هذه المعابد على ثلاثة أصناف هي:

١- المعابد الملحقة بأبنية عامة

وهي معابد ملحقة بأبنية ذات صفة عامة أو دنيوية كالقصور مثلاً ويدل ارتباطها بتلك الأبنية، على رفعة ومكانة الإله المعبود فيها ودوره المؤثر في الحياة العامة. وقد امتازت عمارتها بوجود معظم الخصائص المميزة للمعابد، ويتضح ذلك من عمارة وتخطيط المعبد الملحق بقصر شو-سين إذ حُرف بناء المعبد بأكمله عن القصر ليطابق الجهات الأربع الرئيسة كما زينت جدرانه الخارجية بالطلعات والدخلات فضلا عن أحتوائه على الخصائص الأساسية وهي الحجرة المقدسة ودكة الإله والقرابين[٤]. وإن لم تكن هذه الخصائص متوفرة في أبنية المعابد ذاتها فتوجد في المباني التي تحتويها. كما في بناية كيك-بار-كو[٥] في أور إذ وجهت أضلاعها نحو الجهات الأربع الرئيسة وزينت جدرانها بالطلعات والدخلات.

٢- مصليات في أبنية عامة

تمثل هذه المصليات النمط الثاني من المعابد الملحقة، وتعد أكثر شبهاً بالمصليات العامة المنفصلة والمصليات الملحقة بالمنازل. لكون البنايات العامة التي ضمتها أقل شأناً

---

[١] خيندورساك : إله الحراسة الليلية عرف كمستشار لاوتو إذ دُعيَ بمنادي الشارع الهادئ، أما نسبه فيشوبه الغموض إذ تذكر إحدى النصوص بأنه الأبن الغير شرعي لاوتو من ننليل. Leick, Op.Cit, P.82

[٢] ننشبور: سيد أو سيدة الشرق، وعرف بأنه الإله الحامي لـ اوروانجمينا حاكم لـكش وهو مبعوث الإله آنو أو إنانا . Ibid, P.134 .

(3) UE.VII, P.31f .

(4) OIP.43, P.9ff .

[٥] يقع هذا البناء جنوب غرب الزقورة محاذياً للجدار المحيط بها، شيده الملك امار - سين (٢٠٤٧-٢٠٣٩ق.م) حفيد اورنمو (٢١١٣-٢٠٩٦ق.م) لابنته شالتي الكاهنة العليا لمعبد ننار إله القمر، الصيواني، شاه محمد علي، أور، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٦.

من الأبنية التي احتوت معابد ملحقة وبذلك فهي لا تضم سوى العناصر الأساسية للبناء الديني كالحجرة المقدسة ودكة الإله ودكة القرابين وأحياناً الكوة التي تضم دكة الإله[١] ومن أبرز نماذج هذا الصنف مصلى القاعة العامة في اشنونا[٢].

٣- المصليات المنزلية

احتوت عدد من الدور السكنية على حجرات خاصة[٣] عدها المنقبون مصليات خاصة بالعوائل التي كانت تقطنها ولم تخضع هذه المصليات لمعايير ثابتة فقد اختلفت مواضعها وفق اختلاف مخطط كل دار، لكنها في الغالب كانت تشغل القسم الخلفي من الدار بعيداً عن المدخل[٤] وذلك تقليداً لموضع الحجرة المقدسة في بناية المعبد[٥] وتضم تلك المصليات دكة إله إله وأحياناً توجد كوة خلفها، وفي أحيان أخرى كان هذا المصلى يضم في أحد أطرافه قبواً أستخدم كمدفن للعائلة. ومن نماذجها المصليات المكتشفة في الدور السكنية لمدينة أور ذات الأرقام ١،٣،٧،١٢ والعائدة إلى العصر البابلي القديم[٦].

يعد هذا التقسيم الأحدث زمناً إذ جاء بعد الاطلاع على معظم نماذج المعابد المكتشفة خلال التنقيبات الأثرية، كما شمل الأبنية الدينية كلهّا وعلى مختلف العصور ويسرَ هذا التقسيم فهم طبيعة مخططات المعابد من خلال توزيعها ضمن النمط الملائم لها اعتماداً على هيئتها العمارية والأدلة المادية والنصوص المسمارية.

وقسم فريق رابع من المنقبين أبرزهم **سيتون لويد** الأبنية الدينية إلى صنفين أساسيين جمع الصنف الأول الأبنية الدينية كلهّا التي ورد ذكرها في الأنماط السابقة ووضعت تحت مسمى المعابد الأرضية. أما الصنف الثاني فأطلق عليه المعابد العالية أو المعابد البرجية، ويقصد بها أبنية الزقورات[٧].

وان أسم الزقورة مأخوذ من الكلمة الاكدية Ziqquratu[٨]. والتي تعني المعبد العالي أو أو

---

[١] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٤٥.

[2] OIP.43, PP.100-115.

[٣] حول حجرة الطقوس السكنية والآراء المتعلقة بها يراجع: الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٣٢-١٣٥.

[٤] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٤٦.

[٥] حول موضع الحجرة المقدسة في المعابد العراقية القديمة، يراجع المبحث الأول من الفصل الثاني.

[6] Woolley, Op.Cit, P.29 .

[٧] لويد، المصدر السابق، ص١٧٨.

[8] CAD, Z, P.129^{b}.

البرج المدرج أو ما علا وسمى من البناء[1]. وقد جاءت هذه التسمية لتدل على هيئتها العمارية المميزة. فهي مباني تكون أعلى من الأرض فوق مرتفعات صناعية متدرجة، بحيث يحتل المعبد طبقتها العليا، ولا يقل عدد طبقاتها عن ثلاث. ولم تكن هذه المعابد متاحة للجميع[2] كونها مخصصة لأجل الالهة عند هبوطها إلى الأرض[3]. ومن أقدم نماذج الزقورات المعروفة زقورة أور التي شيدها الملك اورنمو(٢١١٢-٢٠٩٦ق.م)، أما الزقورة الأكثر شهرة بين المؤرخين والباحثين فهي زقورة مدينة بابل المعروفة بايتمنانكي[4].

ومن خلال الأدلة الاثارية المتاحة حول عمارة هذه الزقورات يتبين إنها استخدمت عدداً لا باس به من عناصر عمارة المعابد، أهمها توجيه زواياها نحو الجهات الأربع الرئيسة واستخدام الطلعات والدخلات في تزيين الواجهات الخارجية [5]. كما أن نصوص التكريس والتجديد التي وضعها الملوك أثناء قيامهم ببنائها، والأسماء الخاصة التي أطلقت عليها والتي تختلف عن أسماء المعابد الملحقة بها[6] تشير إلى كون الزقورات صنف متميز من الأبنية الدينية في العراق القديم.

إلا أن هذا التصنيف للأبنية الدينية يفتقر لأمور عدة، منها أنه تجاهل الأنماط العديدة للمعابد، كما أنه لم يحاول وضع تفسير واضح لمصطلح المعابد العالية وهل المقصود بها الزقورات فقط أم إنها تشمل المعابد التي أقيمت فوق مصاطب كمعبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد ومعبد الإله آنو الأبيض في الوركاء وغيرها من تلك المعابد.

---

[1] للمزيد من التفصيل حول تسمية الزقورة يراجع: جرك، أوسام بحر،"الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص٥-٢١.

[2] هناك العديد من الآراء التي أثيرت حول أصل الزقورة والغاية منها للمزيد عنها يراجع: جرك، المصدر نفسه، ص٦٢-٦٨.

[3] لويد، المصدر السابق، ص١٧٩.

[4] مورتكات، انطون، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥، ص١٩٢.

[5] جرك، المصدر السابق، ص٧٨.

[6] حملت أبنية الزقورات أسماء تمييزية مختلفة عن أسماء المعابد الملحقة بها، منها على سبيل المثال زقورة مدينة بابل ايتمنانكي المخصصة لمعبد الإله مردوك الايساكيلا. وكذلك زقورة مدينة نيبور E.gi.gunu المخصصة لمعبد الإله انليل E.kurra . المصدر نفسه، ص١٩.

ثانياً : تطور مخططات المعابد

لا تتوفر معلومات دقيقة حول وجود أبنية المعابد وطبيعة مخططاتها وأشكالها قبل عصر العبيد[١]. رغم أن عدداً من المنقبين يعدون بعض المباني ذات المخططات العمارية المختلفة من موقع أثري واحد مزاراً أو معبداً. إلا أنه لم تثبت صحتها حتى الآن، ولا يمكن عدها في مجموعة المعابد الحقيقية ذات الخصائص الموضعية والعمارية المميزة. وعلى النقيض من تلك المباني، كانت معابد عصر العبيد وما بعده قد وصلت حالة من النضج العماري توضحت في كثير من المدن المشهورة، وتحولت هذه المعابد إلى شواهد عمارية دائمية قابلة للتطور ومحافظة على موقعها وكذلك على أسمها وخصائصها[٢]. وتمكنت التنقيبات الأثرية في بعض الحالات من تتبع آثارها إلى بناياتها الأولى[٣].

لقد أفاد المنقبون والباحثون من التعاقب العماري في أبنية المعابد بشكل كبير، إذ مكنهم من معرفة سلسلة التطور التخطيطي والتنظيمي لها ونسبها إلى العصر والنمط الذي تنتمي إليه بصورة دقيقة، يعينهم في ذلك بقايا الملتقطات الأثرية المستظهرة في كل طبقة وطرزها الفنية وكذلك النصوص المسمارية[٤]. كما أسهم هذا التعاقب بصورة فاعلة في وضع أسس وقواعد تطور البناء الديني في العراق القديم من خلال مقارنتها مع بعضها في أدوارها البنائية في الموقع ومع ما يعاصرها في مواقع أخرى، لذلك استحوذت دراسة مخططات المعابد وتطورها على أهتمامهم لكونها تمثل سجلاً مادياً لتاريخ النشاط العماري وتطور طرزه بشكل عام،

---

[١] عصر العبيد: فترة من عصور قبل التاريخ تقدر من (٤٥٠٠-٣٨٠٠ق.م) حملت سمات حضارة واحدة امتدت من جنوب العراق إلى شماله، كان من أهمها الفخاريات ذات اللون التبني المائل للخضرة والمزينة بنقوش سوداء أو بنية، وقد وجدت هذه السمات لأول مرة في تل العبيد، فعرفت الحضارة والعصر باسمه ويقع هذا التل بالقرب من مدينة أور الأثرية ويبعد مسافة ٢٥كم جنوب مدينة الناصرية، أول من نقب فيه وولي وهول عام ١٩١٩م، ويعد المعبد السومري المكرس للإلهة ننخورساك أبرز المعالم العمارية فيه(شكل١).

للمزيد عن عصر العبيد والخصائص العمارية والحضارية يراجع:

Perkins, A. L., The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, SAOC25, Chicago(1977), PP.46-96.

للمزيد عن تنقيبات وتخطيط المعبد يراجع :

Forest, D. J., Les Premiers Temples de Mésopotamie, BAR765,Oxford(1999), PP.33-54.

[٢] سعيد، المصدر السابق ، ١٩٨٨، ص١٢٧.

[٣] ساكز، المصدر السابق، ص٤٩.

[٤] حول تسلسل الأدوار الحضارية وتحديد أزمانها يراجع : باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص١٣٥-١٥٩.
.١٥٩

وانعكاساً لروح العصر الذي تنتمي إليه. كما تظهر هذه المخططات أثر المعتقدات الدينية في صياغتها ومدى قدرة المعمار في أستنباط وبلورة أساليب عمارية مميزة في التعبير عنه.

مخططات المعابد في عصور قبل التاريخ (حدود ٣٥٠٠-٢٩٠٠ق.م)[١].

قام المختصون في مجال العمارة القديمة بدراسة وتحليل العديد من مخططات المعابد بغية معرفة نسقها التطوري، ووضعوا لأجل ذلك النظريات والفرضيات التي تفسرها. إلا أن طول الفترة الزمنية التي ظهرت فيها أبنية المعابد والممتدة لما يقارب أربعة ألاف عام، وكذلك تنوع الأقوام الوافدة وكثرتها، وما رافقها من تأثير حضاري واضح في شتى مجالات الحياة ومنها الجانب العماري بوجه خاص، كما أن التخطيط المنتظم الأبعاد يعد من البديهيات التي توصل إليها المعمار العراقي القديم عبر سلسلة طويلة من التجارب في العصور التي سبقت ظهور أبنية المعابد، قادته إلى إدراك متكامل لطبيعة التخطيط والتنظيم العمراني، فضلاً عن رفعة وسمو البناء الديني الذي أوجب على المعمار إبداء العناية اللائقة به وإظهاره بأكمل صورة. لذا لا غرابة في أن تكون أولى مخططات المعابد العائدة إلى عصر العبيد الأول في مدينة اريدو والمتمثلة في الطبقات XVII و XVI [٢]. منتظمة التخطيط(المخططات ١-٣)[٣].

كل تلك المعطيات المذكورة آنفاً جعلت من الصعب على الباحثين اعتماد عنصر عماري منفرد أو طراز تخطيطي معين لقياس تطورها، فلجأوا إلى انتخاب عناصر تخطيطية وتنظيمية برزت ضمن فترات زمنية معينة. فخلال عصور ما قبل التاريخ شكل التخطيط ذو التوزيع الثلاثي للوحدات الداخلية سمة بارزة لمخططات المعابد في تلك الفترة. وذلك بسبب معرفة المعمار المسبقة بهذا النوع من التخطيط واستيعابه للعناصر التنظيمية والعمارية جميعها. فمن المعروف أن التخطيط الثلاثي للوحدة البنائية في العراق القديم يمكن تأصيله، أستناداً إلى الشواهد الأثرية المتوفرة إلى فترة بدايات الألف السادس قبل الميلاد ومن نماذجه دور السكن في مستوطنة يارم تبة من عصر حسونة[٤]. وشاع هذا الطراز بعد

---

[١] اعتمدنا في تحديد العصور وسني حكم الملوك على ما جاء في كتاب اوبنهايم
Oppenheim, L. Ancient Mesopotamia Portait of a Dead Civilization, Chicago(1964)
وكذلك كتاب باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦.

[٢] أعتمدنا في تحديد أرقام طبقات المعابد على ما ورد في تقارير البعثات التنقيبية في المواقع الأثرية.

[3] Safar, et. al, Op.Cit, P.86f .

[٤] عصر حسونة: يمثل الدور الأول من أدوار العصر الحجري المعدني(٥٠٠٠-٣٥٠٠ق.م)، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى تل حسونة الواقع في ناحية الشورة على بعد ٣٥كم جنوب شرق الموصل. وقد وجدت فيه لأول مرة الأواني الفخارية والأدوات الأخرى المميزة لهذا الدور ضمن الطبقات(Ib-VI) من مجموعة ستة عشر طبقة نقبتها مديرية الآثار عام ١٩٤٣م برئاسة فؤاد سفر وسيتون لويد، وأهم المواقع التي أنتشرت فيها حضارة هذا العصر يارم تبة وتل الصوان. باقر، المصدر السابق،١٩٨٦،ص٢١٠.

ذلك خلال عصر سامراء[١] وأهم نماذجه الأبنية المنتشرة في مستوطنة تل الصوان الطبقة الثالثة[٢] ويستمر طراز التخطيط الثلاثي في العصور اللاحقة إذ أنتشر خلال عصر العبيد في شمال وجنوب العراق[٣]. ومن أشهر المستوطنات التي أنتشر فيها هذا التخطيط العماري موقع تل عبادة[٤] وتلول الثلاثات[٥] وبعض مستوطنات سد حمرين (مخطط ٤). وفي موقع تبة كاورا[٦] وجدت مخططات نموذجية منذ أقدم الطبقات XIX وXV وXIV وXII إذ كانت متشابهة في وحدة التركيب الثلاثي رغم اختلاف قياساتها وكان المدخل في الغالب يقع في الجانب القصير من البناء ويؤدي مباشرة إلى المحور المركزي[٧]. إن وجود هذا المحور ملائم للصفة الدينية التي أوجبت وجود جزء مميز من البناء، خاصة بعد تطور أبنية المعابد من وحدة عمارية منفردة إلى وحدات عدة يضمها بناء واحد بفعل تعاظم شأن المعبد ودوره

[١] عصر سامراء: يمثل الدور الثاني من أدوار العصر الحجري المعدني، وعرف بهذا الاسم نسبة إلى مدينة سامراء العباسية، إذ عثر فيه المنقبون الألمان عام ١٩١٤م لأول مرة على الفخار المميز لهذا العصر، ومن أبرز المواقع التي أنتشرت فيها حضارة هذا العصر موقع تل شمشارة الطبقات (IX-XIII) وتل الصوان (III-V) والاربجية. باقر، المصدر نفسه، ص٢١٨.

[٢] تل الصوان: مستوطن من عصور ما قبل التاريخ يقع على بعد ١١كم جنوب مدينة سامراء، بدأت التنقيب فيه مديرية الآثار العامة برئاسة بهنام أبو الصوف عام ١٩٦٤م وكشف فيه عن عدة طبقات أثرية يعود تاريخ أقدمها إلى بداية الألف السادس قبل الميلاد. وقد أعطى هذا التل تسلسلا حضاريا من عصر حسونة وانتقاله في الطبقة الثالثة لعصر سامراء والذي أستمر في الطبقتين الرابعة والخامسة(شكل١). للمزيد يراجع:

أبو الصوف، بهنام، "التنقيب في تل الصوان الموسم الرابع ١٩٦٧"، سومر، مجلد ٢٤، ١٩٦٨، ص٣٧.

[٣] الجادر، وليد محمود؛ عبد الله، زهير رجب، "رأي في التخطيط الثلاثي في العمارة العراقية القديمة"، سومر، مجلد ٥٠، ٩٩-٢٠٠٠، ص٢١٣.

[٤] تل عبادة: يقع في الجانب الشرقي لنهر ديالى على بعد ١٢كم جنوب شرق ناحية السعدية، وقد أسفرت عمليات التنقيب فيه عن ظهور ثلاث طبقات بنائية متميزة تعود جميعها إلى عصر العبيد. للمزيد يراجع:

عبود، صباح، "تل عبادة"، سومر، مجلد ٣٥، ١٩٧٩، ص٥٢٥.

[٥] تلول الثلاثات: مجموعة من التلول تقع على بعد ١٥كم إلى شمال شرق تلعفر، وقد باشرت البعثة اليابانية موسمها الأول فيه عام ١٩٥٦م برئاسة ناميو، وقد كشف فيها عن بقايا مستوطنات تعود لعصور ما قبل التاريخ(شكل١).

Egami, N., "The Preliminary Report of the Excavations at Telul Eth – Thalathat" SUMER, Vol.13,(1957), P.5.

[٦] تبة كاورا: موقع أثري يبعد نحو ١٥ ميلاً شمال شرقي الموصل، بدأت التنقيبات فيه من قبل بعثة جامعة بنسلفانيا الأمريكية عام ١٩٢٧، وأظهرت التنقيبات بقايا ٢٦ طبقة أثرية، تمثل حقبة زمنية طويلة مداها ٣٥٠٠سنة. وأكتشف في هذا الموقع العديد من المعابد تعود إلى عصر العبيد والوركاء وجمدة نصر وفجر السلالات(شكل١). صالح، المصدر السابق، ص٤٠.

[7] Roaf, M., "Ubaid Houses and Temples", SUMER, Vol.43, (1984), P.81.

في إدارة شؤون المجتمع[١]، كما أن التخطيط الثلاثي سهل على المعمار توزيع الوحدات العمارية حول الفضاء المركزي بصورة منتظمة.

وامتازت أبنية المعابد التي استخدمت هذا النوع من التخطيط عن أبنية الدور السكنية التي اتبعت التخطيط ذاته، في إنها كانت أبنية صمم لها أن تكون بالشكل الذي بنيت عليه، ووضع لها التخطيط الكامل، أي أنها لم تكن مجرد أبنية بنيت بصورة عشوائية بإضافة جدران إلى أخرى كلما تطلب الأمر انجاز وحدة بنائية قابلة للتمدد في أي وقت كما هو الحال مع أبنية الدور السكنية[٢].(المخطط ٤- أ،ب،و) .

ومن خلال الدراسات والمقارنات التي أجراها المنقبون والباحثون على مخططات المعابد الثلاثية التوزيع وتحديداً محورها المركزي، أمكن وضع صيغة تطورية لهذا التخطيط مبتدأ من الشكل المستطيل الكامل للمحور المركزي والذي مثلته معابد اريدو في الطبقات XI وIX العائدة لعصر العبيد الثالث(مخطط ٥ و٦)، ومعابد تبة كاورا في الطبقة XIII (مخطط٧) والمعبد الأول والثاني في مدينة الوركاء العائدة لعصر العبيد الرابع(مخطط ٨و٩)، واستخدم هذا النوع من التخطيط في عصر الوركاء أيضاً، إذ نجده في معابد الطبقات IX-XI من موقع تبة كاورا(مخطط١٠ أ،ب،ج) وكذلك المعبد F والمعبد B من الطبقة V-IVb (مخطط١١ و،هـ) والمعبد الأبيض للإله آنو في الطبقة B(مخطط١٢) والمعبد المصبوغ في تل العقير(مخطط١٣)[٣]. كما نجد هذا التخطيط كذلك في معبد سين الطبقات I-II في خفاجة والعائدة لعصر جمدة نصر(مخطط١٤و١٥).

ويلاحظ على هذا النوع من التخطيط ذو الشكل المستطيل للمحور المركزي أنه بقي مستمراً إلى جانب المخططات التي تطورت منه، والتي يأتي في مقدمتها معبد اريدو الطبقة VIII العائدة إلى عصر العبيد الثالث والذي أتخذ محوره المركزي شكل الحرف

---

(1) Ibid, P.82.

(٢) جورج، دوني، عمارة الألف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص١٠٣.

(٣) العقير: يقع هذا التل الأثري على بعد ٨٠ كم جنوب بغداد، عند منتصف المسافة بين المسيب على نهر الفرات والصويرة على دجلة باشرت مديرية الآثار بالتنقيب فيه عام ١٩٤٠ وكشف فيه عن بقايا معبد شيد على مصطبة صلدة يرقى تاريخه إلى دور الوركاء وعرف بالمعبد المصبوغ، واستؤنف التنقيب في الموقع عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٥٩، ومن ثم باشرت بعثة ألمانية العمل فيه عام ١٩٧٨، وقد أظهرت تلك التنقيبات أثار تعود إلى خمسة أدوار حضارية تبدأ من دور العبيد وتنتهي بالعصر الاكدي. للمزيد يراجع
سفر، فؤاد، "حفريات تل العقير"، سومر، مجلد ١، ١٩٤٥أ، ص٢١-٢٣؛ صالح، المصدر السابق، ص٢١٢.

اللاتيني (I)[١](المخطط١٦) واستمرت هيئته هذه في معبد الطبقة VII العائدة لعصر العبيد الرابع(مخطط١٧)[٢] ونوعاً ما في الطبقة VI من الموقع والعصر ذاته(مخطط١٨)[٣].

ومن مدينة الوركاء العائدة إلى عصر الوركاء المتأخر ظهر نشاط عماري ملفت للانتباه تجسدت ذروته في معابد إنانا في الطبقات IV-V التي أتسمت بكمال عمارتها ودقة تخطيطها الثلاثي الذي انتهج صورة متطورة لشكل محورها المركزي، فقد أتخذت شكل الحرف اللاتيني (T) ومن نماذجه معبد الحجر الكلسي[٤] والمعبد A من الطبقة V و IVb (المخطط١١-أ،ب) والمعبد C و D من الطبقة IVa(مخطط١٩-أ،ب)[٥] ومن عصر جمدة نصر معبد العيون في تل براك(مخطط٢٠)[٦].

وظهر آخر نمط تطوري للمحور المركزي في معبد المخاريط الحجرية من مدينة الوركاء والعائد للطبقة IVa وقد أتخذ شكل الحرف اللاتيني (L)، إلا أن ظهور هذا النمط بشكل منفرد، وابتعاد الفضاء المحوري عن مركزيته المعهودة قللت من احتمالية كونه سمة تطورية سائدة في التخطيط الثلاثي.(مخطط٢١)[٧].

ومع نهاية عصر جمدة نصر أنحسر استخدام التخطيط الثلاثي في أبنية المعابد، إذ لم تكشف التنقيبات الأثرية حتى الآن عن أبنية معابد تعود للعصور اللاحقة شيدت وفق هذا النوع من التخطيط، سوى التي كانت مقامة أصلاً في عصور قبل التاريخ، واستمرت عمليات إعادة بنائها في العصور اللاحقة.

عصر فجر السلالات (حدود ٢٩٠٠-٢٣٧١ق.م)

---

(١) سفر، فؤاد، "حفريات مديرية الآثار في اريدو"، سومر، مجلد ٤، ١٩٤٨، ص٢٨٢.

(٢) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٣٠.

(4) UVB XXI, P.16.

(٥) مهدي، المصدر السابق، ص٨٤-٨٥.

(٦) تل براك: يقع على نهر الخابور ضمن الحدود السورية، نقبت فيه بعثة بريطانية برئاسة ماكس مالوان منذ العام ١٩٣٨م وكشف فيه عن أربعة أدوار بنائية لمعبد العيون يعود تاريخ أقدمها إلى عصر الوركاء المتأخر وأحدثها إلى نهاية عصر جمدة نصر، وقد أقيم لاحقاً فوق هذا البناء الحصن الاكدي(شكل١).

حول تنقيبات الموقع يراجع :

Mallowan, M.E.L.,"Excavation at Tell Brak and Chagar Bazar", IRAQ, Vol.9, (1947), P.1-2

(7) UVB XV, P.8.

يعد عصر فجر السلالات[١]. الذي أستمر خمسة قرون تقريباً من العصور التاريخية البارزة في العراق القديم، إذ أمتاز هذا العصر بازدهار ونضج لعناصر الحضارة المادية والمعنوية التي تكونت أوجهها الأولى في العصور السابقة[٢]. وأستمرت هذه العناصر بالتطور خلال هذا العصر وذلك باستنباط أساليب خاصة قائمة على التغيير والتحوير؛ للتعبير عن فكر السومريون التواق لروحية العصر الجديد والتي سادت فيه لغتهم السومرية وثقافتهم وحكمت فيه سلالاتهم أغلب مدن العراق القديم.

ويُعد فن العمارة من العناصر الحضارية التي أحرزت تقدماً بارزاً في عصر فجر السلالات بشكل عام والعمارة الدينية منها بشكل خاص، إذ رافق بدايات الانتقال لعصر فجر السلالات بوادر أولية لاتجاه عماري جديد[٣] أمتد من أستخدام اللبنة المنفردة إلى أسلوب عمل عمل الأسس، ومن التخطيط الجزئي إلى التخطيط الكلي[٤]. ويمكن التعرف على صوره الأولى في عصر جمدة نصر وتحديداً في طبقات معبد سين الأولى في خفاجة العائدة لعصر جمدة نصر (مخططات ١٤و١٥و٢٢-٢٤) والذي تمثل بظهور الفناء بوصفه عنصراً جديداً في مخططات المعابد، وأصبح فيما بعد صفة ملازمة لمعابد هذا العصر والعصور اللاحقة[٥].
اللاحقة[٥].

جاءت مخططات المعابد في هذا العصر لتعكس النظرة السومرية الخاصة إلى الحياة التي تخللت ريازتهم لتلك المعابد في أعقاب حقبة جمدة نصر وإعادة صياغة الأسلوب التخطيطي[٦] والذي كان من نتائجه انحسار ملحوظ في النمط الثلاثي وبروز الفناء بوصفه محوراً موزعاً للوحدات العمارية.

---

[١] وضع هذا المصطلح المنقب فرانكفورت بالاستناد إلى نتائج التنقيبات الأثرية في مواقع ديالى التي كان يتولى الإشراف على بعض منها. وقد أطلق على هذه الحقبة تسميات أخرى منها عصر ما قبل سرجون، وعصر اللبن المستوي المحدب لشيوع استعماله في أبنية ذلك العصر، وعصر لكش نسبة لمدينة لكش السومرية، وأخيراً أطلق عليه عصر دول المدن السومرية. يراجع : OIP.60, P.5ff.
باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٢٥٥.
حول الأوضاع السياسية والعامة في هذا العصر يراجع : باقر، المصدر نفسه، ص٢٨٧-٣٤٤ وكذلك كريمر، المصدر السابق، ١٩٧٣، ص٤٣-١٤٧.

[٢] لويد، المصدر السابق، ص١٠١.

[3] Frankfort, H., Art and Architecture, London(1956), P.21.

[٤] مورتكات، المصدر السابق، ص٦٤.

[٥] عبد الرزاق، جنان عبد الوهاب، جدلية التواصل في العمارة العراقية القديمة، بغداد، ٢٠٠٣، ص٢١٥.

[٦] عكاشة، ثروت، الفن العراقي القديم، جزء ٤، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٥٣.

لقد اتسمت المعابد في عصر فجر السلالات بمحافظتها على مخططاتها السابقة سواء التي أنشئت قبل هذا العصر أم خلاله على الرغم من عمليات إعادة البناء المتكررة، وتقدم طبقات معبد سين العشرة وطبقات معبد ننتو السبعة من خفاجة مثالاً على ذلك ، وكما يمكن ملاحظة الأسلوب ذاته في معبد إنانا والمعبد الشمالي في نيبور.

كما أن هذه المعابد حافظت على أنتظام تخطيطها المعتاد منذ فترات سابقة، والذي يظهر بانتظام تخطيط الوحدات الداخلية للمعبد واتخاذها أشكالاً هندسية متناسقة، بالرغم من عدم أنتظام الشكل الخارجي في عدد من الحالات، والتي يعزى سببها لعدة نقاط أهمها: افتقار المعمار لحرية الفضاء المكاني المخصص لإنشاء المعبد والتزامه بالتخطيط القديم عند إعادة البناء[١]. ويقف معبد سين في خفاجة مرة أخرى مثالاً على ذلك، كما تلعب الصفات العمارية المحلية دوراً في عدم أنتظام الشكل الخارجي أيضاً، وذلك ما نلاحظه في معبد إنانا(مخطط٢٥) والمعبد الشمالي(مخطط٢٦) في نيبور، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود نماذج ذات تخطيط خارجي منتظم ففي تل اجرب كُشف عن معبد للإله شارة وكان ذو تخطيط داخلي وخارجي غاية في الإتقان. ويظهر هذا الانتظام في أكثر من معبد عائد للعصر نفسه.

ويبرز المظهر الخارجي لبعض المعابد اتجاهاً لتلطيف وتدوير المظهر المستطيل وهو أتجاه ظهر في أستخدام اللبن المستوي المحدب، ويمكن مشاهدته أيضاً في المخطط الأرضي والعماري للمعبد البيضوي في خفاجة(مخطط٢٧) ومعبد ننخورساك في العبيد (مخطط٢٨)[٢]. والتي يمكن عدها نماذج أستثنائية التصميم فريدة في نوعها لا يوجد مثلها في عصور سابقة أو لاحقة.

وأمتد التغيير ليشمل كذلك أسلوب عمل الأسس في البناء، فبينما كانت جدران المعابد في العصور السابقة تشيد على أمتداد سطح الأرض المستوية أو بأعماق بسيطة أصبحت جدرانها الآن تدفن عميقاً في الأرض في خنادق محفورة، وبهذه الوسيلة حدث اندماج حقيقي بين البناء المرتفع والأرض التي يقوم عليها[٣]. فضلاً عن وضع أسُس البناء المقدس في باطن الأرض لا فوقها، برزت فكرة أخرى كانت غير معروفة في العصور السابقة، تتمثل في عزل المعبد عما يحيط به من أشياء دنيوية غير طاهرة، فالمعبد البيضوي في خفاجة لم تبنى جدرانه الخارجية على أسس محفورة وإنما شيدت البناية بأكملها فوق حفرة مملوءة بالرمل

---

[1] Crawford, H., Sumer and Sumerians, Cambridge(2002), P.65.

[٢] مورتكات، المصدر السابق، ص٦٤.

[3] Frankfort, Op.Cit, P.22.

النقي[١]. وأكثر من هذا أصبح البناء المقدس مفصولاً عن المباني المحيطة به بواسطة بناء جدار سميك ثانٍ حول جدرانه الأساسية، يمثل جداراً واقياً للمعبد[٢].

وتشير كل هذه التفاصيل في العمارة الدينية إلى التغير الذي حدث في ذهنية السومريين ودوره في بلورة الأساليب العمارية الخاصة بهذا العصر والتي أثرت في شكل ومضمون العمارة الدينية خلال هذا العصر والعصور اللاحقة، فقد استمرت أغلب تلك الأساليب وبشيء من التطوير حتى نهاية العصر البابلي القديم، بل وأنتقل بعضها إلى مبانٍ أخر لا تحمل صفة دينية كالقصور.

العصر الاكدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ق.م)

إن التحول الذي حدث خلال العصر الاكدي المتمثل في إدارة المملكة وتوحيدها كان له الأثر الواضح على المعطيات الحضارية بشكل عام والذي انعكس بدوره على العمارة[٣].

فقد كُشف في تل المقدادية[٤] من الطبقة الثانية العائدة إلى العصر الاكدي المتأخر على نموذج فخاري لمعبد ذو تخطيط محوري والذي يُظهر أن الانتقال من المحاور المنكسرة إلى المحاور المتقابلة في تخطيط المعابد العراقية قد بدأ في هذا العصر[٥]. لكن هذا النموذج لم يدعم بأبنية معابد فعلية تعود لهذا العصر. وقد يعود ذلك إلى كون التنقيبات الأثرية لم تكشف سوى الشيء القليل من أبنية العصر الاكدي، ويعود سبب ذلك إلى عدة اسباب أهمها: أن التنقيبات الأثرية لم تكشف موقع مدينة اكد عاصمة المملكة الاكدية، والذي كان سيساعد في تحديد عناصر التغيير الأساسية في عمارة هذا العصر[٦]. كما وتشير أمثلة المباني الاكدية القليلة المكتشفة في عدة مواقع إلى أن الأهتمام بالعمارة المدنية طغى على أبنية المعابد الموجودة أصلاً في عصر في فجر السلالات وأستمر أستخدامها في العصر الاكدي، وحتى

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص٦٥.

[٢] يوسف، شريف، تاريخ فن العمارة في العراق في مختلف العصور، بغداد، ١٩٨٢، ص٨٧.

[٣] لويد، المصدر السابق، ص١٥٩.

[٤] تل المقدادية: يقع عند المدخل الغربي لمدينة المقدادية في محافظة ديالى، كشف فيه عن أربعة طبقات أثرية يعود تاريخ طبقته الأولى لعصر آيسن-لارسا أما الثانية والثالثة تعود إلى العصر الاكدي واحتوت الطبقة الرابعة على آثار عصر فجر السلالات الثالث. للمزيد يراجع: العامري، حسين علي حمزة، "تل المقدادية وأهميته الحضارية"، سومر، مجلد ٤٠، ١٩٨٤، ص٩١.

[٥] المصدر نفسه، ص٩١.

[٦] مورتكات، المصدر السابق، ص١٥٣.

المباني التي أعيد بنائها أو أضيفت إليها أجزاء جديدة خلال هذا العصر، تمت إعادة بنائها مرة أخرى على يد ملوك سلالة أور الثالثة الذين اخفوا ربما عن قصد كل ما يدل على أعمال أسلافهم[١]. كل تلك الأسباب جعلت من التفاصيل العمارية القليلة صعبة الإدراك وبعيدة عن إعطاء فكرة متكاملة، وبالتالي لا تعكس سمة روح العصر[٢]. لكن يبقى أثر ذلك التغير ملحوظاً في عناصر الحداثة التي أدخلها ملوك سلالة أور الثالثة على أبنيتهم الدينية.

سلالة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ق.م)

انتقلت الخبرات العمارية إلى ملوك سلالة أور الثالثة في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وأصبحت الدولة المركزية ذات قوة وإمكانية بشرية واقتصادية عالية[٣] وانعكس هذا على جسامة النشاط العماري وأنتشاره الذي يُظهر مدى أهتمام ملوك هذا العصر به. فعُرف الملك اورنمو(٢١١٢-٢٠٩٤ق.م) بأنه كان ملكاً رائداً في مجال البناء والتشييد وله الكثير من المباني التي تشير الوثائق المدونة وأحجار الأسس إلى قيامه ببنائها إذ ينسب إليه بناء أول زقورة[٤].

كان من نتائج هذا الاهتمام ظهور صورة متطورة لعمارة المعابد والأبنية الدينية، تجسدت فيها عناصر القدم والحداثة، وتُمثل السمات التخطيطية المميزة والأسلوب العماري الظاهر لهذه الأبنية تعبيراً عن الترابط بين عناصر هذا التطور[٥]. والذي يمكن تلمسه من خلال التغير الملحوظ في خطة المعابد. إذ انحسر أستخدام المحور المنكسر الذي كان متبع في العصور السابقة، وحل محله المحور المستقيم الذي كان ذا تناسق واضح. وبقى التخطيط الجديد مستمراً في العصور اللاحقة مع اختلافات طفيفة طرأت عليه والذي عرف لاحقاً بالطراز البابلي[٦]. يمثل المعبد الملحق بقصر شو-سين أبسط أشكال هذا الطراز، إذ يتم

---

[١] لويد، المصدر السابق، ص١٦٤.

[٢] مورتكات، المصدر السابق، ص١٥٣.

[٣] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٢٩.

[٤] روكان، محمد كامل، "عمارة المعابد والمباني الدينية في العصر السومري الحديث"، بين النهرين، مجلد ٣٧، عدد ١٤٧-١٤٨، بغداد، ٢٠٠٩، ص١٧٣.

[٥] مورتكات، المصدر السابق، ص١٩٢.

[٦] لويد، المصدر السابق، ص١٨١.

الدخول إليه عن طريق بوابة ذات أبراج ومن ثم حجرة المدخل يعقبهما فناء داخلي يؤدي إلى حجرة المابين فالحجرة المقدسة وانتهاءاً بدكة الإله المقابلة للمدخل الرئيسي(مخطط٢٩)[١]. ومن النماذج الأخرى لهذا الطراز التخطيطي مجموعة الأبنية الدينية في مدينة أور منها معبد معبد انكي(مخطط٣٠) والقسم الجنوبي من بناية كيك-بار-كو في أور(مخطط٣١).

وبذلك امتازت معابد هذا العصر بأنماط تخطيطية وعمارية جمعت بين الآصالة والحداثة، فقد حافظ المعبد على أنتظامه المعهود ودقة أبعاده، وظل تزيين الجدران الخارجية بالطلعات والدخلات ملازماً له، وكان توجيه أركان المعبد نحو الجهات الأربع الرئيسة من الخصائص العمارية الثابتة في مخططات معابد العراق القديم جميعها[٢]. أما عن مظاهر التجديد في معابد هذا العصر فقد أستخدم نمط تخطيطي جديد يكون فيه المدخل والفناء وحجرة المابين والحجرة المقدسة وكوة الإله على محور مستقيم واحد[٣] وسجلت الحجرة المقدسة ذات التخطيط العريض أول ظهور بارز لها في هذا العصر، كما ظهر نمط عماري جديد لم يكن شائعاً في العصور السابقة، وهو أستخدام الجدران الثنائية التي تحصر بينها ممراً حلقياً خالياً من المنافذ يحيط بالمبنى كله أو بثلاثة من أضلاعه[٤].(المخطط٣٠-٣١) .

العصرين البابلي والأشوري القديمين (حدود ٢٠٠٠-١٦٠٠ق.م)

بعد انحلال الدولة السومرية الحديثة إثر الغزو العيلامي حصل تغيير في الأوضاع السياسية والاجتماعية مع بدايات الألف الثاني قبل الميلاد[٥] أدت إلى الاستقلال التام لعدد من الدول حُكمت من لدن سلالات محلية، أبرزها سلالتي آيسن ولارسا وسلالة بابل الأولى[٦] التي أنفردت فيما بعد بالحكم وشكلت قوة مركزية ذات نفوذ إداري واقتصادي، والذي ساعد

---

[١] الاعظمي، محمد طه، "عمارة المباني الدينية في عصر سلالة أور الثالثة"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، عدد ٦، بغداد، ٢٠٠٦، ص١٧٣.

[٢] روكان، المصدر السابق، ص١٨٢.

[3] Crawford, Op.Cit, P.73.

[4] Woolley, The Sumerians, London(1929), P.67.

[٥] حول الأوضاع السياسية والاقتصادية في العصر البابلي القديم يراجع :

باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٤٠٦-٤٣٨.

[٦] قسم هذا العصر إلى فترتين نسبت الأولى إلى أقوى سلالتين حكمتا في هذه الفترة وبشكل تعاصر فيه ملوكها وهي سلالة آيسن ولارسا (٢٠٠٠-١٧٦٠ق.م)، أما الفترة الثانية حكمت فيها سلالة بابل الأولى ابتداءً من الملك سمو ابوم في (١٨٩٤ق.م) حتى سمسو ديتانا (١٦٢٥-١٥٩٥ق.م)، ومن أشهر ملوك هذه السلالة ملكها السادس حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م). للمزيد يراجع ساكز، المصدر السابق، ص٨٢-٨٣ .

في خلق حركة عمارية جديدة[١] تجسدت في ضخامة أبنية القصور الملكية التي طغت على أبنية المعابد، على الرغم من ذلك استمرت العناية بالمباني الدينية من قبل ملوك هذا العصر[٢].

وتظهر دلالات هذا الاهتمام في عدة محاور، تأتي في مقدمتها مخططات هذه الأبنية، فقد تحقق فيها انتقالاً حاسما من نمط التخطيط السومري القديم ذي المحور المنكسر إلى نظام المحور الواحد الذي سبق وعبر عنه بكل وضوح في أبنية معابد عصر سلالة أور الثالثة، والذي ظهر بمعناه المتكامل خلال هذا العصر وظل باقياً لعدة قرون حتى عصر نَبو كُدُرّ أُصرُّ(نبوخذ نصر) الثاني (٦٠٤-٥٦٢ق.م) كصيغة نموذجية للمباني الدينية المقامة وفق الطراز البابلي[٣]. ويقدم معبد نيسابا في تل حرمل(مخطط٣٢) وكذلك معبد الإله شمش E.babar في لارسا(مخطط٣٣) نموذجاً قياسياً لمعابد هذا الطراز.

بينما حافظت المعابد الأشورية على النمط السومري ذي المحور المنكسر، والذي أعيدت صياغته بأسلوب جديد ونظرة عصرية تمزج بين التنسيق المتناظر للوحدات العمارية وإمكانية الدخول المريح عبر عدة منافذ خارجية وبين التزام التصميم بالموروث القديم، ويشكل معبد الإله أشور في مدينة أشور نموذجاً يكاد يكون منفرداً لمعابد هذا الطراز من العصر الأشوري القديم(مخطط٣٤).

ويعد أتساع الفضاءات الداخلية المفتوحة سمة بارزة لمعابد هذا العصر وقد أشترك فيه كلا الطرازين البابلي والأشوري على حد سواء. وفضلاً عما سبق جملة من السمات التخطيطية التي حققها المعمار في فترات سابقة وحافظ عليها خلال هذا العصر، ويأتي التخطيط الخارجي المنتظم في مقدمتها، إذ شيدت جميع المعابد في هذا العصر ضمن مساحة مستطيلة منتظمة الأبعاد مسورة، تتجه أركانها نحو الجهات الأربع الرئيسة. وخططت وحداتها الداخلية بدقة عالية ونفذت بشكل متناظر في أغلب الأحيان[٤]. وقد أتبع هذا الأسلوب في كلا الطرازين إذ أُستخدم في تصميم معبد الإله أشور في مدينة أشور (مخطط٣٤) ومعبد الإله شمش في لارسا (مخطط٣٣).

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٤١.

[2] Postgate, J. N., Early Mesopotamia, London(1999), P.115.

[٣] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٥٠.

[٤] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٤٩.

المبحث الثاني

نماذج منتخبة لمخططات المعابد

سنقدم في هذا المبحث وصفاً لبعض مخططات المعابد القياسية والفريدة التصميم المتبعة في عمارة المعابد العراقية القديمة، والتي سارت على منوالها بقية مخططات المعابد وفق العصر الذي تنتمي إليه. وقد روعي في أنتخاب هذه النماذج عدة عوامل منها العامل الجغرافي فقد توزعت هذه المعابد على المراكز الحضارية القديمة الممتدة من أشور شمالاً وإلى الوركاء جنوباً. أما العامل الثاني فهو العامل الزمني إذ تعود هذه النماذج لفترة زمنية مهمة أمتدت منذ عصر الوركاء وحتى نهاية العصر البابلي القديم شهدت خلالها العمارة الدينية تغيراً كبيراً في الطرز والأساليب المتبعة في عمارتها أعقبها شيء من الاستقرار النسبي مع نهاية العصر البابلي القديم. وشكل نوع التخطيط المميز لهذه النماذج عاملاً إضافياً في اختيارها إذ أنها اختيرت وفقاً للطراز المميز للعصر الذي تنتمي إليه. وهي كالأتي:

١- معبد الحجر الكلسي

يقع هذا المعبد في مدينة الوركاء ضمن منطقة المعابد المعروفة بـــ **(أي-انا)**[١]. والمخصصة لعبادة الإلهة إنانا(عشتار). يُعد معبد الحجر الكلسي من أهم وأقدم الأبنية المكتشفة في هذه المنطقة، أنشئ في الطبقة الخامسة وأستمر وجوده إلى فترة الطبقة الرابعة CوB العائدة لعصر الوركاء الأخير[٢] وعرف بهذا الاسم "الحجر الكلسي" نسبة إلى البقايا المكتشفة لأسسه من الطبقة الخامسة والتي كانت مشيدة من حجر الكلس[٣].

يمثل معبد الحجر الكلسي نموذجاً قياسياً لمعابد عصر الوركاء لما وصل إليه من تخطيط راقٍ وعمارة رفيعة[٤]. شيد المعبد وفق تخطيط منتظم مستطيل الشكل أبعاده (٧٦×٣٠م) تتجه زواياه نحو الجهات الأربع الرئيسة، وزينت واجهات جدرانه الخارجية

---

[١] أي-انا: منطقة مقدسة تتوسط القسم الشرقي من مدينة الوركاء ضمت العديد من المباني الدينيـــة الخاصـــة بالإلهة إنانا(عشتار)، وترجع أقدم معابدها إلى أواسط الألف الرابع قبل الميلاد في الطبقة السادسة. وكشف في الطبقة V على معبد الحجر الكلسي والمصطبة وفي الطبقة IV-b-c استُظهرت معابد A و B وF إضـــافة إلى قاعة الأعمدة، وضمت الطبقة IV-a المعابد C و D وE ومعبد المخاريط الحجريـــة والمعبـــد الأحمـــر وترجع جميع تلك المباني إلى عصر الوركاء (٣٨٠٠-٣١٠٠ق.م) بصمة جي، المصـــدر الســـابق، ١٩٥٥، ص٥٠.

[٢] لنزن، هاينرش،"العمارة في منطقة أي-انا فـــي عصـــر الطبقـــة الرابعـــة لمدينـــة الوركـــاء"، ترجمـــة: عبد الرزاق كامل، سومر، مجلد ٤٦، ١٩٨٩، ص٣٢.

[٣] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٠.

[٤] مهدي، المصدر السابق، ص٧٨.

بالطلعات والدخلات من جوانبه جميعها[١]. واحتوى المعبد على تسعة مداخل إحداها في منتصف الضلع القصير الشمالي الشرقي، أما المداخل الأخرى فقد وزعت بالتساوي وبشكل متناظر في الضلعين الطويلين من المعبد (شكل٢).

أما التوزيع الداخلي للوحدات العمارية فقد نُظمت وفق التخطيط الثلاثي الأقسام. وشغلت القاعة المحور المركزي في تصميم هذا المعبد وكانت على هيئة الحرف اللاتيني (T) بإبعاد ١١.٥×٦٢م، وعلى كل من جانبي القاعة المركزية تقوم أربع حجرات متناظرة تماماً، وفي الحجرة الثانية المنظورة من الشمال الشرقي في كلا الجانبين سلم يؤدي إلى سطح المعبد المستوي[٢]. وعدا الحجرتين ذواتي الدرج فإن الغرف المتبقية يمكن الدخول إليها من الخارج ومن القاعة المركزية من خلال أبواب متقابلة، وفي نهاية القاعة المركزية عند الذراع المتعامد عليها تقوم الحجرة المقدسة تحف بها من كلا جانبيها غرف صغيرة ملحقة تحوي على مداخل تفضي إلى الحجرة المقدسة فضلاً عن المدخل الرئيس المطل على القاعة المركزية وقد زينت أركانه بحنايا بنائية (مخطط١١-أ)[٣].

٢- معبد إنانا في نيبور الطبقة VII-b

يقع هذا المعبد في مدينة نيبور(نفر) على بعد ٣٠٠م جنوب غرب الزقورة وخصص لعبادة الإلهة إنانا(عشتار). وقد كشفت التنقيبات الأثرية فيه عن عدة أدوار بنائية يرجع تاريخ أقدمها إلى عصر الوركاء، ويرقى تاريخ أحدثها إلى العصر الفرثي والساساني، إلا أن أهم تلك الطبقات وأوسعها هي الطبقتان VIII-VII اللتان تعودان إلى الدور الثاني والثالث من عصر فجر السلالات، وسيقتصر شرحنا على مخطط الطبقة VII-b العائدة إلى عصر فجر السلالات لكونه يعد الأوسع مساحة والأكمل تخطيطاً[٤].

أقيم المعبد على مساحة مستطيلة تقريباً تبلغ أبعادها عند أقصى نقاطها ٨٢.٥×٢٤م وأنشئ وفق تخطيط غير منتظم يسوده الإرباك في توزيع الوحدات العمارية، ويعكس صفات محلية وليس قصوراً في القدرة العمارية للمعمار وهذا ما نلاحظه كذلك في تخطيط المعبد الشمالي في المدينة ذاتها(المخطط ٢٦). إلا أن تخطيط معبد إنانا أنتظم وبصورة متقنة في الطبقة IV العائدة إلى عصر سلالة أور الثالثة[٥].

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٠.

[٢] لنزن، المصدر السابق، ص٣٢.

[٣] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٢.

[4] Hansen, D. P., Dales, G. F., ”The Temple of Inanna, Queen of Haven at Nippur”, Archaeology, Vol.15, No.2, London(1962), P.75.

[٥] الاعظمي، محمد طه،"معبد أي-انا في نفر (عصر فجر السلالات)"، مجلة كلية الآداب، عدد ٤٥، بغداد، ١٩٩٩، ص٦٣.

إن تخطيط الطبقة VII-b قائم على محور طولي بصورة عامة تتابع فيه الحجرات والأفنية بصورة متسلسلة تبدأ من المدخل المطل على الشارع في الجانب الشمالي الغربي والذي يرُقى إليه بواسطة خمس درجات توصل إلى شرفة تتقدم المدخل وكانت هذه الشرفة مفتوحة على الجانبين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي. ومحاطة بجدار عند الجهة الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية ثبت فيه المدخل المحاط بالأبراج على جانبيه. ومن المدخل هناك سلسلة من الحجرات الصغيرة(١٥٠/١٤٧/١٥٢) تقود إلى الفناء الداخلي المحاط برواق ذو أعمدة من ثلاثة جوانب ومن المرجح أنها كانت مسقفة، وكان الرواق الجنوبي الشرقي عند الموضع(١٦٩) مخفي تحت جدار منخفض ربما للحماية من مياه الإمطار عند الدخول إلى الجناح المقدس[(١)]. وعند الزاوية الشرقية من الفناء تقوم حجرة صغيرة (١٧٠) بنيت بنفس نمط الطبقة VIII إذ أحتوت على مدخلين أحدهما يؤدي إلى خارج المعبد. وهيئ مدخل أخر في الزاوية الغربية من الفناء لكي يوصل إلى سلسلة من الحجرات (١٦٣/١٦٨/١٩٦/١٧٣) التي تؤدي إلى الجناح المقدس بصورة غير مباشرة، وبشكل مباشر إلى القطاع الجنوبي الشرقي من المعبد الذي يضم بعض الأفران (١٨٠/١٩٤/١٩٥)[(٢)].

كما في الطبقة VIII من المعبد أحتوت الطبقة VII على حجرتين مقدستين، تقع إحداهما في الحجرة (١٧٩) وبالقرب منها توجد الحجرة المقدسة الأخرى ذات الرقم (١٧٧) وكانت مطوقة بجدار منخفض جعلها منفتحة من الأعلى، وضمت مدخلين أحدهما محوري مع دكة الإله والأخر منكسر (مخطط٢٥-أ)[(٣)]. وزينت الجدران الخارجية لهذه الحجرة بالطلعات والدخلات. ويقع عند الجانب الشمالي الشرقي من الجناح المقدس ممر يؤدي إلى حجرتين (١٨٢/١٩٣) تضم إحداها فرناً. وأخيراً لُطّفَ الجدار الخارجي الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي المطل على الشارع بالطلعات والدخلات (شكل٣)[(٤)].

٣- معبد سين الطبقة X

يقع هذا المعبد في مدينة توتوب(خفاجة)، وخصص لعبادة إله القمر ننا(سين) ويمثل المستوى العاشر أخر مرحلة من مراحل إعادة البناء في معبد سين، والتي تعود إلى عصر فجر السلالات الثالث[(٥)].

[(1)] Zettler, R.L., The UR III Temple of Inanna at Nippur, Berlin(1992), P.31

[(2)] Ibid, P.31.

[(٣)] الاعظمي، المصدر السابق،١٩٩٩، ص٧٥-٧٦.

[(4)] Hansen, Op.Cit, P.77.

[(٥)] أسفرت التنقيبات التي قام بها المعهد الشرقي بشيكاغو عن تمييز عشرة أدوار بنائية لهذا المعبد. ترجع طبقاتها الخمسة الأولى إلى عصر جمدة نصر، وتمثل الطبقتان VII–VI الدور الأول من عصر فجر ==

يلاحظ على مخطط المعبد X محافظته على النسق العام للأدوار السابقة ذات الشكل الخارجي غير المنتظم والذي جاء كنتيجة لضيق الفضاء المكاني الذي حد من حرية المعمار في اتخاذ الشكل المناسب، لكن مع ذلك أستمرت مساحة المعبد بالتوسع مستغلاً الإطار المكاني المتاح فضلاً عن مد البناء فوق البيوت السكنية الخاصة[1]، فعند مقارنة مخطط معبد هذه الطبقة مع الطبقات السابقة يتبين أنه شغل مساحة أكبر من الأدوار السابقة للمعبد (المخططات٣٥-٣٩) وتم الحصول على المساحة الإضافية بشكل رئيسي عن طريق توسيع المبنى في الجهة الغربية منه[2].

بلغت قياسات المعبد عند أقصى نقاطه ٣٥×٢٢م . وأستخدم عنصر الطلعات والدخلات في تزيين الجدران الخارجية للجناح المقدس وكذلك في الجدار الذي حل محل المدخل القديم في الأدوار السابقة(شكل٤) ويعد هذا التغيير من الإضافات المهمة في معبد هذا الدور إذ حول مدخل المعبد الرئيس والوحيد إلى أتجاه الشمال بدلاً من الشرق وأحيط المدخل ببرجين كبيرين، وكان هذا المدخل يؤدي إلى حجرة المدخل ومنها وعبر مدخل ثانٍ يقود إلى الزاوية الشمالية الشرقية لفناء المعبد الداخلي، وكان ذا شكل رباعي غير منتظم الأبعاد توزعت الحجرات في جوانبه جميعها تقريباً[3].

كشف في هذا الدور لمعبد سين عن أربع حجرات مقدسة ثلاث منها تقع في الجناح المقدس (٥/٨/٢) ويتم الدخول إليها من الفناء عبر مدخلين يؤديان إلى حجرة المابين (٢) التي أضيف لها دكة إله منذ الدور VIII، ويؤدي مدخل من تلك الحجرة والذي يقع في منتصف ضلعها الطويل إلى الحجرة المقدسة الثانية (٨). أما الحجرة المقدسة الثالثة (٥) فيتم الوصول إليها عبر مدخل من الحجرة الثانية، وعند الجانب الشرقي من الفناء الداخلي تقوم الحجرة المقدسة الرابعة (١٨). وإضافة للحجرات المقدسة ضم المعبد عدد من الحجرات ذات الأغراض الإدارية الخاصة بالمعبد (٣١/١٦/١٥/١١)[4]. يلاحظ على تخطيط الوحدات العمارية الداخلية إنها كانت على درجة مقبولة من الانتظام في شكلها وأبعادها بالرغم من عدم أنتظام تخطيطه الخارجي

== السلالات، أما الدور الثاني فتمثله الطبقتان IX-VIII وأستمرت الطبقة IX حتى عصر فجر الســلالات الثالث إضافة إلى الطبقة X. باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٢٦٦.

(1) Meijer, D.,"The Khafaje Sin Temple Sequeneisocial Division at Work?", in: The Post of Plan, London(2002), P.224.

(2) OIP.58, P.72.

(3) Ibid, P.74.

(4) Ibid, P.75.

٤- المعبد البيضوي

يقع هذا المعبد في مدينة توتوب(خفاجة)، يرجع تاريخ إنشائه إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وشيد في ثلاث فترات بنائية كلها في عصر فجر السلالات وتعتبر المرحلة الأخيرة الأكثر أكتمالاً[١].

يُعد هذا المعبد من النماذج الفريدة التصميم في العمارة الدينية في العراق القديم[٢] إذ أن تخطيطه الخارجي أتخذ شكلاً بيضوياً منسقاً بأسلوب متقن إذ شُكّل المحيط البيضوي للمعبد من جدارين يطوق أحدهما الأخر، ويتخذ كلاهما شكلاً بيضوياً منتظماً باعتدال، وامتدا بصورة متوازية تقريباً في أغلب الطريق ويبتعدان عن بعضهما بمقدار ٥ أمتار تقريباً[٣] وازدادت هذه المسافة عند الطرف الشمالي من البناء عن طريق توسيع الجدار الخارجي مما خلف فضاءاً تبلغ أبعاده ٧٤×٥٩م بني في جانبه الشرقي بيت ذا فناء داخلي تحيط به عدة غرف، ربما كان بيت الكاهن المسؤول عن المعبد[٤] والذي كان منتظِماً حتماً ضمن التصميم الأساسي لبناية المعبد بدليل وجود طبقة الرمل النقي تحته[٥].

أقيم مجمع المعبد بأكمله فوق حفرة مملؤة بالرمل النقي بعمق ٨ أمتار[٦]. وكانت جدران جدران المعبد الخارجية خالية من الطلعات والدخلات، رغبة في الحفاظ على طابعه البيضوي المميز، وأستعيض عنها بإيجاد دعائم ضحلة عند الوجه الداخلي من السور الخارجي، لكن هذا الأمر لم يستمر إذ دعت الحاجة التي فرضتها زيادة سمك الجدران في المرحلتين البنائيتين الثانية والثالثة إلى أستخدام عنصر الطلعات والدخلات لتقوية الجدران (شكل٥).

يقع المدخل الوحيد للمعبد عند الجانب الشمالي الغربي من الجدار الخارجي وهو بصورة شبه محورية مع مدخل الجدار الثاني، ويوصل من خلاله عبر حجرة المدخل وحجرة أخرى إلى الفناء الداخلي الذي تبلغ أبعاده ٥٦×٣٨م ، وتتوزع حوله ٢٠ حجرة معظمها غير منتظم التخطيط بسبب تقوس جدرانها الخارجية التي يكونها السور البيضوي. أما الحجرة المقدسة فتقع في الجانب الجنوبي الغربي وشيدت فوق مصطبة مضلعة يبلغ قياسها ٢٥×٣٠م

---

[١] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص١١٦.

[٢] كشفت التنقيبات الأثرية في موقع تل العبيد عن معبد للإلهة ننخورساك يوازي تاريخه المعبد البيضوي في خفاجة ويشابهه من حيث التخطيط الخارجي وموضع الحجرة المقدسة المقامة على مصطبة صلدة . يراجع: OIP.53, PP.140-145 .

[3] Ibid, P.18.

[٤] حول عمليات التنقيب والتخطيط في البيت D يراجع : Ibid. PP.44-64

[5] Ibid, P.19.

[٦] قدر المنقب دغولاس حجم الرمال المستخدمة لملئ الحفرة بـ ٦٤٠٠٠م^{3}، وتظهر هذه الكمية الهائلة من الرمال مدى الجهود العظيمة المبذولة في إنشاء هذا البناء. وتسخيره للطاقات الاقتصادية والبشرية.
Gates, C., Ancient Cites, NewYork(2003), P.42.

وارتفاعها ٤ أمتار يُرتقى إليها بسلم عند الضلع الغربي، وقد زينت واجهات المصطبة جميعها بالطلعات والدخلات (يراجع الشكل٥ والمخطط٢٧)[١].

دخل في عمارة هذا المعبد ذو التخطيط الخارجي الفريد من نوعه أساليب جديدة لم تعرف في فن العمارة بشكل عام والدينية بشكل خاص فإضافة إلى شكله الخارجي حفرت الأرض وملئت بالرمال التي يعتقد إنها جلبت من الصحراء[٢]، وربما قصد فيها المعمار غايتين الأولى عمارية وهي محاولة عزل البناء قدر الإمكان عن رطوبة الأرض وملوحة التربة فعمد إلى جلب الرمال الجافة لكي تشكل هذه الطبقة إضافة إلى وجود المصطبة التي شيد عليها المبعد. والغرض الثاني يتمثل بفصل البناء عن محيطه بنطاق عماري جمع بين توظيف العمارة لخدمة الغرض الأسمى الذي شيد لأجله. وان حجم ومساحة المعبد الكلية تعكس مدى رسوخ الفكر الديني والذي يُظهر بصورة جلية مدى توسع سلطة المعبد في هذه العصور وتعدد مرافقها بشكل كبير وهو ما يفسر عدد الغرف المكتشفة في هذا المعبد.

٥- معبد عشتار كيتيتوم[٣].

يعد هذا المعبد أهم بناية كشفت عنها التنقيبات الأثرية في موقع نيربتوم(اشجالي)[٤]. ويعود تاريخه إلى العصر البابلي القديم، شيده حاكم اشنونا ابق-ادد الثاني[٥] والذي خلد عمله في نص مكتوب على طابوقة عند أحد البالوعات قرب الدرج في الفناء الرئيس[٦].

يشغل المعبد مخططاً واسعاً ذو طبيعة معقدة، وقد أنشئ على شكل وحدة متكاملة فوق مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها ١٠٠×٦٥م ووجهت زواياه نحو الجهات الأربع الرئيسة، وشيد المعبد على مصطبة صلدة يصل أرتفاعها إلى ثلاثة أمتار زينت أوجهها الخارجية بالطلعات والدخلات وكذلك الحال بالنسبة لجدران المعبد، إلا أنها لم تظهر سوى في الجدار الشمالي الغربي وذلك بسبب التخريب الحاصل في أجزاء كبيرة من جدرانه(شكل٦)[٧].

---

(1) OIP.53, P.37.

(2) Ibid, P.152.

(٣) نعتت الإلهة عشتار بنعوت مختلفة في مدن العراق القديم وما يجاورها وفي موقع اشجالي حملت نعت كيتيتوم، وفي نينوى عرفت بعشتار نينوى وكذلك في اربيلا، ونعتت كذلك بعشترت وعشتارات.

(٤) اشجالي: يطابق هذا الموقع مدينة نيربيتوم السومرية، ويبعد حوالي ٣ أميال إلى الجنوب والجنوب الشرقي الشرقي لموقع خفاجة، بدأ التنقيب فيه من قبل بعثة جامعة شيكاغو عام ١٩٣٤، وكشف فيه عن المعبد الكبير للإلهة عشتار كيتيتوم، إضافة إلى معبد صغير جوار المعبد الكبير(شكل١). OIC.20, P.74 .

للمزيد عن تنقيبات المعهد الشرقي في الموقع يراجع: Ibid, PP.74-100 .

(٥) لويد، المصدر السابق، ص١٨٩.

(6) OIP.98, P.91.

(٧) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٥.

يلاحظ على تخطيط المعبد أنه يتكون من جزئين رئيسين، يحتل الجزء الأول الجانب الغربي من مجمع المعبد وهو الجزء الأهم لأنه يضم الحجرة المقدسة الرئيسة التي شيدت وفق الطراز البابلي العريض وتقوم على محور واحد مع مدخل ذو أبراج تكتنفه في الزاوية الجنوبية للمعبد، وأنشئ هذا المدخل خصيصاً للوصول إلى هذا الجزء من المعبد مما جعله وحدة عمارية متكاملة شبه مستقلة عن مجمع المعبد ونموذجاً للمعابد التي أقيمت وفق الطراز البابلي، إذ يؤدي هذا المدخل إلى حجرة المدخل (١) ومنها إلى الفناء الداخلي (B) ومن ثم إلى حجرة المابين (٥) وصولاً إلى الحجرة المقدسة (٦) فالكوة التي تضم تمثال الإله، وتقع جميعها على خط محوري مستقيم يمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي(مخطط٤٠)[١].

أما الجزء الثاني من مجمع المعبد فيضم حجرتان مقدستان تقعان على أمتداد الضلع الطويل الشمالي الغربي وكان لإحدى الحجرتين (٢) مدخل ذو أبراج يقع في زاوية المعبد الشمالية الشرقية يؤدي إلى حجرة المدخل والتي توصل عبر مدخل ثانٍ منحرف عن محور المدخل الخارجي إلى فناء داخلي صغير مستطيل الشكل تقوم عند نهاية ضلعه القصير الغربي الحجرة المقدسة ذات الكوة في الجدار لاحتواء دكة الإله وتمثاله وهي وفق الطراز البابلي العريض، ويتم الوصول إلى هذه الحجرة كذلك من مجمع المعبد عبر مدخل في أحد الحجرات الجانبية للفناء (A)[٢]، أما الحجرة المقدسة الثالثة (١) فإنها تقع خلف الحجرة المقدسة الثانية على محور واحد، ويتم الوصول إليها من الفناء الكبير للمعبد عبر سلسلة من الحجرات تنتهي بالحجرة المقدسة التي تحوي على كوة تضم دكة الإله وهذه الحجرة مشيدة وفق طراز التخطيط الطويل(مخطط٤٠)[٣].

أحتوى هذا الجزء من المعبد على فناء كبير في الجانب الجنوبي الشرقي وكان لهذا الفناء مدخل كبير ومهيب مزين بأبراج على الجانبين ينفتح على الزاوية الشرقية من الفناء ومن هذا الفناء وفي الجانب الغربي منه يوجد مدخل يصعد إليه بدرج يؤدي إلى الفناء الصغير في الجزء الأول من المعبد[٤] ويحيط بجميع الأفنية الداخلية حجرات استخدمت للإغراض الإدارية والتخزينية الخاصة بالمعبد.

أمتازت عمارة هذا المعبد بأسلوب عماري رفيع أعتمد المزج بين طرازين عماريين، فنجد استخدام المدخل ذو المحور الواحد في الحجرة المقدسة الرئيسة ونوعاً ما في الحجرة المقدسة الثانية(٢)، بينما أستخدم المحور المنكسر في الحجرة المقدسة الثالثة(١). وكذلك الحال بالنسبة لتخطيط الحجرات المقدسة فكانت الحجرتان المقدستان الأولى والثانية وفق الطراز

---

(1) OIP.98, P.41ff.

(2) Ibid, P.47f.

(3) OIC.20, P.80.

(4) OIP.98, p.19.

البابلي العريض، أما الحجرة المقدسة الثالثة فكانت طويلة التخطيط والذي عده المنقبون مثالاً مبكراً ومنفرداً لهذا النوع من التخطيط سبقت النماذج التي ظهرت لاحقاً في المعابد الأشورية(مخطط٤٠)[١].

٦- المعبد الرئيس في تل حرمل

يقع هذا المعبد في شادبوم (تل حرمل)[٢] يعود تاريخه إلى العصر البابلي القديم، وكان مخصصاً لعبادة الإلهة نيسابا[٣]. شيد هذا المعبد وفق الطراز البابلي والذي رتب فيه المدخل الرئيس مع الحجرة المقدسة بخط محوري مستقيم مروراً بحجرة المدخل والفناء وحجرة المابين.

أنشئ هذا المعبد وفق خطة محكمة منتظمة الأبعاد ذات شكل مستطيل بقياس ٢٨×١٨م، ووجهت زواياه نحو الجهات الأربع، أما الطلعات والدخلات فأقتصر وجودها على الجدار الجنوبي الشرقي وهو المطل على الشارع الرئيس للمدينة[٤] وأحتوى المعبد على مدخل وحيد في الضلع القصير الشمالي الشرقي وكان مزيناً بطلعات ودخلات مزدوجة(شكل٧)[٥].

أما الوحدات العمارية الداخلية فقد وزعت بنسق منظم وفق الطراز البابلي والذي تأتي فيه المداخل جميعها ابتداءً بالمدخل الرئيس وانتهاءً بالحجرة المقدسة الرئيسة ومروراً بحجرة المدخل والفناء الداخلي وحجرة المابين على محور واحد، أتجاهه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي. وبالقرب من الزاوية الغربية من الفناء الداخلي يوجد الجناح المقدس الثانوي المخصص لعبادة الإله خاتي زوج الإلهة نيسابا، ويتألف هذا الجناح من حجرة المابين

---

[١] لويد، المصدر السابق، ص١٩٠.

[٢] تل حرمل: مدينة بابلية قديمة كانت جزءً من مملكة اشنونا ومركزاً إدارياً للجباية، وهو ما تدل عليها تسميتها القديمة شادبوم وتعني بيت المال، تقع ضمن حدود محافظة بغداد في الجانب الشرقي منها. أجرى فيها فليكس جونز سبرا قصيراً، أما التنقيب الفعلي فبدأ عام ١٩٤٥ من قبل مديرية الآثار، واستؤنف العمل فيه عام ١٩٦١ برئاسة طه باقر، وكشفت التنقيبات عن العديد من المباني بضمنها ستة أبنية للمعابد أهمها المعبد الرئيس. فضلاً عن الكثير من اللقى والنصوص المسمارية المهمة (شكل١). يراجع: باقر، طه، تل حرمل، بغداد، ١٩٥٩ب، ص٣.

للمزيد عن تنقيبات الموقع يراجع : سومر، مجلد ٢، ١٩٤٦، ص١٣١-١٣٣؛ مجلد ١٧، ١٩٦١، ص٢٠١-٢٠٨؛ مجلد ٥٠، ٩٩-٢٠٠٠، ص٥٨-٦٧.

SUMER, Vol.2, (1946), PP.22-30; Vol.4, (1948), PP.137-139.

[٣] الإلهة نيسابا: ترد في النصوص المسمارية على إنها إلهة الغلة وأنواع المحاصيل المختلفة، ويرمز لها بكوز الذرة، وهي زوجة الإله خاتي ولها اخوين هما الإله Ningirsu والإله Nanše حسب سجلات كوديا حاكم لكش. عُبدت في العديد من المدن . يراجع : Leick, Op.Cit, P137 .

[٤] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٨.

[5] Baqir, T.,"Excavation at Harmal", SUMER, Vol.2, (1946), P.23.

والحجرة المقدسة المشيدة وفق التخطيط العريض أيضاً. والذي تواجه فيه كوة الإله مدخل الحجرة في منتصف الضلع الطويل منها[١] أما جناح الإدارة والخدمات في المعبد فقد وضع في الجهة الشمالية الغربية من الفناء الداخلي ويتألف من سبع حجرات ترتبط بالفناء الداخلي بواسطة ثلاثة مداخل، ويوجد لاثنتين من تلك الحجرات مدخلان يربطانها بحجرة المدخل (المخطط٣٢)[٢].

٧- معبد أشور

يقع هذا المعبد في مدينة أشور في الجانب الشمالي الشرقي منها، ويعود تاريخ إنشائه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وتحديداً في زمن الملك الاشوري شمشي-ادد الأول (١٨١٤-١٧٨٢ق.م) الذي خلد عمله في نص مكتوب على صنارة باب عثر عليها في المعبد ذاته[٣].

يُعد معبد الإله أشور من النماذج الأساسية لعمارة المعابد وفق الطراز الاشوري ودليلاً لعمارة المعابد في العصور الأشورية الأحدث زمناً[٤]، شُيد هذا المعبد وفق خطة محكمة منتظمة الأبعاد ذات شكل مستطيل بأبعاد تتراوح بين ١٠٨×٥٥م. وكما هي الصفة السائدة في المعابد جميعها فقد وجهت زواياه نحو الجهات الأربع الرئيسة، ويلاحظ خلو جدرانه الخارجية من عنصري الطلعات والدخلات(شكل٨)[٥].

أما التخطيط الداخلي للمعبد فيتكون من فنائين داخليين متعاقبين على محور طولي واحد ويفصل بينهما ثلاث حجرات تشكل الوسطى حلقة الوصل بينهما ويكون الدخول إلى الفناء الأول الصغير عبر مدخل له أبراج بعرض ١٠م تقريباً يقع في منتصف الضلع القصير الجنوبي، ثم إلى حجرة المدخل التي تفضي إلى الفناء الأول الذي تحيط به الحجرات من جوانبه جميعها بعض منها بطول الضلع المحاذية له من الفناء، ومن ثم ينتقل إلى الفناء الثاني الكبير عبر حجرة مدخل ثانية تقع على خط محوري مستقيم مع المدخل الجنوبي للمعبد، ولهذا الفناء مدخلان آخران متناظران يقعان في منتصف كل من الضلعين الشرقي والغربي للمعبد ويتم الولوج منهما إلى حجرة المدخل ومن ثم إلى الفناء، ويتوجب على الداخل من هذين المدخلين الاستدارة بمقدار ٩٠درجة لمواجهة مدخل الحجرة المقدسة الواقع في أقصى شمال الفناء الكبير، بينما يكون مدخل الحجرة المقدسة على محور واحد مع المدخل الجنوبي

---

[1] Baqir, Op.Cit, P.24f.

[٢] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٩.

[3] ARAB, Vol.I, P.15, No.42 ; REMA, Vol.I, PP.62-63.

[٤] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص١٥٠.

[5] MDOG.49, (1912),P.16.

للمعبد[١]. ومن غير المؤكد ما إذا كانت الحجرة المقدسة شيدت وفق الطراز البابلي العريض أعتماداً على وجود مدخلها في الضلع الطويل أم إنها شيدت وفق الطراز الاشوري الذي يتخذ من أحد الأضلاع القصيرة للحجرة المقدسة والبعيدة عن المدخل موضعاً لدكة الإله وهذا ما يرجحه **اندريه**[٢]. ويعود سبب ذلك الأختلاف في أن التنقيبات لم تتمكن من معرفة الشكل الأصلي للحجرة المقدسة وذلك لكون بقايا الأسس المستظهرة لم تكن كافية بحد ذاتها، كما لم تعثر تلك التنقيبات على دليل يشير إلى وجود دكة الإله في موضع معين، نتيجة للتغيرات التي أحدثها سين–آخي اريبا (سنحاريب) (٧٠٤–٦٨١ق.م) في مخطط المعبد بشكل عام والحجرة المقدسة بشكل خاص عند إعادة بنائه(مخطط٣٤)[٣].

أما الفضاء الواقع جنوب شرق المعبد والممتد إلى مسافة تتراوح بين ٢٠٠م شرقاً و١٠٠م جنوب غربي، فقد عمد المعمار إلى إحاطتها بواسطة بناء مكون من صفين من الغرف المتوازية أو أحياناً صف واحد واستخدمت لإغراض خاصة بالمعبد. وان هذه الباحة ذات شكل رباعي غير منتظم الأضلاع ويتعارض تخطيطها مع المبنى ذاته إلا أن موقع المنطقة المحاذية للنهر وتضاريس المنطقة فرضت على المعمار أستغلال ما تبقى من الأرض وبناها بموجب شكلها الطبيعي مما خلف هذا التناقض(مخطط٣٤)[٤].

الفصل الثاني

---

[١] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٦.

[2] MDOG.40, (1910), P.41f.

[3] Börker, J.,"Der bīt hilāni im bīt Šahūri des Assur- Tempels", ZA, Vol.70, Berlin(1980), P.259f .

[٤] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص١٥٢.

الفصل الثاني
الجناح المقدس

يُعد الجناح المقدس قلب البناء الديني وأساس وجوده لكونه يضم مقـام الإلـه الـذي يقصده المتعبدون، وحظي باهتمام المعمار إذ أفرد له موضعاً متميزاً وشيده بأسلوب عمـاري متقن وهذا ما دلت عليه بقاياه المستظهرة خلال التنقيبات الأثرية والمخلفات المادية المكتشـفة فيه، ويتألف هذا الجناح من عنصرين رئيسين الأول: هو الحجرة المقدسة وتعد أهم جزء فـي هذا الجناح بشكل خاص وفي المعبد بشكل عام إذ كان يوضع تمثال الإله في أحد أضـلاعها وعلى دكة خاصة به وفي حضرته تقام الطقوس الدينية وتقدم إليه القرابين على دكـة معـدة لهذا الشأن كانت توضع غالباً أمام دكة الإله. أما العنصر العماري الثاني: الذي يتـألف منـه الجناح المقدس فهو حجرة المابين وتعد الجزء الممهد للوصول إلى الحجرة المقدسة.

كما يُعد الجناح المقدس من المواضع المفضلة للمنقبين لاحتوائه على العديد من اللقى والمخلفات الأثرية ذات الصفة الدينية التي تكشف جانباً مهماً عن طبيعة الطقـوس والشـعائر الدينية التي تقام فيها ومكانة الإله الذي يشغلها ودوره في المجتمع، فضلاً عن أهمية هذه اللقى من الناحية التاريخية والفنية، كما يشكل موضع وتخطيط وعمارة الجناح المقـدس وتطـوره سجلاً مادياً لتاريخ العمارة الدينية في العراق القديم وتطورها عبر العصور وأثرها المباشـر على تخطيط المعبد بشكل عام. وعلى هذا الأساس أجريت العديد مـن الدراسـات والبحـوث حول أهم سمات تخطيط الجناح المقدس وأثر المعتقد في تطورها.

المبحث الأول

الحجرة المقدسة

عرفت الحجرة المقدسة[١] بالمصطلح السومري ITIMA[٢].وتعني الحجرة المظلمة التي لا تعرف ضوء النهار ولا تراها العين، ويرادفها في اللغة الاكدية المصطلح kissu[٣]. للإشارة إلى الحجرة المقدسة في المعبد، ويستخدم أيضاً للدلالة على المعبد بصورة عامة، كما وردت الكلمة الاكدية aširtu[٤]. للدلالة على المعبد وتحديداً الحجرة المقدسة، وتطلق أيضاً على الغرفة الصغيرة من البيت المخصصة لأداء الطقوس والشعائر الدينية، وتدل كذلك الكلمة الاكدية kummu[٥]. على الحجرة الخاصة بإقامة الطقوس الدينية في المعبد أو القصر.

فضلاً عما سبق فقد ذكرت النصوص المسمارية أسماء عدة لمصليات خاصة بآلهة معينة وتحمل معاني خاصة للدلالة على الحجرة المقدسة. منها المصطلح é.dug.4.ga أي بيت الكلام المقدس وكذلك أطلق المصطلح égašan.an.na على الحجرة المقدسة للإلهة عشتار في bīt rēš وتعني بيت سيدة الجنة[٦].

تُعد الحجرة المقدسة أهم أجزاء المعبد ففيها تقام الطقوس والشعائر الدينية بوجود تمثال الإله الموضوع عند أحد الجدران الداخلية للحجرة، وتقابله دكة خاصة لتقديم القرابين والأضاحي.

كانت الحجرة المقدسة من العناصر العمارية المهمة في العمارة الدينية إذ أرتبط وجود المعبد بوجودها، فأصبح اكتشافها من قبل المنقبين دليلاً على أهمية البناء دينياً، وقد تم العثور على نماذج منها بشكل منفرد في بنايات لا تحمل طابع ديني كالقصور والبيوت السكنية.

---

(١) Cella : مصطلح عماري أطلقه المنقبون على الحجرة المقدسة التي تجري فيها الطقوس والشعائر الدينية في المعابد العراقية القديمة، وهذا المصطلح متأثر بالعمارة اليونانية والرومانية والذي يعني المقدس أو المحجوب عن الرؤيا، ويمكن مقارنته بقدس الأقداس حيث كان يحفظ فيه تابوت العهد في المعبد اليهودي. بوتس، دانيال، حضارة وادي الرافدين، الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦، ص٢٨٩.

(2) Sallaberger, W., Sumerischer Zettelkaten, Leipzig(2006), P.321 .

(3) CAD, "K", P.433[b].

(4) CAD, "A", Part.II, P.436[a].

(5) CAD, "K", P.533[a].

(٦) للمزيد يراجع :

George, Op.Cit,(1993), P.65, 37; P.72, 115; P.79,211; P.90, 349; P.109, 581; P.112, 631; P125, 785; P.128, 816; P.129, 837; P. 136, 925.

أتسمت الحجرة المقدسة بأسلوب عماري وتخطيطي أضفى عليها طابعها الخاص الذي ميزها عن بقية أجزاء المعبد، فتفردت بعناصر لازمتها منذ ظهورها لأول مرة في عصر العبيد الرابع كجزء من بناء له صفة دينية مستقلة وحتى أفولها، بل وانتقلت بعض عناصرها كالمذبح إلى مباني دينية أخرى ذات أفكار عقائدية مختلفة.

على الرغم من محافظة الحجرة المقدسة على خصائصها التخطيطية والعمارية إلا أنها أمتازت بسمة تطورية مستمدة إيحائها العماري من تبلور المعتقد الديني الذي أضفى طابعاً مميزاً على المعبد بشكل عام والحجرة المقدسة بشكل خاص والذي يمكن ملاحظته من خلال تطور موضعها وتخطيطها وعمارتها.

موضع الحجرة المقدسة[١].

أحتل موضع الحجرة المقدسة مكانة متميزة في عمارة المعبد، فتُظهر مخططات المعابد مدى الاهتمام الذي أولاه المعمار لموضعها ضمن الإطار المادي لبناية المعبد، وتعكس مخططات المعابد الأولى ذلك التوجه فانتقلت الحجرة المقدسة من وحدة عمارية يمكن الوصول إليها بسهولة إلى أصعب جزء في البناء الديني يمكن الوصول إليه، وبعيدة عن الأنظار بقدر كبير وهو ما يضفي عليها طابع من الرهبة الروحية لدى المتعبد. ويمكن القول بأن هذه التدابير كان الأصل فيها التأثير النفسي على المتعبدين ليزدادوا تبجيلاً وخوفاً من ذلك الإله وتعلقاً به، وهي ظاهرة يمكن تشخيصها في الأديان الوضعية جميعها.

حيث تشير **الياد** إلى أن عاطفة الرهبة تجاه المقدس، وتجاه كل ما هو غامض هي التي تنشر سيادة تلك السلطة روحياً في نفوس البشر[٢]. ويرى **فرانكفورت** إن تعاظم دور المؤسسة الدينية في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية له أثره الواضح أيضاً في تحديد موضع الحجرة المقدسة[٣].

وبتتبع مخططات المعابد الأولى ومقارنتها بالعصور المتعاقبة يظهر جلياً مدى أهمية موضع الحجرة المقدسة في نفوس المتعبدين. ويمثل تخطيط معبد اريدو الطبقة XVII العائد إلى عصر العبيد الأول(مخطط١)، أولى نماذج المعابد المكتشفة، ويتكون من حجرة صغيرة مربعة تقريباً، وتحتوي على نتوء جداري في منتصف الضلعين الشمالي الغربي والجنوبي

---

[١]حول موضع الحجرة المقدسة في المعابد العراقية القديمة خلال الفترة من عصر العبيد إلى نهاية العصر البابلي القديم يراجع الجدول رقم (١).

[٢] الياد، مرسيا، المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دمشق، ١٩٨٨، ص١٥.

[3] Frankfort, Op.Cit, P.3.

الغربي من الداخل، ولعل الغاية منها تحديد المساحة الواقعة بينهما كأقدس جزء في البناء، وتعكس في الوقت نفسه شكلا بدائياً للحجرة المقدسة[١].

ويشابه معبد الطبقة XVI في اريدو سابقه من حيث التخطيط بفارق وجود كوة في الضلع الشمالي الغربي بقياس ١.١٠م عرضاً وبعمق ١م، ضمت دكة الإله(مخطط٢)[٢]. وهذه الكوة تعبر عن مثال أكثر تخصيصاً لارتقاء الفكر العماري في إبراز موضع وجود رمز الإله.

وفي مخطط معبد الطبقة XV في اريدو بدأ المعمار أكثر التزاماً في إظهار الجزء المقدس بواسطة جدارين بارزين في الضلع الشمالي الغربي والجنوبي الغربي(مخطط٣)[٣]. وتمثل معابد الطبقات ١٤-١٢ في اريدو عصر العبيد الثاني ولا يمكن الاستدلال على موضع حجراتها المقدسة لكون معظم أجزائها تقع تحت بدن الزقورة.

وفي عصر العبيد الثالث بدا موضع الحجرة المقدسة أكثر تميزاً مع ظهور نواة التخطيط الثلاثي في هذا العصر ويبين تخطيط معبد اريدو الطبقة VIII مركزية الحجرة المقدسة ضمن المعبد فضلاً عن مساحتها التي طغت على ما يجاورها من مرافق عمارية(مخطط١٦)، ويشابه تخطيط معبد الطبقة VII من عصر العبيد الرابع سابقه من حيث وجود القاعة المركزية التي تنتهي بالحجرة المقدسة الواقعة في الجانب الجنوبي الغربي من المعبد، وقد تم تمييزها بواسطة عضادتين جداريتين(مخطط١٧)[٤] أما في معبد الطبقة VI فقد أستحوذت الحجرة المقدسة على خصوصية أكبر ضمن الجزء المركزي في محاولة هي الأوضح من لدن المعمار لعزل موضع الإله عن القاعة المركزية(مخطط١٨)[٥].

لقد نُفذ المعبدان الأول والثاني في الوركاء من عصر العبيد الرابع وفق التخطيط الثلاثي الأقسام، وتحتل الحجرة المقدسة فيهما الجزء الوسطي وتقع دكة الإله في الجانب الشمالي الغربي من تلك الحجرة. ومن الملاحظ على الحجرتين أختفاء العضادتين المميزة لموضع دكة الإله، ويعلل **يوردان** عدم وجودهما إلى احتمال كون القاعة المركزية مسقفة بالكامل بواسطة جذوع الأشجار الطويلة(مخطط ٨و٩)[٦].

وبالانتقال شمالاً إلى موقع تبة كاورا يمكن ملاحظة بوادر التخطيط الثلاثي في المعبد الشمالي للطبقة XIII التي تعود إلى عصر العبيد الرابع. حيث كان المعبد عبارة عن قاعة

---

(١) مهدي، المصدر السابق، ص٦٤-٦٥.

(2) Safar, et. al, Op.Cit, P.88 .

(٣) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٨، ص٢٨١.

(٤) مهدي، المصدر السابق، ص٦٩.

(٥) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٣٠.

(6) UVB.III, P.14 .

واحدة تمثل الحجرة المقدسة، وتقع دكه الإله في ضلعها القصير الشمالي الشرقي(مخطط٧)(١).

مميزات موضع الحجرة المقدسة ودكة الإله خلال عصر العبيد :

١- زيادة مساحة الحجرة المقدسة ضمن بناية المعبد تدريجيا وأحتلالها المحور المركزي ضمن التخطيط الثلاثي، ويعلل **فرانكفورت** زيادة مساحة الحجرة المقدسة والمرافق البنائية للمعبد على إنها نتيجة بديهية لازدياد السكان الذي رافقه تطور في نواحي الحياة الزراعية والاقتصادية والاجتماعية، مما أوجب على المعبد احتواء تلك التطورات في إطار مادي باعتباره قلب المدينة، ومحافظاً على غرضه الأساس وهو الغرض الديني، عمد المعمار إلى تمييز وتفريد الحجرة المقدسة قدر الإمكان وعزلها تقنيا ونفسيا(٢).

٢- يعتقد **سفر**، إن الجزء المميز من القاعة المركزية بعد العضادتين من الممكن أن يكون مسقفاً دون بقية القاعة(٣).

٣- تقع دكة الإله في الغالب في الجانب الشمالي الغربي من المعبد، أما في معابد تبة كاورا فتقع في الجانب الشمالي الشرقي منها.

٤- أقيمت دكة الإله في الضلع القصير من الحجرة المقدسة في المعابد جميعها.

موضع الحجرة المقدسة خلال عصر الوركاء

تمثل معابد الطبقات V-I(٤) عصر الوركاء في اريدو، ولا سبيل لدينا لمعرفة مواضع حجراتها المقدسة لكون جل ما كشف منها بقايا جدران مشيدة باللبن والمصاطب التي بنيت عليها(٥).

وتعود الطبقات الخامسة والرابعة في مدينة الوركاء إلى عصر الوركاء الأخير، وتشمل معابد منطقة أي-انا، ومن هذه المعابد معبد الحجر الكلسي ذي التخطيط الثلاثي المتناظر، وتقع الحجرة المقدسة في منتصف الضلع القصير الجنوبي الغربي(٦). ويلاحظ عليها

---

(1) Tobler, A. J., Excavation at Tepe Gawra, Vol.I, Level IX-XX, Philadelphia(1950), P.29.

(2) Frankfort, Op.Cit, P.13.

(٣) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٣١. .

(٤) تمثل الطبقات ٥-٣ في اريدو، دور الوركاء القديم، والطبقتان ١-٢ دور الوركاء الوسيط . المصدر نفسه، نفسه، ص٢٢٥ .

(5) Safar, Op.Cit, P.78f .

(6) UVB.XXI, P.16f.

عليها انفصالها كلياً عن القاعة المركزية، ورغماً عن ذلك فقد أتاح المعمار سهولة الوصـــول إليها عبر ثلاثة مداخل أحدها يطل على القاعة المركزية ومدخلان على الغرف الواقعة علـــى جانبي الحجرة المقدسة، وكأنه يؤكد فكرة خصوصية هذه الحجرة بشكل أكثر حداثة من عصر العبيد، وينسجم مع التطور العام في الثقافة العمارية(مخطط١١-أ).

ويشابه المعبد A في الوركاء من الطبقة IVb معبد الحجر الكلسي من حيث التخطيط الثلاثي الاقسام ومركزية القاعة التي تؤدي إلى الحجرة المقدسة في جانبها الشمالي الغربـــي، ولغياب التخطيط الأرضي للحجرة المقدسة، يفترض **لنزن** تخطيطاً مشابهاً لتخطـــيط الحجـــرة المقدسة في معبد الحجر الكلسي ولكنها أكثر استقلالية عن الجزء المركزي، وهو ما يـــرجح اقتراح كونها مفتوحة على قاعة الأعمدة(مخطط١١-ب)[١].

وظهر التخطيط الثلاثي كذلك في المعبدين B وF من الطبقة IVb في الوركاء وهمـــا متماثلان بالتخطيط تقريباً وتحتل القاعة المركزية فيهما الجزء الأكبر من البناء، أما الحجـــرة المقدسة فمن المحتمل أن القاعة المركزية في المعبد B ذاتها الحجرة المقدســـة وان جـــدارها الجنوبي الغربي المحتوي على الكوة قد ضم دكة الإله، مما يرجح ذلك الاحتمال، أن الحجـــرة المستعرضة التي تقع في الضلع الشمالي الشرقي من القاعة المركزية هي الحجرة المقدســـة. ولو اعتمدنا على مداخل البناء لتحديد موضع الحجرة المقدســـة لســـببت القـــدر نفســـه مـــن الإرباك في تحديد موضعها الفعلي، لكونها موزعة في أضلاع المعبد الـــثلاث عـــدا الضـــلع المنفصل كلياً وهو الضلع الجنوبي الغربي، وبنســـق لا يـــوحي بالأهميـــة لأي طـــرف مـــن البناء(مخطط١١-هــ)[٢].

أما المعبد F فتقع الحجرة المقدسة فيه في الضلع الجنوبي مـــن القاعـــة المركزيـــة، وصممت الحجرة المقدسة بشكل منفصل عن القاعة المركزية ويتم الوصول إليها عن طريـــق مدخل في منتصف ضلعها الجنوبي، فضلاً عن مدخلين في الحجرتين اللتـــين علـــى جانبيهـــا ومدخل آخر من الحجرة الخلفية، وتتيح هذه المداخل إمكانية الوصول اليسير إليها، وفي هـــذا المعبد فصلت الحجرة المقدسة كلياً عن أي جزء مـــن الجـــدار الخـــارجي[٣]. وينطبـــق رأي **فرانكفورت** على تخطيط المعبد F في محافظته على خصوصية الحجـــرة المقدســـة وتطـــور الإطار العام للبناء(مخطط١١- و).

---

[1] UVB.VIII, P.33.

[2] UVB.XIX, P.10ff.

[3] UVB.XXIV, P.30f.

أما المعبد C في الوركاء العائد إلى الطبقة IVa فقد كان ذا تخطيط ثلاثي مشابه لمعبد الحجر الكلسي من الطبقة V وتشغل القاعة المركزية الجزء الوسطي منه، وهي على شكل الحرف اللاتيني (T) وتقع الحجرة المقدسة عند نهاية القاعة في الجانب الشمالي الغربي من ذراع القاعة المركزية[١]. وكما في المعبد F فقد شغلت الحجرة المقدسة وسط البناء وهي غير مرتبطة بالجدران الخارجية للمعبد(مخطط١٩-أ)

ومن أضخم الأبنية الدينية في الطبقة IVa المعبد D وبني وفق التخطيط الثلاثي السائد في معابد الطبقتين V-IV، وتقع الحجرة المقدسة فيه في الجانب الجنوبي الغربي من الذراع العريض للقاعة المركزية. وتتوسط الحجرة المعبد كما وتحفها حجرتان جانبيتان فيهما مدخلان يؤديان إلى الحجرة المقدسة نفسها، فضلاً عن المدخل الأمامي(مخطط١٩-ب)[٢].

وأستمر التخطيط الثلاثي البسيط بموقع تبة كاورا الطبقة Xa – XI في المعبد الشمالي الشرقي (مخطط١٠-أ،ب)، على الرغم من تطور الأسلوب العماري عن الطبقة XIII التي تعود إلى عصر العبيد الرابع، إلا أنه لا يجاري الثقافة العمارية المتطورة الظاهرة في عمارة معابد منطقة أي-انا في الوركاء والذي يوازيه زمنياً. وتقع دكة الإله في هذا المعبد في الجزء الجنوبي الغربي منه[٣].

مميزات موضع الحجرة المقدسة في عصر الوركاء

١- تعزز مبدأ تفريد موضع الإله بحجرة خاصة وانفصالها عن القاعة المركزية في تطور مستمر عن عصر العبيد، كما في معابد أي-انا في الوركاء (مخططات١١ أ،ب،و١٩ أ،ب)، وفضلاً عن بقائها بشكلها السابق في تل العقير، إلا أن موضع الإله ميز برفعه بمصطبة من ست درجات ضمن القاعة المركزية.

٢- يرى **لنزن** أنه على الرغم من استحواذ فكرة فصل موضع الإله عمارياً عن مرافق المعبد، إلا أن المعمار أتاح فرصة الوصول المريح إلى الحجرة المقدسة عبر عدة مداخل تفضي إليها[٤].

٣- تشترك معابد الوركاء وتبة كاورا في كون دكاك الآلهة فيها تقع في الجانب الجنوبي أو الشمالي الغربي من المعبد.

---

[1] UVB.XXIV, P.13ff.

[٢] لنزن، المصدر السابق، ص٤٢.

[3] Rothman, M. S., Tepe Gawra, Philadelphia(2002), P.107.

[4] UVB.XXIII, P.32 .

٤- نتيجة لظهور حجرة مستقلة تضم دكة الإله، فقد أنتقل موضعها مـــن الجانــب القصـــير إلى الجانب الطويل مـــن الحجـــرة، كمعبـــد الحجـــر الكلســـي ومعبـــد A وF وC وD (مخططات١١ أ،ب،و١٩ أ،ب)، وبقت الدكة في الضلع القصير في المعابد التي لم تنفصل فيها دكة الإله بحجرة خاصة، وأستمرت في القاعة المركزية كمعبد B (مخطط١١-هـــ) ومعبد تبة كاورا (مخطط١٠-أ).

موضع الحجرة المقدسة في عصر جمدة نصر

يعد معبد الإله آنو الأبيض في الوركاء بناءاً مهيباً ومرتفعاً، يعود في هيأته الأخيرة إلى عصر جمدة نصر في الألف الرابع قبل الميلاد، ويمثل حصيلة عمليات بناء متكـــررة مـــرت عليه عدة قرون، وكان هذا واضحاً من خلال ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية عن أدوار بنائية عدة[١] أستمر التخطيط الثلاثي الأقسام في المعبد الأبيض وشغلت الحجرة المقدســـة محـــوره المركزي، وتقع دكة الإله عند الركن الأيمن من الداخل للضلع القصير الشمالي الغربي لكـــي تفسح مجالاً لبناء المدخل عند الركن الأيسر من الضلع نفسه(مخطط١٢)[٢].

ويعد المعبد المصبوغ في تل العقير. من معابد عصر جمدة نصر والـــذي بنـــي وفـــق التخطيط الثلاثي الأقسام، حيث تشغل الحجرة التي تحوي دكة الإله الجزء المركزي من البناء، وتقع دكة الإله في الجانب الشمالي الغربي من القاعة المركزية(مخطط١٣)[٣].

وترجع الطبقات الخمس الأولى لمعبد سين في خفاجة إلى عصر جمدة نصر، وتقـــدم طبقات المعبد المتعاقبة مثالاً فريداً للتطور العماري الذي يمكن استخدامه كأساس للمقارنة مع معابد أخرى من العصر نفسه، وبالنتيجة فأنها تعطي تماثلاً واضحاً للتقاليـــد العماريـــة فـــي المراكز الحضارية التي تبدو غير متصلة مع بعضها[٤].

ويتشابه مخطط المعبد بصورة عامة في الطبقات I-V من حيث التخطـــيط الأرضـــي، فيتكون إجمالا من حجرة مركزية كبيرة هي حجرتها المقدسة ومحاطة بغرف أصغر على كلا الجانبين، وتحتل الحجرة المقدسة الجانب الغربي من المعابد الخمسة دون تغيـــر عملـــي فـــي موضعها. وتقع دكة الإله فيها في الضلع الشمالي القصير. ومكن المعمار من الـــدخول إليهـــا

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٧.

[2] UVB.VIII, P.31.

[٣] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

[4] OIP.58, P.8.

بواسطة مدخلين في الضلع الطويل الشمالي الشـــرقي(المخططات١٤-١٥ ،٢٢-٢٤)، والتـــي أصبحت صفة مميزة لمعابد الحجرة الطويلة في بلاد أشور[١].

وبتتبع مخططات هذه الطبقات نلاحظ انزواء الحجرة المقدسة وابتعادها عن مركزيتهـــا المعهودة في البناء الديني، مما يؤشر إلى وجود تحول ذهني متـــأثر بـــالتطورات السياســـية والاقتصادية التي أدت إلى بزوغ فجر عصر السلالات السومرية.

لكن معابد تبة كاورا كانت أكثر التزاماً بموروثها العماري فكانت عمارة المعبد الشرقي في الطبقة IX العائد لعصر جمدة نصر، مبنية وفق التخطيط الثلاثي الســـائد فـــي الطبقـــات السابقة، مع تطور بسيط في تقنية بناء الجدران واستقامتها وتوزيع حجراتها بشـــكل متنـــاظر ومتساوي، وأستغل الجزء المركزي من البناء كحجرة مقدسة، وتقع دكة الإلـــه فـــي الضـــلع القصير الشمالي الشرقي(مخطط١٠-ج)[٢].

اما في معبد العيون في تل براك فقد شغلت الحجرة المقدسة الجانب الغربي منه مبتعدة عن مركزه قليلاً، وتقع دكة الإله في الضلع القصير الجنوبي، واحتوت هذه الحجرة على عدة مداخل أهمها مدخلان عند الضلع الجنوبي المقابل لدكة الإله(مخطط٢٠)[٣].

مميزات موضع الحجرة المقدسة في عصر جمدة نصر

١- محافظة الحجرة المقدسة على مركزية موضعها ضمن بناية المعبد، كما في معبد الإله آنو الأبيض(مخطط١٢) في الوركاء وفي تبة كاورا (مخطط١٠-ج)، وتخليها عن ذلـــك فـــي معبد سين الطبقات I-V في خفاجة(مخططات١٤-١٥، ٢٢-٢٤) ومعبد العيون في تـــل براك(مخطط٢٠).

٢- أختلاف موضع دكة الإله بالنسبة للمعبد، ففي معبد آنو تقع في الجانب الشمالي الغربـــي، وفي معابد سين تقع في الجانب الشمالي وفي تل براك تقع في الجانب الجنوبي من المعبد، وفي تبة كاورا وجدت في الجانب الشمالي الشرقي منه.

٣- تقع دكة الإله في الضلع القصير من الحجرة المقدسة في المعابد جميعها، مـــع ملاحظـــة اختلاف موضعها فيه، حيث وضعت في الركن الأيمن من معبـــد الإلـــه آنـــو الأبـــيض، وتتوسط الضلع القصير لمعبد سين في خفاجة ومعبد تبة كاورا ومعبد تل براك.

---

(1) OIP.58, P.12f.

(2) Rothman, Op.Cit, P.119ff.

(3) Mallowan, Op.Cit(1947), PP.32-36.

موضع الحجرة المقدسة في عصر فجر السلالات

لعل انفتاح الذهن العماري في عصر فجر السلالات كان مرافقاً لتطورات جمة، وسع فيها الإنسان مداركه من خلال التفاعل المباشر معها وتأثره بفكرة صنع الحضارة، ومدفوعاً بتعاظم دور السلطة في قيادة المجتمع. ولم تكن العمارة والفن منقطعة عن الواقع في هذه المرحلة الجديدة، ولا يمكن فهم أحدهما فهماً صحيحاً دون الأخر. وتنقل العمارة والفن رسالة لا زمن لها، غير أنه لا يمكن تفسيرها إلا عن طريق المعرفة الخالصة بالأحوال التي أدت إلى ظهورها، فهي حلقة في سلسلة متتالية. لا يمكن اجتزاؤها[١].

وما عمارة المعابد وحجراتها المقدسة إلا جزءاً من تلك السلسلة، فكان موضع الحجرة المقدسة مكملاً لما كان عليه في العصور السابقة[٢] مع ظهور بعض التطورات التي فرضتها روح العصر.

تعود طبقات المعبد الشمالي X و IX و VIII في نيبور إلى عصر فجر السلالات الأول، وبالرغم من أندثار جدران المعبد العاشر، يرى **هاينز** إلى أنه يمثل التخطيط الأساس الذي سارت عليه مخططات المعابد اللاحقة، ففي الطبقتين IX و VIII شغلت الحجرة المقدسة الجانب الجنوبي الغربي من المعبد[٣] وقد وضعت دكة الإله في الضلع القصير الجنوبي، ومنحرفة عن محور الحجرة باتجاه الركن الأيسر منها، ومَكن المعمار من الدخول إلى الحجرة المقدسة عبر الجدار الطويل الجنوبي الشرقي في الجزء القريب من دكة الإله (مخطط٢٦ أ،ب). وربما يتعلق ذلك بترتيبات عمارية فرضت على المعمار هذا الإجراء، خصوصاً أن هذا العصر يمثل إعادة تركيب واستنباط للأساليب العمارية التي تدهورت بعض الشيء في عصر جمدة نصر[٤].

وأستمرت الحجرة المقدسة في موضعها الجنوبي الغربي في الطبقات VII-III من المعبد الشمالي في مدينة نيبور العائدة إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث، وبقت دكة الإله في الركن الأيسر من الضلع الجنوبي القصير للحجرة، عدا معبد الطبقة V إذ اتسعت الدكة لتشغل الضلع القصير بأكمله، وعادت إلى وضعها السابق في المعابد التالية، وبتقليد متواصل أستمر مدخل الحجرة المقدسة في موضعه رغم زوال العوائق العمارية في الطرف البعيد عن دكة الإله في الضلع الطويل الجنوبي الشرقي منذ الطبقة VI، وأوجد

---

[١] بارو، المصدر السابق، ص١٤٥.

[٢] يراجع الصفحات ٥٣-٥٩ من المبحث نفسه.

[3] OIP.97, P.4f.

[٤] مورتكات، المصدر السابق، ص٦٣.

مـــدخل أخـــر للحجـــرة المقدســـة فـــي الطبقـــة V عبـــر الحجـــرة الجنوبيـــة الغربيـــة للفناء (مخطط٢٦ ج،د،هـ،و،ز)[١].

وهكذا نجد إن مبدأ عزل الحجرة المقدسة عن بقية مرافق المعبد مازال قائمـــاً، رغـــم وجود المدخل غير المناسب للإله لكونه قريب جداً من دكة الإله، والذي ربما تحول إلى مدخل خاص بالكهنة منذ الطبقة V[٢].

وتتجلى أهمية الحفاظ على موضع الحجرة المقدسة ببقائها في محلها دون تغيير رغـــم إنها طُوقت بالحجرات من الجوانب الثلاثة عدا الجانب المطل على الفنـــاء فـــي الطبقـــة IV، والتي عُزلت عن أي جزء من الجدران الخارجية للمعبد، وهذه الصفة نلاحظها فـــي المعابـــد الطبقاتية، كما في معبد سين في خفاجة (مخططات١٤-١٥ و٢٢-٢٤و٣٥-٣٩) ومعبد عشتار في أشور (مخططات٤١-٤٤)[٣]. ويعكس ذلك أهمية المحافظة على البناء المقدس كما وجـــد أول مرة، وذلك بإعادة بنائه وفق الموضع والتخطيط القديمين مع بعض الإضـــافات التـــي لا تؤثر في شكله الأساس[٤]. وهذا هو سبب بقاء المدخل في الطرف القريب من دكة الإله.

ومن معابد نيبور العائدة إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث معبـــد إنانـــا فـــي الطبقات IX-V وسوف يتم الإشارة إلى معبد الطبقة VII(مخطط٢٥-أ) تحديداً لكونه أكمـــل المعابد من حيث التخطيط ويشابه بعض الشيء معبد الطبقة VIII السابق له(مخطط٢٥-ب). ويتألف من سلسلة من الحجرات المتتابعة طولياً ويغلب على تخطيطه عدم التنظـــيم الواضـــح الذي يشير إلى اختلاط صفات المباني الدينية مع عناصر العمارة المحلية[٥]. حيـــث أحتـــوى المعبد على حجرتين مقدستين متجاورتين، ولا يمكن الوصول إليهما إلا عبر المرور بسلســـلة من الحجرات والأفنية والدهاليز[٦]، وشغلت الحجرتان الجزء الجنوبي الشرقي مـــن المعبـــد، ومُيزت الحجرات الرئيسية عن الثانوية موضعياً وعمارياً إذ فصلت بواسطة رواق يحف بهـــا من الجوانب جميعها[٧]. وهذا النوع من الحجرات أعطى قدراً أكبر من الاســـتقلالية الماديـــة والأهمية المعنوية للإله الذي يشغله، ولعل هذا النمط من عمارة الحجرة المقدسة يشكل نموذجا

---

(1) OIP.97, P.8f.

(2) Ibid, P.12.

(٣) يراجع: OIP.58, PP.8-104 وكذلك: اندريه، فالتر، معابد عشتار القديمة، ترجمة: عبد الرزاق كامـــل، بغداد، ١٩٨٦أ، ص٣٦وما بعدها.

(4) Meijer, Op.Cit, P.218.

(٥) سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١١٩.

(6) Zettler, Op.Cit, P.31.

(7) Ibid, P.31f.

بدائياً لحجرات لاحقة أكثر انعزالا عن مرافق المعبد، كمعبد كاريوس (البارثي) في الوركاء(مخطط٤٥)[1]. ومعبد نابو في النمرود (مخطط٤٦)[2]. وظهرت هذه الخاصية كذلك في المعبد المربع بمدينة الحضر، ربما يخدم هذا الانعزال طقساً دينياً خاص بآلهة تلك المعابد إذ يقوم المتعبدين بالطواف حول الحجرة المقدسة. أما دكة الاله فقد تمركزت في الضلع الجنوبي الشرقي، وفصلت دكة الإله عن دكة القرابين بواسطة عضادتين من الجدران المحيطة بدكة الإله مما جعلها تبدو مربعة الشكل[3].

ويشكل معبد الإلهة ننخورساك البيضوي (مخطط٢٨) في تل العبيد العائد إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث مثالاً واضحا لأهمية موضع الحجرة المقدسة إذ شغلت مكاناً مميزاً في المعبد حيث بنيت في الركن الجنوبي من المصطبة التي أقيم المعبد عليها، أما دكة الإله فأختير الضلع القصير الجنوبي الغربي موضعاً لها[4].

أما في مواقع ديالى فكان معبد سين في خفاجة محافظاً على نسقه العماري المتتابع مع وجود بعض التغييرات العمارية التي لم تؤثر على موضع الحجرة المقدسة أو تخطيطها، ففي الطبقتين VI و VII من المعبد العائدتان إلى عصر فجر السلالات الأول كانت الحجرة المقدسة تقع في الجانب الغربي من المعبد دون تغيير عملي في موضعها، عدا زحفها إلى الغرب نتيجة لضم الحجرة الضيقة الموجودة في الطبقات السابقة، أما دكة الإله فوضعت بشكل ملاصق للجدار الشمالي القصير من الحجرة المقدسة(مخطط٣٥-٣٦)[5].

ويشكل معبد سين في الطبقات VIII-X في خفاجة العائدة إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث نموذجاً متواصلا للمعابد السابقة مع بعض الإضافات العمارية التي لم تؤثر بشكل فعلي على موضعها، إذ بقيت الحجرة المقدسة في معبد الطبقة VIII محتفظة بمعظم مميزاتها السابقة عدا إطالة الحجرة إلى حوالي ١٥م، وقد تم الحصول على هذه الإضافة عبر مد النهاية الشمالية للحجرة المقدسة والتي كانت تشغلها حجرة صغيرة في الطبقات السابقة وتحولت إلى ممر ضيق، ويعتقد **دوكلاس** أنها تحوي على درج للصعود إلى السطح أو مخزنا خاصاً بالحجرة المقدسة[6]. وأيا كان سبب وجودها فهي لا تشكل ميزة ضرورية في

---

(1) UVB.XXVI und XXVII, P.58.

(2) Mallowan, M.E.L., Nimrud and Remains, Vol.I, London(1966), P.234.

(3) Zettler, Op.Cit, P.34.

(4) Delougaz, P.,"A Short Investigation of the Temple at Al–Ubaid", Iraq, Vol.5, (1938), P.4.

(5) OIP.58, P.42.

(6) Ibid, P.54.

البناء(مخطط٣٧). ولم تحدث أي تغييرات تذكر بالنسبة لموضع الحجرة المقدسة في الطبقة IX لمعبد سين عن سابقتها(مخطط٣٨)[١].

ويمثل تصميم معبد الطبقة X أخر عملية إعادة إعمار لهذا المعبد، وبشكل عام أحتفظ المبنى بمميزات المبنى السابق نفسه، فقد أحتفظت الحجرة المقدسة الرئيسة بموضعها دون أي تغيير جوهري. وتم استحداث حجرة مقدسة إلى الغرب من الحجرة الأولى، يتم الولوج إليها عبر مدخل من الحجرة الأولى، ومن الإضافات المهمة في هذه الطبقة وجود حجرة مقدسة ثالثة إلى الشرق من الفناء[٢]. أما موضع دكة الإله ضمن الحجرة المقدسة فقد حافظت على موقعها في الضلع الشمالي القصير من الحجرة في الطبقات الثلاث وكذلك في الحجرة المقدسة الثانية(٨) في معبد سين الطبقة X في خفاجة، أما الحجرة الثالثة (٢) فاختير الضلع الجنوبي القصير موضعاً لها.

وتعكس سلسلة الطبقات لمعبد سين تعبيراً مادياً لثقافة المجتمع في كل مرحلة من مراحله العمارية، هذه الثقافة المتكيفة مع تطور المجتمع وثوابت المعتقد والمتجسدة في بقاء موضع الحجرة المقدسة في محلها رغم الإضافات المتواصلة التي شملت أرجاء المعبد جميعها عدا الجانب الغربي الذي يضم الحجرة المقدسة والتي لم يطرأ عليها أي تغيير جوهري[٣].

وبالانتقال إلى معبد ننتو في خفاجة والذي يضم سبعة مراحل عمارية ترجع طبقاتها I-IV إلى عصر فجر السلالات الأول، ولم تكشف التنقيبات الأثرية إلا جزءاً يسيراً من البناء الأول وحجرته المقدسة ولولا وجودها تحت الحجرات اللاحقة وأحتوائها على دكة الإله، لكان من الصعب عدها ذات أهمية دينية خاصة، واختير الجانب الجنوبي الغربي من المعبد محلاً لها[٤]، والذي أقيمت عليه الحجرات المقدسة في المعابد التالية جميعها، مع وجود بعض الإضافات والتعديلات ففي معبد الطبقة II كانت الحجرة المقدسة ممتدة بشكل طفيف نحو الشمال الشرقي من المعبد الذي يليه[٥]. أما معبد الطبقة III فكانت الحجرة المقدسة فيه أقصر وأعرض من حجرة المعبد الرابع[٦]. وكان موضع دكة الإله مشابه لمواضعها في معابد منطقة

---

(1) OIP.58, P.63.

(2) Ibid, P.72f.

(3) Meijer, Op.Cit, P.218f.

(4) OIP.58, P.102.

(5) Ibid, P.101.

(6) Ibid, P.99.

منطقة ديالى إذ ارتكزت عند الضلع القصير الشمالي الغربي من الحجرة المقدسة في طبقـــات معبد ننتو الستة، باستثناء المعبد الأول حيث أنه يختلف عن عمليات البناء اللاحقة جميعها[١].

ويشابه معبد ننتو في الطبقات V-VII العائدة إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث الطبقات السابقة من حيث موضع الحجرة المقدسة ودكة الإله فيها. إذ ضم معبـــد الطبقـــة VI حجرتين مقدستين فضلاً عن الحجرة الأولى حيث تقع أحداهما غرب الفناء، وكانت عبارة عن غرفة ضيقة مستطيلة الشكل وأحتوى الضلع القصير الشمالي دكة الإله، وكان الجانب الغربي من المعبد مكاناً للحجرة المقدسة الثالثة، وكما في الحجرة الثانية اختير الضلع الشمالي القصير موضعاً لدكة الإله(مخطط٤٧)[٢].

ويلاحظ على مخطط معبد ننتو في الطبقة VI عدم الانتظام المعتاد في معابد خفاجـــة نتيجة لتقيد حرية المعمار في تحديد حجم الفضاء العماري المناسب للبناء، ورغم ذلـــك أتـــاح المعمار قدراً كبيراً من الراحة في فناء المعبد لزواره، ومكاناً مرموقاً لحجرة الإله.

وبالانتقال إلى المعبد البيضوي في خفاجة الفريد في تخطيطه العـــام والـــذي يرقـــى تاريخه إلى عصر فجر السلالات في أدواره الثلاثة، سنلاحظ مدى تطور القـــدرة العماريـــة مقارنة مع طبقات معبد سين ومعبد ننتو في خفاجة نفسها، وتتجلى تلك المقدرة في جعل المعبد برمته مع بيت الكاهن وغرف الإدارة والأفنية وحدة عمارية متكاملة بحيث نفذت وفق خطـــة متقنة(مخطط٢٧)[٣].

ونظراً لفخامة بناية المعبد فقد أفترض **دوكلاس** موضـــعاً وبنـــاءاً مرموقـــاً للحجـــرة المقدسة ينسجم وفخامة المعبد، وهذا ما أكدته التنقيبات، إذ رُفعـــت تلـــك الحجـــرة بواســـطة مصطبة اصطناعية، عزلتها تقنياً ونفسياً عن ما يجاورها من مرافق بنائية[٤].

ومن المحتمل أن الحجرة المقدسة توسطت سطح المصـــطبة التـــي أقيمـــت عليهـــا، والواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي من المعبد، وكما هو الحال في معابـــد مواقـــع ديـــالى جميعها خلال هذا العصر، فقد شغلت دكة الإله الضلع القصير من الحجرة وتحديداً في الجانب الجنوبي الغربي منها(شكل٥)[٥].

لذلك من المرجح ان الحجرة المقدسة في المعبد البيضـــوي ظلـــت محافظـــة علـــى الخصائص الموضعية لعصر فجر السلالات، رغم تطور أسلوب البناء الظاهر في عمارتهـــا

---

(1) OIP.58, P.102.

(2) Ibid, P.87f.

(٣) مورتكات، المصدر السابق، ص٧٣.

(4) OIP.53, P.17.

(5) Ibid, P.66.

بشكل خاص وعمارة المعبد بشكل عام، وتلك المحافظة تحاكي مكنونات النفس البشرية تجاه الدين في الإبقاء على صيغته الأولية المتوارثة عبر الأجيال وما يعبر عنها من مدلولات وماديات.

وينطبق الأمر ذاته على معبد شارة في تل أجرب من حيث التخطيط المحكم، فقد سوّر المعبد بجدار مربع يبلغ سمكه عدة أمتار، يحيط بجميع مرافق المعبد ضمن تصميم متقن[١]. وشغلت الحجرة المقدسة فيه الجانب الجنوبي الغربي من المعبد، ونجح المعمار في إبراز موضع الحجرة بالرغم من تداخلها مع مرافق المعبد الأخرى عن طريق جعلها وحدة عمارية متكاملة يتم الوصول إليها عبر الضلع الشرقي الطويل وبانحراف ٩٠درجة عند الدخول إليها من حجرة المابين. وبنيت دكة الإله لصق الجدار الشمالي الغربي القصير من الحجرة المقدسة(مخطط٤٨)[٢].

وفي اشنونا(تل اسمر) تم الكشف عن مخططات متتالية لمعابد الإله آبو والتي يمكن مشاهدة تطورها المشابه للتطور الذي حدث لمعبد سين في خفاجة، ويعد المصلى القديم الأولي (مخطط٤٩) أولى تلك المراحل العمارية، ويرجع إلى نهاية عصر جمدة نصر، وكان ذا تخطيط غريب تماماً[٣]. ولا يوجد تفسير معتقدي واضح للشكل غير المنتظم للحجرة المقدسة في هذه الفترة، ويشير **لويد** إلى كون الفسحة المحدودة من الأرض المتوفرة بين الأبنية الأخرى المحيطة بها، لعبت دوراً في تحديد شكلها ذاك[٤].

ولإضفاء الأهمية على موضع الإله فقد عالج المعمار ذلك بأن جعل الدخول إليها يتم عبر الالتفاف بمقدار ١٨٠درجة لمواجهة دكة الإله عند الضلع القصير الغربي، وحدث تحول في موضع دكة الإله باتجاه الضلع الشرقي في المصلى القديم الأولي[٥] وقد أستمرت هذه الميزة في المراحل العمارية التالية لهذا المعبد(المخططات٥٠-٥٣).

وغدا بلوغ موضع الإله أكثر صعوبة من نموذجه الأولي، فتوجب على الفرد المرور عبر سلسلة من الحجرات للوصول إلى الحجرة المقدسة التي شغلت الجزء الشمالي من البناء، والتي بقيت في الموقع نفسه حتى عملية إعادة البناء الأخيرة[٦].

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص٧٣.

[2] OIP.58, P.231f.

[٣] مورتكات، المصدر السابق، ص٧٠.

[4] OIC.20, P.7ff.

[٥] يعود المزار القديم إلى عصر فجر السلالات الأول، وتم تمييز تسعة أدوار عمارية لهذا البناء من خلال عمليات التنقيب، إذ أشتمل كل دور على بعض التغييرات في التصميم، وللمزيد من التفصيل حول مخططات تلك المعابد يراجع : OIP.58, P.162ff; Plat.19-27 .

[6] Ibid, P.162f.

وحافظت الحجرة المقدسة الرئيسة في معبد الإله آبو المربع على محلها السابق في الجانب الشمالي من المعبد[١] وأقيمت حجرتان إضافيتان في كل من الجانبين الشرقي والغربي من الفناء الداخلي[٢].

ورغم بساطة التركيب الهندسي للمعبد الذي يشبه البيت ذي الفناء الداخلي الذي ينفتح من الداخل على نفسه، ولإيجاد القدر ذاته من الأهمية للحجرات الثلاثة، لجأ المعمار إلى إيجاد تركيب عماري عند المدخل وذلك بإبراز جدار منحرف عند الضلع الغربي من حجرة المدخل وجعله كستارة تحجب ما في الداخل عن الخارج.

أما في تبة كاورا فتعود الطبقة VIII بأدوارها الثلاثة A-B-C إلى عصر فجر السلالات[٣]. وقد شملت العديد من المباني الدينية الثلاثية التركيب والتي تمثل تقليداً عمارياً سارت عليه معابد هذا الموقع جميعها، وكما هو الحال فقد شغلت الحجرة المقدسة المحور المركزي من المخطط[٤] لكنها انسحبت نحو الداخل وبرزت الحجرتين الجانبيتن إلى الأمام مما ترك فضاءً أمام الحجرة المقدسة، ويعتقد **توبلر** انه كان مسقفا بشكل جزئي معتمداً في ذلك على بقايا لموضع عامود خشبي أُكتشف في الجدار الشرقي للمعبد الجنوبي الشرقي (مخطط١٠ د-هـ)[٥]. أدى هذا الإجراء إلى تقلص حجم الحجرة المقدسة مقارنة بمعابد الطبقات السابقة في الموقع نفسه، ولكنها تعبر عن مثال أكثر محافظة على الموروث لهذا النوع من الحجرات مقارنة بالمواقع التي ظهر فيها التخطيط الثلاثي كمعابد إنانا (مخطط١١و١٩) ومعبد الإله آنو الأبيض (مخطط١٢) في الوركاء والمعبد المصبوغ في العقير (مخطط١٣) ومعابد اريدو (مخطط٥-٦و١٦-١٨)، وللأسف لم تكشف التنقيبات الأثرية عن طبقات لتلك المعابد تعاصر معابد الطبقة VIII في تبة كاورا.

وبصفة عامة فقد وجدت دكة الإله في الضلع القصير من الحجرة المقدسة ومواجهة للمدخل في معابد هذه الطبقة جميعها واختلفت في موضعها بالنسبة إلى المعبد باختلاف

---

(1) OIP.58, P.172.

(٢) مورتكات، المصدر السابق، ص٧١.

(٣) تتألف الطبقة الثامنة في تبة كاورا من ثلاثة أدوار هي A-B-C، وأختلف الباحثون في وضعها التاريخي، فأرجعتها **برودا** إلى أواخر عصر جمدة نصر معتمدة على مقارنة طبعات الأختام في هذه الطبقة مع أختام عصر جمدة نصر، بينما أتفق **فرانكفورت** و**توبلر** في كونها تعود إلى أوائل عصر فجر السلالات، من خلال مقارنة اللقى الفخارية وشكل الطرز العمارية مع مواقع ديالى وجنوب العراق العائدة إلى عصر فجر السلالات الأول. يراجع : OIP.58, P.306 ; Rothman, Op.Cit, P.51 ; Tobler, Op.Cit, P.24 .

(4) Rothman, Op.Cit, P.129f.

(5) Tobler, Op.Cit, P.24.

اتجاهه، ففي المعبد الجنوبي الشرقي وضعت دكة الإله في الجانب الجنوبي الشرقي من المعبد في أدواره الثلاثة(مخطط١٠-هـ) أما في المعبد الشمالي الغربي فوجدت في الجانب الجنوبي الغربي في الدورين B وC(مخطط١٠-د)، وشغلت الجانب الشمالي الشرقي في المعبد الشمالي في الدورين B وC من الطبقة VIII(مخطط١٠-و)[١].

وفي أشور حافظ معبد عشتار في الطبقتين (G - H)[٢]. العائد إلى عصر فجر السلالات بأدواره الثلاثة على النمط العماري العام لمعابد ذلك العصر، إذ كان الجدار الغربي الطويل للحجرة المقدسة يقع في الجانب الشرقي من فناء المعبد، بحيث يجد الشخص الداخل لها نفسه في الزاوية وعليه أن يستدير شمالاً لكي يستطيع رؤية موضع الإله، لذلك بدت الحجرة المقدسة وكأنها اكتسبت طولاً إضافيا[٣]. ولإبعاد الرتابة التي فرضتها طول الحجرة وإبراز موضع الإله عن بقية أجزاء الحجرة فلجأ المعمار إلى بناء أعمدة جدارية في كلا الجانبين الطويلين بحيث نشأ عن ذلك مكان صغير ضم موضع الإله فضلاً عن ذلك يعتقد **اندريه** إلى احتمال كونه معزول بواسطة ستارة أو حصيرة من القصب[٤].

وقد عمد المعمار إلى رفع موضع الإله بمصطبة بلغ أرتفاعها ٧٠سم لإضفاء سمة الإجلال والرهبة عليها[٥]. وغدا هذا التركيب أكثر أرتفاعاً في المعابد الأشورية المتأخرة مقارنة بالموضع الواطئ في المعابد البابلية الذي لا يزيد عن درجة سلم واحدة(مخطط٤١)[٦].
واحدة(مخطط٤١)[٦].

وفي معبد الطبقة G كانت الترتيبات الموضعية والعمارية للحجرة المقدسة مشابهة بشكل تام لترتيبات الطبقة H كما موضح في الشكل (شكل٩)[٧].

---

[1] Rothman, <u>Op.Cit</u>, 130ff.

[٢] استخدمت تقارير التنقيبات الأولية للبعثة الألمانية الحروف (A - H) للدلالة على الطبقات الأثرية في مدينة أشور، وعليه فإن الطبقة H يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات الأول، وتمثل الطبقة G عصر فجر السلالات الثاني والثالث، أما الطبقة F فأرجعها **اندريه** إلى دور الانتقال إلى العصر الاكدي، وترقى الطبقة E إلى العصر الاكدي، أما الطبقة D فترجع إلى العصر الأشوري القديم، والطبقات A , B , C فيعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد. للمزيد يراجع:

هيرودا، <u>المصدر السابق</u>، ص٢٧٩. وكذلك: اندريه، <u>المصدر السابق</u>،١٩٨٦أ، ص٢٦.

[٣] عكاشة، <u>المصدر السابق</u>، ص٤١٩.

[٤] اندريه، <u>المصدر السابق</u>،١٩٨٦أ، ص٣٦.

[٥] <u>المصدر نفسه</u>، ص٥٦.

[٦] كولديفاي، روبرت، <u>معابد بابل وبورسبا</u>، ترجمة: نوال خورشيد سعيد، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٦،٥٩.

[٧] اندريه، <u>المصدر السابق</u>،١٩٨٦أ، ص٥٧.

مميزات موضع الحجرة المقدسة في عصر فجر السلالات

١- تمتعت الحجرة المقدسة بخصوصية موضعية ذات استقلالية أكبر عن مرافق المعبد العمارية، فحجبت قدر الإمكان عن المرافق البنائية ذات الطبيعة الدنيوية في المعبد، كما مر ذكره سابقاً.

٢- يرى **لويد** أن إعادة التشكيل الداخلي والخارجي التي ظهرت خلال عصر فجر السلالات الثالث، لعبت دوراً في تبوأ الحجرة المقدسة مكاناً ذا أهمية من المخطط العام[1]. وهذا ما تبينه مخططات المعبد البيضوي في خفاجة ومعبد شارة في تل أجرب ومعبد ننخورساك في تل العبيد ومعبد عشتار في أشور.

٣- التزام الحجرة المقدسة بموضعها الأولي في عمليات إعادة البناء المتلاحقة، مما يبرز أهمية ذلك الموضع وقدسية المكان الذي تنشأ عليه الحجرة، وتذكر **الياد** أنه عندما يظهر المقدس وموضعه لا يوجد انقطاع في تجانس المكان مع ذلك المقدس، بل يشكلان النقطة الثابتة والقطب المركزي لكل توجه مستقبلي في إعادة التشكيل[2].

٤- يلاحظ على مواضع الحجرات المقدسة في هذا العصر تخليها عن مركزيتها المعهودة في العصور السابقة، فأصبحت تشغل أحد جوانب المعبد، ويعود ذلك إلى قلة أستخدام التخطيط الثلاثي خلال هذا العصر، والذي يتيح، بفعل تقسيمه إلى ثلاثة محاور، للحجرة المقدسة اتخاذ المحور المركزي للمعبد موضعاً لها، ورغم ذلك فقد حافظت بعض الحجرات المقدسة على مركزيتها ضمن التخطيط الثلاثي مثل الحجرة المقدسة في تبة كاورا للطبقة VIII.

٥- لم يكن موضع الحجرة المقدسة على نسق واحد في معابد عصر فجر السلالات فبنيت الحجرة المقدسة في معبد ننتو في خفاجة والمعبد الشمالي في نيبور ومعبد شارة في تل أجرب في الجانب الجنوبي الغربي من المعبد، وتقع في الجانب الشرقي والجنوبي الشرقي في معبد إنانا في نيبور والمعبد البيضوي في خفاجة ومعبد آبو في اشنونا ومعبد عشتار في أشور.

٦- بصفة عامة ومستمرة منذ العصور السابقة، شغلت دكة الإله الضلع القصير من الحجرة المقدسة في غالبية معابد عصر فجر السلالات. بينما تنوع موضع هذه الدكة بالنسبة للحجرة المقدسة، ففي المعبد البيضوي في خفاجة ومعبد ننخورساك في تل العبيد شغلت

---

[1] لويد، المصدر السابق، ص١٠٢.

[2] الياد، المصدر السابق، ص٢٥.

الضلع الجنوبي الغربي من الحجرة، واختير الضلع الجنوبي منها في المعبد الشمالي لنيبور والضلع الشمالي لمعبد سين في خفاجة ومعبد آبو في اشنونا وعشتار في أشور، وبنيت دكة الإله في معبد ننتو في خفاجة ومعبد شارة في تل أجرب في الجانب الشمالي الغربي من الحجرة المقدسة.

٧- كانت معابد عشتار تتمتع بموضع حجرة مقدسة أكثر تميزاً عن الحجرات المقدسة لبقية المعابد الأخرى، فامتاز موضعها منذ عصر الوركاء في معابد إنانا (مخطط١١و١٩) في الوركاء بقدر أكبر من الإجلال والرهبة من المعابد الأخرى، إذ فصلت الحجرة المقدسة فعلياً عن القاعة المركزية عن طريق عضادتين جداريتين تحملان باب من القصب أو كان يعلق عليهما حصيرة أو ستارة ويؤكد ذلك رسم أحد رموز الإلهة إنانا (عشتار) على شكل حزمة قصب معقودة ويصف هذا الرمز على أنه عضادة باب ويتصل به حصيرة من القصب لتشكل الباب[١]. وأستمر هذا التركيب في معابد عشتار التالية في نفر ومعبد عشتار في أشور، أما عن ترابط العلاقة بين الإلهة وهذا الرمز والحجرة المقدسة فهي متأتية من علاقة المكان مع شعائر طقوس الخصب التي ربما كانت تمارس في هذا الموضع منذ عصر مبكر في بلاد سومر[٢]. وتبين مشاهد الأختام الاسطوانية أستخدام هذا العنصر في حجب موضع الإلهة إنانا(عشتار)، إذ وجد هذا الرمز (حزمة القصب) في المشاهد التي تمثل الإلهة عشتار وأمامها إناء أو إنائين من القرابين(شكل١٠)، في دلالة على أن الموضع الذي تقف فيه هو حجرتها المقدسة. وإضافة إلى ذلك فقد شرف نُصب هذه الإلهة برفع موضعه كلياً عن مستوى أرضية الحجرة المقدسة كما في معابد H و G و E في أشور وكذلك في معبدها في نيبور.

موضع الحجرة المقدسة في العصر الاكدي

اتسم العصر الاكدي بتطورات شملت نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية السياسية[٣]. وتركت تلك التطورات أثرها في الميدان العماري، ورغم قلة عدد الأبنية العائدة

---

[١] تجدر الإشارة إلى أن الرمز ذاته "حزمة القصب" استخدم أيضاً كرمز للإله آنو لكن بدون وجود الستارة المتدلية من حزمة القصب مما يشير إلى دور هذه الستارة في معابد إنانا .Black, Op.Cit, P.45;154

[٢] ساكز، المصدر السابق، ص٣٨٩.

[٣] يراجع: ساكز، المصدر نفسه، ص٦٨-٧١ وكذلك: سليمان، عامر، اللغة الاكدية، الموصل، ٢٠٠٥، ص٩٣-٩٩ وكذلك: باقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٣٥٤-٣٨٠.

إلى العصر الاكدي إلا إنها تنبئنا بتغييرات حيوية حدثت فيه، وتعكس ولو بجزء يسير سـمة روح العصر[١].

وفيما يتعلق بعمارة المعابد في العصر الاكدي، فلم تكن تلك المعابد واضحة المعـالم لكي نستدل على تطور موضع حجراتها المقدسة بشكل دقيق، ولكن كانت هناك معابد موجودة في عصر فجر السلالات وأستمر أستخدامها في العصر الاكدي ومنها معبـد الإلـه آبـو ذو المصلى المنفرد الذي يضم أربعة مستويات بنائية رئيسة، تعود الرابعة منهـا إلـى العصـر الاكدي، وبشكل عام فإن البناء في الطبقات الأربع موجه تقريباً نحو الشرق والغرب، وتقـع دكة الإله في منتصف الضلع الغربي القصير، وكان المدخل واقعاً في المحور المتقاطع مـن الشمال. وحدث تغيير مهم في المستويين الثالث والرابع، فقد تم تقسيم المكان إلـى حجـرتين منفصلتين بواسطة جدار فيه مدخل(مخطط٥٤)[٢].

وتعود الطبقتان I و II من المعبد الشمالي في مدينة نيبور إلى العصر الاكدي، وان ما أكتشف من المعبد في هاتين الطبقتين قليل، إلا أنه يمكن ملاحظة استمرار الحجرة المقدسة في موضعها القديم ذاته العائد إلى عمليات البناء السابقة في الجانب الجنوبي الغربي من المعبد[٣]. أما دكة الإله فلم تعثر التنقيبات عن أي أثر لها وأن كنا نميل إلى الاعتقاد بوجودها في المحل ذاته عند الركن الأيسر من الضلع الجنوبي القصير، وما يؤكد ذلك الاعتقـاد وجـود بعـض العناصر العمارية في نفس موضعها السابق كمدخلي الحجرة المقدسة والغرف الجانبية عنـد الضلع الشمالي(مخطط٢٦-ح).

وبالانتقال إلى الشمال في أشور كان معبد عشتار في الطبقة E على صـلة مباشـرة بأسلوب العمارة القديم لمعابد الطبقتين H-G، فيطل الجدار الغربي العـريض مـن الحجـرة المقدسة على الجانب الشرقي من الفناء، ويتم الدخول إليها من الفناء عبر مدخل في الزاويـة اليمنى، وكما في المعبدين السابقين فقد انتصب موضع الإلهة عند الجدار القصير الـذي يقـع شمال الشخص الداخل إلى الحجرة وبدأ موضع دكة الإله مفصولاً بشكل أكثر وضـوحاً مـن المباني القديمة السابقة[٤]. في تأكيد مستمر على أهمية هذا التركيب في الحجـرات الخاصـة بالإلهة عشتار(مخطط٤٣).

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص١٥٣.

[2] OIP.58, P.192.

[3] OIP.97, P.23-24.

[٤] اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٤٢.

يلاحظ على موضع الحجرة المقدسة خلال هذا العصر، التزام المعمار في المحافظة على موضعها القديم عند إعادة البناء، فاستمرت بذلك الخصائص السابقة جميعها لموضع الحجرة المقدسة ودكة الإله.

موضع الحجرة المقدسة في عصر سلالة أور الثالثة

أدى الفكر الديني للسومريين مع النزعة الملكية لحكام سلالة أور الثالثة إلى اكتساب بناية المعبد لسمات تعبر عن ذلك الفكر بصبغة ملكية[١].

إذ شهدت مدينة أور خلال هذا العصر نشاطاً عمارياً غير مسبوق على يد ملوكها[٢]. وانعكس ذلك النشاط على موضع الحجرة المقدسة وعمارتها، ففي معبد انكي شغلت الحجرة المقدسة مكاناً مميزاً ضمن البناء فاحتلت الحجرة الجزء الجنوبي الغربي من البناء، وفصلت بشكل مثير للاهتمام عن بقية مرافق المعبد بواسطة رواق يحف بها من الجهات جميعها عدا الجانب الشمالي الشرقي المطل على الفناء[٣] وجعل هذا الرواق من الحجرة المقدسة وحدة عمارية مستقلة بذاتها عن بقية أرجاء المعبد، واقترح **وولي** تسقيفاً مستوياً لهذا الرواق[٤] ويشير كذلك إلى احتمال كونه جزءاً من الطقوس التي تتعلق بالطواف حول الحجرة المقدسة، ومما يعزز ذلك الاحتمال عدم وجود وحدات عمارية في الضلعين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي يؤدي إليها الرواق، أما دكة الإله فتوسطت الجزء الطويل من الحجرة المقدسة، وعلى محور واحد مع المدخل الرئيس[٥]. ويصور هذا الانتقال في موضع دكة الإله تكاملاً عمارياً للأسلوب السومري الحديث الذي يلتقي مع المفهوم الاكدي(**مخطط٣٠**)[٦].

---

[١] بارو، المصدر السابق، ص٢٥٣.

[٢] اشتهر ملوك سلالة أور بإعمالهم العمرانية الواسعة في مدينة أور، فنالت القسط الأوفر من العناية والاهتمام وعاشت عصرها الذهبي في ظل حكمهم والذي يبدأ بمؤسس السلالة اورنمو (٢١١٣-٢٠٩٦ق.م) والابن شولجي (٢٠٩٥-٢٠٤٨ق.م) والحفيد أمار-سين (٢٠٤٧-٢٠٣٩ق.م) وشو-سين (٢٠٣٨-٢٠٣٠ق.م) وأخرهم ابي-سين (٢٠٢٩-٢٠٠٦ق.م) ساكز، المصدر السابق، ص٦٠٣.
للمزيد عن الأعمال العمرانية لملوك سلالة أور الثالثة يراجع :
مورتكات، المصدر السابق، ص١٩٢-٢٠٥. وكذلك . Woolley, Op.Cit, PP.122-162

[3] UE.VII, P.9.

[4] Ibid, P.11.

[٥] مورتكات ، المصدر السابق، ص١١٩.

[٦] المصدر نفسه، ص٢٠٠.

ترك تخطيط بناية كيك-بار-كو[١] وتداخل مرافقه العمارية أثراً ملموساً على موضع الحجرات المقدسة في هذا المعبد، ففي القسم الشمالي من المعبد شغلت الحجرة المقدسة الجانب الشمالي الغربي منه، وقد تكونت من جزئين الأول هو القاعة الطويلة والثاني هو الحجرة المقدسة، واحتلت دكة الإله الضلع القصير الشمالي الغربي، وقد مُيز موضعها برفع مستواها عن الحجرة الطويلة، ويتم الوصول إليها عبر عدة درجات[٢] وإلى الجزء الواقع جنوب شرق الحجرة المقدسة عُثر على تركيب عماري يوحي مخططه الأرضي بأهميته الدينية إذ كان يتألف من ثلاثة حجرات طويلة متوازية ومفصولة عن الوحدات العمارية المجاورة لها بواسطة ممر يحف بها من جميع جوانبها مما أضاف قدراً من الأهمية إلى ذلك التركيب، وان وجود هذا الممر ونظام الدخول إلى هذه الحجرات فرض نوعاً من الطواف على الشخص الداخل إليه. وتعد الحجرة الوسطية أهم جزء فيه وهي الحجرة المقدسة ويكون الوصول إليها عبر مدخل في كل من الحجرتين الجانبيتين، وشغلت دكة الإله الضلع القصير الشمالي الغربي[٣]. أما في الجزء الجنوبي، فقد شغلت الحجرة المقدسة الجانب الجنوبي الشرقي من المعبد وبنيت دكة الإله داخل كوة عميقة، تتقدمها حجرتان عرضيتان لتشكلان حجرة المابين. ويتم الوصول إلى حجرة الإله من الفناء عبر مدخل يواجه موضع الإله(مخطط٣١)[٤].

وتعود الطبقتين VI-V في معبد انليل في نيبور إلى فترة سلالة أور الثالثة، وامتاز تخطيطه بنسق منظم يعكس سمة العمارة في هذا العصر، وأحتوى المعبد على حجرتين مقدستين، تقع الأولى (١٣) في الجانب الشمالي الغربي، وشغلت دكة الإله الضلع القصير الشمالي الغربي[٥]. أما الحجرة الثانية (١٨) فقد بنيت في الجانب الجنوبي الشرقي من المعبد واختير الضلع الشرقي القصير محلاً لدكة الإله(مخطط٥٥-٥٦)[٦].

وفرض تخطيط المعبد وتوزيع حجراته على المعمار إيجاد عدة مداخل في الحجرة المقدسة ووزعت بأسلوب أفقدها قدراً كبيراً من هيبتها المعتادة، وربما تعُلل تلك اللامبالاة إلى وجود المعبد ضمن المنطقة المقدسة المحاطة بسور والتي تضم كذلك زقورة الإله انليل.

---

[١] يقع هذا البناء جنوب غرب الزقورة محاذياً للجدار المحيط بها، شيده الملك أمار-سين حفيد اورنمو لابنته شالتي الكاهنة العليا لمعبد ننار إله القمر، إله مدينة أور الرئيس. UE.VI, P.43.

[2] Woolley, Op.Cit, P.21.

[3] Ibid, P.23.

[٤] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٣٤.

[5] OIP.78, P.5.

[6] Ibid, P.6f.

ويعكس المعبد الملحق بقصر شو-سين في اشنونا القدرة الفذة للذهن العماري في استيعاب الأساليب العمارية الحديثة وتوظيفها لخدمة البناء المقدس(مخطط٢٩)[١].

شغلت الحجرة المقدسة الجانب الشمالي الغربي من بناية المعبد وبنيت دكة الإله داخل كوة في وسط الضلع الطويل الشمالي الغربي، ويواجه موضع الإله مدخل الحجرة المقدسة والذي بدوره يواجه المدخل الرئيسي للمعبد، ويعد هذا المعبد نموذجاً قياسياً لعمارة المعابد وفق الطراز البابلي في الفترات اللاحقة[٢].

حاول المعمار إيجاد موضع مميز للحجرات المقدسة ضمن مجمع المعبد، ونجح في ذلك عبر قيامه بإجراءات عمارية وتخطيطية ميزت موضع الحجرة عن مرافق المعبد الأخرى، ويلاحظ على موضع دكة الإله بداية ظهور لنمط جديد عرف لاحقاً بين الباحثين بالطراز البابلي، والذي تقع فيه دكة الإله عند الضلع الطويل، وتكون على محور واحد مع المدخل الرئيس مروراً بسلسلة من المداخل[٣].

موضع الحجرة المقدسة في العصر البابلي القديم

تعد فترة العصر البابلي القديم من فترات الازدهار الحضاري المشرقة في تاريخ العراق القديم، وانعكس ذلك التطور على الميدان العماري فأصبحت المباني أكثر فخامة من العصور السابقة وخصوصا أبنية القصور الملكية التي طغت على عمارة المعابد بالرغم من ذلك أستمرت العناية بها من جانب ملوك هذا العصر[٤]. وظهر تأثير ذلك على تطور عمارة المعابد ومواضع حجراتها المقدسة، ففي معبد أي-ببار[٥] العائد إلى الإله شمش في مدينة لارسا شغلت الحجرة المقدسة فيه الجانب الجنوبي الغربي من المعبد[٦]. غير أن تخطيط المعبد وسعة أفنيته لم يفقد الحجرة المقدسة مميزاتها الموضعية، بل مكنت المعمار من اختيار موضع يواجه المدخل الرئيسي على محور واحد من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي والذي يمثل موضع المدخل(مخطط٣٣)، أما دكة الإله فقد شغلت الركن الجنوبي الشرقي من

---

[١] بارو، المصدر السابق، ص٤٩.

[2] OIP.43, P.15.

[٣] لويد، المصدر السابق، ص١٨١.

[٤] يوسف، المصدر السابق، ص٩٣.

[٥] تمكن المنقبون من تمييز عدة أدوار بنائية في هذا المعبد تمتد في تاريخها من عصر آيسن- لارسا حتى زمن سلالة آيسن الثانية، في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد .

Calvet, et. al,"Larsa Preliminary Report on the Sixth Campaign", SUMER, Vol.34, (1978), P.162.

[٦] هوت، جان لويس، وآخرون، "لارسا تقرير أولي عن الموسم الثامن"، سومر، مجلد ٣٨، ١٩٨٢، ص٧٨.

الحجرة المقدسة[١]. وهكذا يتوجب على الشخص الداخل إلى الحجرة المقدسة الالتفـاف نحـو اليسار ليواجه دكة الإله، ونلاحظ مما تقدم اختلاط المفاهيم العمارية ما بين القـديم والحـديث وعدم مقدرة المعمار على إيجاد تفسير مادي يوفق بينهما فظهر هذا الامتزاج بين الطـرازين في موضع الحجرة المقدسة ودكة الإله والمدخل الرئيسي، وان كان الغالب علـى تخطيطـه طابع الطراز البابلي.

يعكس تخطيط معبد الإلهة گولا في آيسن العائد إلى عصر آيسـن-لارسـا، صـورة أخرى لطبيعة الأساليب العمارية في هذا العصر إذ شغلت الحجرة المقدسة الجانب الجنـوبي الغربي من البناء ولغرض الوصول إليها يتوجب على الداخل من المدخل الرئيس أن يسـتدير إلى اليمين في منتصف الفناء ليواجه مدخل الحجرة المقدسة، بينما يمكن الوصول من الفنـاء الداخلي الحجرة المقدسة بصورة مباشرة[٢] وقد حُجب مدخل هذه الحجرة بواسطة دكة بنيـت في الفناء تتقدم مدخل حجرة المابين وبذلك أصبحت كستارة تحجب موضع الإله عن الرؤيا[٣]، أما موضع دكة الإله فكانت وفق الطراز البابلي في الضلع الطويل الجنـوبي الغربـي مـن الحجرة المقدسة(مخطط٥٧)[٤].

واحتوى المعبد على جناح خاص لعبادة الإله ننورتا[٥] يقـع فـي الجانـب الجنـوبي الشرقي من الفناء، ويتم الوصول إلى موضعه عبر ثلاث حجرات، وعنـد الحجـرة (XV) يستدار إلى اليمين ليواجه موضع الإله عند الضلع الجنوبي الطويل للحجرة المقدسة[٦].

وشكل المعبد الرئيس المخصص للإلهة نيسابا في تل حرمل نموذجاً لعمـارة المعابـد البابلية وفق الطراز البابلي، فكانت الحجرة المقدسة الرئيسة الواقعة فـي الجانـب الجنـوبي الغربي من المعبد تواجه المدخل الرئيس في الاتجاه الشمالي الشرقي، وشـغلت دكـة الإلـه الضلع الطويل الجنوبي الغربي.

واتبعت الحجرة المقدسة الثانية النسق نفسه في موضع دكة الإله مع أختلاف اتجاههـا إلى الجانب الشمالي الغربي، واحتلت هذه الحجرة الجانب الغربي من المعبد(مخطط٣٢)[٧].

---

(1) Calvet, Op.Cit, P.148 .

(2) Hrouda, B., Strommenger, E., "Bericht Über die5. Kampagne in Isin/Išan Bahriat", SUMER, Vol.36, (1980), P.86.

(٣) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٥.

(4) Hrouda, Op.Cit(1980), P.87.

(٥) الإله ننورتا: إله الحرب والصيد عند العراقيين القدماء وزوج الإلهة گولا.

(٦) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٥ .

(7) Baqir, Op.Cit, P.24f .

ومن أشهر معابد هذا العصر معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي والذي أمتاز بتخطيطه المتقن وبأسلوب عمارته الفخم، احتوى هذا المعبد على ثلاثة حجرات مقدسة شغل أكبرها(٦) الجانب الغربي من المجمع، ويمتد محورها الرئيس من الجهة الجنوبية الشرقية إلى الجهة الشمالية الغربية[١] حيث موضع دكة الإله عند الضلع الطويل الشمالي الغربي من الحجرة المقدسة، وإن ترتيب موضع الحجرة المقدسة لمعبد كيتيتوم وفق المحور الواحد الممتد من البوابة الخارجية مروراً بالفناء وحجرة المابين وانتهاءً بالحجرة المقدسة، لم يقلل من خصوصية موضع الحجرة المقدسة للإلهة عشتار عما كان عليه في العصور السابقة حيث عمد المعمار إلى بناء بوابة مهيبة عند مدخل حجرة المابين، ولعل وجود هذه البوابة متعلق بالصفة العمارية والموضعية الخاصة بالحجرات المقدسة للإلهة عشتار، ومن المحتمل جداً إنها كانت مسدودة ببابين أو بستارة من الحصير تحجب موضع دكة الإلهة عن الخارج كما يعتقد **فرانكفورت**[٢]. وإذا ما قارنا ما بين هذه الحجرة والحجرات الخاصة بالإلهة عشتار (إنانا) في المعابد الأخرى، فسنجدها متشابهة من حيث المضمون ومختلفة في أسلوب التركيب، وهو أمر طبيعي مقترن بتطور الطرز العمارية خلال هذا العصر.

أما الحجرتان الثانية (٢) والثالثة(١) فتقعان على طول الجهة الشمالية من المجمع، ويتم الدخول إلى الحجرة الثانية من الخارج عبر مدخل خاص بها يؤدي إلى فناء ومن ثم إلى حجرة المابين وإلى الحجرة المقدسة، واستخدم الترتيب ذاته في اختيار موضع الإله حيث شغلت الضلع الطويل الغربي من الحجرة المقدسة. أما الحجرة الثالثة(١) فيتم الوصول إليها عبر مدخل من الفناء الكبير (A) جنوبي الحجرة المقدسة مروراً بفناء ثانوي أمام الحجرة المقدسة واحتلت دكة الإله في هذه الحجرة الضلع الغربي القصير(مخطط٤٠)[٣]. إن شكل تخطيط الحجرة المقدسة الثالثة وموضع دكة الإله غير متوقع وجوده في هذا المعبد ذي الطراز البابلي، والذي يعده **لويد** نموذجاً مبكرا للحجرة الطويلة التي ظهرت في الطراز الأشوري لاحقاً[٤].

من خلال مقارنة مواضع الحجرات المقدسة وموضع دكاك الإله فيها، نلاحظ مدى أختلاط المفاهيم العمارية وعدم مقدرة المعمار على استنباط أسلوب يميز البناء بشكل عام فتنوعت خياراته بين المحور الواحد والمنكسر للوصول إلى الحجرة المقدسة من المداخل الخارجية بينما اعتمد المحور الواحد للوصول إلى جميع الحجرات المقدسة من الفناء الداخلي

---

(1) OIC.20, P.78.

(2) OIC.20, P.84.

(3) Ibid, P.78.

(٤) لويد، المصدر السابق، ص١٩٠.

الخاص بكل حجرة وتنوع أيضاً موضع دكة الإله بين الضلع الطويل كما الحجرتين الأولى والثانية وبين الضلع القصير كما في الحجرة المقدسة الثالثة، ويؤشر هذا الاختلاط في الوقت ذاته على بداية انتقاء أساليب عمارية ميزت العمارة الدينية في الفترات اللاحقة.

وبالانتقال شمالاً إلى مدينة أشور إذ وجدت بقايا معبد عشتار D بحالة سيئة إلا أنه أمكن تحديد موضع الحجرة المقدسة في الجهة الجنوبية الشرقية من الفناء، أما دكة الإله فلا يوجد أي اثر يُحدد مكانها(١). ويفترض **اندريه** وجودها في نفس موضعها القديم في المعابد السابقة(٢) أي في الضلع الشمالي القصير، بينما يتم الدخول إلى الحجرة المقدسة من الزاوية اليمنى للحجرة التي تطل على الفناء بجانبها العريض وهذا يعني وجود المداخل في الموضع نفسه للحجرات السابقة(٣) وهو ما يؤكد في الوقت ذاته اقتراح **اندريه** عن موضع دكة الإله(مخطط٤٤).

وفي معبد الإله أشور أكبر معابد مدينة أشور اتبع المعمار نمط التخطيط ذو المحور الواحد، إذ يتعامد المدخل الرئيس على محور واحد مع حجرة المدخل والفناء الأول وحجرة ثانوية والفناء الثاني الواسع وثم حجرة المابين(٤) أما مدخل الحجرة المقدسة فلم يتمكن المنقبون من معرفة موضعه، مما جعل من الصعب تحديد ما إذا كانت من النوع الطويل أو العريض وبالتالي يصعب التكهن بموضع دكة الإله ويعتقد **حنون** أنه إذا كانت الحجرة المقدسة من النوع الطويل فأن موضع دكة الإله سيكون أمام الضلع القصير الشمالي الغربي للحجرة(٥). وتجدر الإشارة هنا إلى أن موضع الحجرة المقدسة قد تم اختياره في الجانب الشمالي الغربي من المعبد، وهذا يتفق مع أغلب الصفات الموضعية التي برزت خلال هذا العصر(مخطط٣٤)(٦).

ويعكس معبد كرانا(تل الرماح) الثقافة العمارية السائدة خلال هذا العصر إذ بني المعبد وفق تخطيط منسق ووزعت مرافقه بشكل منظم، واحتلت الحجرة المقدسة الجانب الشمالي الغربي من المعبد وعلى محور واحد مع المدخل الشرقي، ومحور منكسر مع

---

(١) حنون، المصدر السابق،٢٠٠٦، ص٣٨.

(2) MDOG.54, P.31-36.

(٣) اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٤٤.

(4) Haller, A.,“Die Heileigtümer des Gottes Assur und der Sin-Šamaš Temple in Assur”, WVDOG.67, Berlin(1955), P.51.

(٥) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٦-٢٧.

(6) Börker, Op.Cit, P.258f.

المدخلين الشمالي والجنوبي. أما دكة الإله فقد أتبعت الطراز البابلي في اختيار موضعها حيث اختير الضلع الطويل الشمالي الغربي موضعاً لها(مخطط٥٨)[١].

مميزات موضع الحجرة المقدسة في العصر البابلي-الأشوري القديم

١- أنتقل موضع دكة الإله من الضلع القصير إلى الضلع الطويل، وهذا التطور لم يحدث بصورة مفاجئة بل كان عبر تطور ثابت وتقدم متواصل منذ العصور السابقة شمل ميادين كثيرة ومنها موضع دكة الإله[٢].

٢- يُظهر انتقال موضع دكة الإله إلى الضلع الطويل في خطة المعابد الاعتيادية تغيراً ملموساً نلاحظه في التناسق الواضح لمخططات المعابد الجديدة[٣].

٣- شغلت الحجرة المقدسة الجانب الجنوبي الغربي في معابد نيسابا في تل حرمل ومعبد شمش في لارسا وگولا في آيسن (مخططات٣٢-٣٣،٥٧) والذي أصبح صفة غالبة لمعابد الطراز البابلي، بينما اختير الموضع الشمالي الغربي في معابد أشور والحجرة الرئيسة في معبد عشتار كيتيتوم (مخططات٣٤،٤٠) مما جعلها صفة غالبة لمعابد الطراز الأشوري في العصور اللاحقة[٤].

٤- من الصعب تجاهل التأثير السومري في الميدان العماري إذ احتفظت بعض المعابد أو بشكل أدق بعض الحجرات المقدسة ضمن المعابد بخصائصها الموضعية التي ظهرت في الفترة السومرية، وعلى سبيل المثال معبد عشتار D في أشور ومعبد الطبقة الثالثة[٥] في تل محمد[٦] ومعبد أي-ببار في لارسا.

---

[1] Oates, D.,"The Excavation at Tell Al-Rimah, 1965", IRAQ, Vol.28(1966), PP.123-127.

[٢] بارو، المصدر السابق، ص٣١٠.

[٣] لويد، المصدر السابق، ص١٨١.

[٤] باقر، طه، "معابد العراق القديم"، سومر، مجلد ٣، ١٩٤٧، ص٢٢.

[٥] متاب، أمل وآخرون، "تنقيبات تل محمد"، سومر، مجلد ٤٦، ١٩٨٩، ص١٣٢.

[٦] تل محمد: يقع في منطقة بغداد الجديدة ويبعد حوالي ١٠كم عن مركز بغداد، حفر فيه لايرد مجسات وهو في طريقه إلى بابل، وبدأت التنقيب فيه بعثة عراقية عام ١٩٧٨، وكشف فيه عن معبد تعود طبقته الثالثة إلى عصر آيسن-لارسا. المصدر نفسه، ص١٢٨.

أما عن الاسم القديم لتل محمد فربما يكون بنّايا بالاعتماد على أحد النصوص المسمارية المكتشفة في الموقع.

٥- إن تغير موضع دكة الإله لا يعكس بالضرورة تغير القيم الدينية بقدر ما يعكس توق تلك الأقوام للانفتاح رغم التقليد المتواصل لما كانوا عليه، ولما كان ذلك ينطبق على عمائرهم الملكية والسكنية، فبالأحرى أن يطبق ذلك على موضع الإله لجعله مشرفاً على سير الحياة في خارجه.

٦- تعزز استخدام نظام المحور الواحد خلال هذا العصر، إذ يصطف موضع دكة الإله مع المدخل الرئيس في محور واحد، واتبعت غالبية المعابد هذا النظام.

٧- لم يقلل وجود دكة الإله على محور واحد مع المداخل شيء من هيبة الإله وقدسية موضعه، فمن الصعب على الشخص الذي يقف عند المدخل الرئيس أو الفناء رؤية تمثال الإله، لوجوده (تمثال الإله) في موضع قليل الإضاءة.

٨- استخدمت حجرة المابين بشكل أكبر، وأصبحت من سمات المعابد خلال هذا العصر، وأضفت هذه الحجرة ميزة موضعيه للحجرة المقدسة.

تخطيط الحجرة المقدسة[١].

نال تخطيط الحجرة المقدسة اهتمام المنقبين من حيث شكلها وموقع مدخلها بالنسبة لتخطيط المعبد، فقسمت المعابد العراقية القديمة على ذلك الأساس من لدن المنقبين إلى طرازين بابلي وأشوري[٢].

وساعد تخطيط الحجرة المقدسة فضلاً عن السمات الأخرى للمعابد في الاستدلال على ماهية البناء ومدى أهميته من الناحية الدينية.

رافق التخطيط المنظم عمارة الحجرة المقدسة منذ ظهورها ككيان مادي مستقل له صفته الاعتبارية، وهذا التنظيم يُعد من البديهيات العمارية التي توصل إليها ذهن المعمار العراقي القديم عبر سلسلة طويلة من التجارب العمارية التي حققت له انتقالة من التخطيط الدائري إلى التخطيط المضلع منذ العصر الحجري المعدني في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد[٣]. فلا غرابة في أن نشاهد أولى مخططات المعابد والحجرات المقدسة بصورة مضلعة.

للمزيد يراجع: محمود، إيمان جميل، نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم من منطقة ديالى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٣٩-٤١/١١١-١١٢.

[١] حول أشكال الحجرات المقدسة وقياساتها في المعابد العراقية القديمة، يراجع الجدول رقم (١) .

[٢] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١ .

[3] Aurenche, O.; Gerfaud, P. A., "Mesopotamian Architecture from the 7TH to the 4TH Millenia", SUMER, Vol.42, (1986), P.72-73.

واستمرت الحجرات المقدسة جميعها في المعابد العراقية وعلى مر العصور تتبع ذلك الأسلوب، والذي يعكس في الوقت نفسه صفة مهمة من صفات العمارة الدينية وهي الثبات على الشكل العماري المنسجم مع الفكر الديني، وإن أي تغير جوهري في الشكل يعكس تغيراً في ذلك الفكر[١].

ظهر التخطيط الثلاثي للوحدة البنائية في العراق القديم منذ فترة مبكرة تعود إلى أوائل الألف السادس قبل الميلاد[٢]. وأستخدم هذا التخطيط في أولى نماذج المعابد العراقية التي تعود إلى عصر العبيد، وانعكس أستخدامه على تخطيط الحجرة المقدسة، فكانت الحجرات المقدسة جميعها في هذا العصر ذات تخطيط مستطيل، ولطبيعة التقسيم الثلاثي للبناء فقد استأثرت الحجرات المقدسة بقدر أكبر من المساحة مقارنة بالوحدات العمارية الأخرى، كما في معبد اريدو في الطبقات XI-VI(مخططات٥-٦و١٦-١٨)[٣].ومعبد تبة كاورا في الطبقة XIII(مخطط٧)[٤].والمعبد الأول والثاني في الوركاء(المخطط٨-٩)[٥].

أما المداخل فتقع غالباً في الضلع القصير من الحجرة ومواجهة لموضع الإله وقد أحتوى معبد اريدو في الطبقات IX-VII على مداخل إضافية في الضلعين الطويلين(مخططات٦و١٦-١٧)[٦]. بينما ضم معبد الطبقة VI في اريدو مدخل واحد في الضلع الطويل الجنوبي الشرقي(مخطط١٨)[٧]. ويلاحظ على المخطط الأرضي للحجرات المقدسة استقامة جدرانها بشكل عام، وقلة نسبة الانحراف فيها، مما يعكس القدرة العالية التي وصل إليها المعمار العراقي القديم.

واستمرت عمارة المعابد وفق التخطيط الثلاثي في عصر الوركاء وجمدة نصر، مما أكسب الحجرة المقدسة الخصائص التخطيطية ذاتها في عصر العبيد، فبقي التخطيط ذو الشكل المستطيل مستخدماً، كما في معابد الطبقات XI-IX في تبة كاورا(مخطط١٠ أ-ج)[٨].

---

[١] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٣٨.

[٢] الجادر؛ رجب، المصدر السابق، ص٢١٢.

[3] Safar, Op.Cit, PP.94-104.

[4] Tobler, Op.Cit, P.29.

[5] UVB.III, P.14.

[٦] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٨، ص٢٧٩-٢٨٠وكذلك: سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٢٩-٢٣٠.

[٧] المصدر نفسه، ص٢٣١.

[8] Rothman, Op.Cit, PP.121-128.

ومعبدي الطبقة الثالثة الشرقي والغربي في قالينج اغا(مخطط٥٩-٦٠)[١] والمعبد B في الطبقة V-IVb من مدينة الوركاء[٢]. والعائدة جميعها إلى عصر الوركاء والمعبد الأبيض للإله آنـــو (مخطط١٢) في الوركاء والمعبد المصبوغ في تل العقير(مخطط١٣)[٣]. ومعبد العيون في تل براك(مخطط٢٠)[٤]. العائدين إلى عصر جمدة نصر.

وبالرغم من انفصال الحجرة المقدسة عن القاعة المركزية وتقلص مساحتها في معبــد الحجر الكلسي والمعبد A والمعبد F في الطبقة V-IVb والمعبد C , D في الطبقة IVa في مدينة الوركاء والعائدة إلى عصر الوركاء، إلا انها استمرت وفق التخطــيط المســتطيل مــع انتقال موضع المدخل فيها إلى الضلع الطويل[٥].

ويظهر على تخطيط الحجرات المقدسة في عصري الوركاء وجمدة نصر التناسق فـــي الشكل العام ومحافظتها على تساوي أضلاعها واستقامتها وهذا الانسجام جاء بوصـــفه نتيجـــة حتمية للاهتمام بعمارتها. وعلى الرغم من ذلك عانت بعض الحجرات من انحراف جـــدرانها كما في معبد الطبقة XI في تبة كاورا(مخطط١٠-أ)[٦]. والمعبدين الشـــرقي والغربـــي فـــي قالينج آغا(مخطط٥٩-٦٠) [٧]. وربما يعزى ذلك إلى وجود وحدات عمارية أثرت في استقامة استقامة تلك الجدران وسببت في انحرافها.

وخلال عصر فجر السلالات حافظت الحجرة المقدســة علـــى تخطيطهـــا ذي الشـــكل المستطيل[٨]. بالرغم من قلة استخدام التخطيط الثلاثي الأقسام في هذا العصر وزيـــادة عـــدد المرافق العمارية الملحقة بالمعبد التي أدت إلى تقليص مساحة الحجرة المقدسة ضمن الإطـــار العام لبناية المعبد، وقد عالج المعمار تلك الزيادة في عدد مرافق المعبـــد وحجمهـــا، بتمييـــز موضع وعمارة الحجرة المقدسة دون زيادة مساحتها، عما كانت عليه في التخطيط الثلاثي.

---

[١] قالينج آغا: موقع أثري يقع حالياً ضمن حدود مدينة اربيل، بدأ التنقيب فيه عام ١٩٦٥ مـــن لـــدن البعثـــة العراقية برئاسة بهنام أبو الصوف، وتم الكشف فيه عـــن معبـــدين فـــي الطبقـــة الثالثـــة تعـــود إلـــى دور الوركاء(شكل١).

[2] UVB.XIX, P.11.

[٣] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

[4] Mallowan, Op.Cit(1947), P.33.

[٥] يراجع: UVB.XXI, P.17 ; UVB.VIII, P.33 ; UVB.XXIII, P.30 ; UVB.XXIV, P.13f

[6] Rothman, Op.Cit, P.121.

[٧] أبو الصوف، بهنام، "التنقيب في قالينج آغا"، سومر، مجلد ٢٥، ١٩٦٩، ص١٠-١١ .

[٨] لويد، المصدر السابق، ص١٣٩.

واتسمت الحجرات المقدسة جميعها المستظهرة في المعابد العائدة إلى عصر فجر السلالات بأدواره الثلاثة، ببساطة التخطيط الأرضي وقلة التراكيب التخطيطية فيه، ويستثنى من ذلك الحجرات الخاصة بالإلهة عشتار التي احتوت على ميزة تخطيطية تقوم على فصل موضع الإلهة عن بقية أجزاء الحجرة المقدسة، كما في الطبقة VII من معبدها في مدينة نيبور(مخطط٢٥-أ)[١] ومعبديها H-G في أشور(مخطط٤١-٤٢)[٢].

وبصفة عامة يظهر على تخطيط الحجرة المقدسة التناسق التام في أضلاعها واستقامة جدرانها، على الرغم من انحراف بعض بنايات المعابد بشكل كامل كما في معبد سين[٣] وننتو في خفاجة[٤]. ومعبد إنانا في نيبور وهو ما يعكس تطور القدرة التخطيطية للمعمار العراقي القديم، واستيعابه للتصميم قبل الشروع في تنفيذه[٥]. ورغم ذلك فقد وجدت بعض الانحرافات في أضلاع الحجرة المقدسة، كما في انحراف الضلع القصير الشمالي والضلع الطويل الغربي من الحجرة المقدسة للمعبد الشمالي في نيبور وأستمر انحراف الضلع القصير منذ إنشاءه في الطبقة X وحتى الطبقة I(مخطط٢٦)، وكذلك الضلع الطويل[٦]، وربما يعود سبب ذلك إلى وجود تراكيب عمارية أدت إلى انحرافها، إذ يلاحظ على هذا المعبد انحراف جدرانه بشكل عام وقد يكون السبب في استمرار انحراف تلك الجدران في الطبقات اللاحقة إلى استمرار التشييد على الأسس السابقة رغبة في الحفاظ عليها كما ظهرت أول مرة دون الاكتراث إلى تصحيح ذلك الانحراف.

وفي الغالب شغلت المداخل الضلع الطويل من الحجرة المقدسة في هذا العصر، كما في معبد الإله سين(مخططات٣٥-٣٩) وننتو(مخطط٤٧) والمعبد البيضوي(مخطط٢٧) في خفاجة والمعبد المربع للإله آبو في اشنونا(مخطط٦١) ومعبد الإله شارة في تل أجرب(مخطط٤٨) والمعبد الشمالي في نيبور(مخطط٢٦) ومعبدي عشتار H-G في أشور(مخطط٤١-٤٢)، وأستمر وجود المدخل في الضلع القصير في معابد تبة كاورا الطبقة VIII(مخطط١٠ د-و)[٧] ومعبد ننكرسو في تلو(مخطط٦٢)[٨]. وجاء هذا الانتقال من الضلع القصير إلى الطويل

---

[1] Zettler, Op.Cit, P.34.

[٢] اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٣٦.

[3] OIP.58, PP.43-74.

[4] Ibid, P.84ff.

[٥] مورتكات، المصدر السابق، ص٣٦.

[6] OIP.97, P.4ff.

[7] Rothman, Op.Cit, P.130.

[8] Forest, Op.Cit, P.8.

الطويل ضمن سلسلة من التطورات والتي من أهمها تقلص استخدام التخطيط الثلاثي الأقسام في هذا العصر.

ولم يعُر المعمار في هذا العصر اهتماماً جوهريا لكيفية الوصول إلى دكة الإله عبر مدخل الحجرة المقدسة، فيتوجب على الداخل إلى الحجرة المقدسة الاستدارة إلى اليمين لمواجهة موضع الإله في معبد ننتو والمعابد الصغيرة والمعبد البيضوي في خفاجة ومعبد شارة في تل أجرب ومعبد آبو في اشنونا والمعبد الشمالي في نيبور ومعبد سين في خفاجة عدا الحجرة الثالثة في معبد الطبقة X فكان يتم الالتفات نحو اليسار لمواجهة دكة الإله[١]. وكذلك الحجرتين الشمالية والشرقية في معبد آبو المربع في اشنونا[٢] ومعبد عشتار في أشور[٣] ومعبد ننخورساك في تل العبيد[٤].

ولم يحدث أي تغيير يستحق الذكر في تخطيط الحجرة المقدسة خلال العصر الاكدي، فأتبعت معابد هذا العصر الخصائص التخطيطية للحجرة المقدسة جميعها العائدة إلى عصر فجر السلالات.

وفي عصر سلالة أور الثالثة أستمر التخطيط المضلع ذي الشكل المستطيل مستخدماً في تخطيط الحجرة المقدسة، وكان للتطور العماري الذي شهده هذا العصر أثراً واضحاً على تخطيط الحجرة المقدسة، فأنتقل موضع المدخل من أحد جوانب الضلع الطويل إلى منتصفه، وكذلك موضع دكة الإله من أحد الأضلاع القصيرة إلى منتصف الضلع الطويل المواجه لمدخل الحجرة، كما في معبد انكي، والحجرة الجنوبية الشرقية من الجزء الجنوبي في بناية كيك-بار-كو[٥]. في مدينة أور. ومعبد شو-سين في اشنونا[٦]. وقد بقيت المداخل بموضعها السابق في أحد جوانب الضلع الطويل في الحجرتين المقدستين من الجزء الشمالي لبناية كيك-بار-كو في أور[٧] ومعبد انليل في الطبقتين V-VI العائدة إلى سلالة أور الثالثة في نيبور[٨].

---

[1] OIP.58, P.74.

[2] Ibid, P.172f.

[٣] اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٣٦.

[4] Forest, Op.Cit, P.49.

[5] UE.VII, P.23.

[6] OIP.43, P.15.

[7] UE.VII, P.21.

[8] OIP.78, PP.5-7.

لقد شكل هذا العصر بداية ظهور نوعين من الحجرات المقدسة ترسخ استخدامهما في العصر البابلي والأشوري القديمين، وجعلا من معابد العراق القديم طرازين، بابلي نسبة إلى معابد بلاد بابل، وأشوري نسبة إلى معابد بلاد أشور[١].

عرف الطراز الأول بالحجرة الطويلة Langraum (شكل١١-أ)، وهو مصطلح استخدمه المنقبين الألمان لتمييزه عن الطراز الثاني[٢] وغَلب وجوده في بلاد أشور وأختص هناك بعد العصر الاكدي، وكان هذا النوع مستخدماً بشكل كبير في العصر السومري[٣]، وأساس ذلك الطراز يعتمد على تخطيط الحجرة المقدسة وموقع مدخلها بالنسبة إلى المدخل الرئيس للمعبد، فالحجرة المقدسة الطويلة يُدخل إليها من مدخل كائن في أحد ضلعيها الطويلين، وفي الضلع القصير البعيد عن مدخل الحجرة يقام موضع الإله بحيث لا يواجه دكة الإله الشخص الواقف عند مدخل الحجرة، بل يتوجب عليه أن يدخل ويدور إلى اليمين أو اليسار(بحسب موضع المدخل) ليواجه دكة الإله[٤].

ويشكل معبد الإله أشور أقدم نموذج أشوري لهذا الطراز كما يرى **اندريه**[٥] ويبقى ذلك الرأي موضع شك لعدم إيجاد أي اثر يدل على موضع دكة الإله بالتحديد. وقد أستخدم هذا الطراز في الحجرة المقدسة الثالثة(١) من معبد عشتار كيتيتوم أيضاً[٦] والتي تختلف عن الحجرتين الأولى والثانية، والتي كان تخطيطها وفق الطراز الثاني[٧] الذي أطلق عليه الاثاريون الألمان مصطلح الحجرة العريضة Breitraum (شكل١١-ب) لتمييزه عن الطراز الأول[٨] وشاع استخدامه في بلاد بابل ولاسيما في العصر البابلي القديم، وتكون فيه دكة الإله في منتصف الضلع الطويل للحجرة المقدسة والمواجه للمدخل الرئيس للمعبد، أي إنها (دكة الإله) تقع باتجاه المحور الأساسي للمعبد، وتكون الحجرة المقدسة في هذا الطراز من المعابد عريضة التخطيط فيكون جانبها الطويل ممتد على عرض المعبد ولذلك دعيت بهذا

---

[١] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١.

[٢] لايك، المصدر السابق، ص١٣١.

[٣] بارو، المصدر السابق، ص٨٧.

[٤] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١ .

[5] MDOG.22, P.40.

[٦] لويد، المصدر السابق، ص١٩٠.

[7] OIC.20, P.78f.

[٨] لايك، المصدر السابق، ص١٣١.

الاسم، ومن أمثلة الطراز البابلي العائدة إلى العصر البابلي القديم معبد الإلهة گولا في آيسن[١] ومعبد الإلهة نيسابا في تل حرمل[٢].

ويفسر **اندريه** أصل كل من هذين الطرازين إلى أن الطراز الأشوري أصله بيت ذو موقد، فلا يكون موقد النار فيه أمام باب الدار، ومنشأ النوع الثاني بيت ذو فناء وسطي[٣].

السمات التخطيطية للحجرة المقدسة في المعابد العراقية القديمة

١- التخطيط المضلع هو السمة البارزة لعمارة الحجرة المقدسة، فكانت الحجرات المقدسة جميعها في المعابد العراقية ذات تخطيط منتظم الأبعاد، وطغى الشكل المستطيل في تخطيط الحجرات المقدسة على التخطيط المربع، منذ ظهور عنصر الحجرة المقدسة كوحدة مستقلة في البناء الديني، فكانت حجرات معبد سين ومعبد ننتو والمعبد البيضوي والمزارات الصغيرة في خفاجة، وكذلك معبد آبو في اشنونا، فضلاً عن معظم المعابد العراقية القديمة تتبع ذلك التخطيط.

٢- اتسم تخطيط الحجرة المقدسة بصورة عامة، ببساطة التشكيل وقلة التراكيب العمارية التي بداخلها، وإن تلك البساطة في التخطيط لم تقلل بأي شكل من الأشكال من أهميتها فبرزت موضعياً وعمارياً.

٣- إن الشكل غير المنتظم للحجرة المقدسة لم يظهر إلا بصورة استثنائية وفي الغالب كان بسبب ظروف مكانية حدت من حرية المعمار في إظهار الشكل المناسب، كما في المصلى الأولي للإله آبو في اشنونا(مخطط٤٩) .

٤- عانت بعض الحجرات المقدسة انحراف أحد أضلاعها عن مسارها المستقيم، وهذا الانحراف لا يعكس بالضرورة عدم مقدرة المعمار على انجاز جدار بصورة مستقيمة، وأستمر ذلك الانحراف في الحجرات التي تشيد فوقها، وربما يعود السبب في أستمرار انحراف تلك الجدران إلى استمرار التشييد على الأسس السابقة نفسها رغبة في الحفاظ عليها، كما ظهرت أول مرة دون الاكتراث إلى تصحيح ذلك الانحراف، كما في معبد الطبقة XI الجنوبي الشرقي في تبة كاورا والذي أستمر انحراف أضلاع حجرته المقدسة في الطبقتين Xa و Xb (مخطط١٠). وكذلك المعبد الشمالي لمدينة نيبور (المخطط٢٦)،

---

(1) Hrouda "Vorläufiger Bericht Über Die Ergebnisse Der2. Ausgrabungs Kampagne in Ischan – Bahriyat Isin Frühjahr 1974", SUMER, Vol.37, (1975), P.28.

(2) Baqir, Op.Cit, P.25.

(٣) باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١.

وحدث في بعض المعابد الأخرى تصحيح ذلك الانحراف، كما في معبد ننكرسو في تلـو (مخطط٦٢).

٥- لم يُعر المعمار أي اهتمام لموضع المداخل إلى الحجرة المقدسة الطويلة ، كذلك مسـألة الالتفاف نحو اليمين أو اليسار لم تكن جوهرية عند الدخول إلى الحجـرة المقدسـة فقـد تنوعت هذه المداخل وفق موقع المدخل، فضلاً عن تصميم البناء الـذي يفـرض علـى المعمار وضعه في محل معين.

٦- مكّن التخطيط المضلع والمستطيل تحديداً المعمار من تحديد أحد أضلاعه كأهم جزء فـي الحجرة ليوضع عنده تمثال الإله، بينما يفتقد التخطيط الدائري لتلك الميـزة، وهـو مـا يضعف الاعتقاد بالصفة الدينية للمباني الدائرية في الاربجية العائدة إلى عصـر حلـف، فضلاً عن الأسباب التي أوردها **الشيخ**[١].

عمارة الحجرة المقدسة

إن المعلومات التي تمدنا بها تقارير التنقيبات عن عمارة الحجرة المقدسـة قليلـة ولا تتناسب وأهمية ذلك العنصر في البناء الديني، ويعزى سبب ذلك إلى تآكل جدرانها بفعل تقادم الزمن عليها وعمليات التشييد المتعاقبة، فضلاً عن قلة ارتفاع جدرانها المكتشـفة والـذي لا يتجاوز في الغالب المتر الواحد من البناء مما افقدنا فرصة معرفـة الكثيـر عـن الأسـاليب العمارية الخاصة بتلك الحجرة، ومع ذلك فقد أتاحت بعض النماذج المكتشفة معرفة العناصـر العمارية للحجرة المقدسة، وتعكس تلك النمـاذج الاهتمـام الـذي أولاه المعمـار لعمارتهـا وإظهارها بشكل يتناسب ومكانة شاغله الاعتبارية. فسخرَّ المعمار قدرته العمارية المسـتمدة من تجاربه المتواصلة في خدمة مقام الإله وإظهاره بأبهى صورة.

فاتسمت الحجرة المقدسة بارتفاع مستوى أرضيتها عن بقية أرجـاء المعبـد لتمييـز موضعها عمارياً وإكسابها المزيد من الأهمية، فضلاً عن فائدتها العملية التي تتيح تصـريف السوائل عبر مجارير إلى خارج الحجرة (شكل١٢)، وظهرت تلك الميزة مع أولـى نمـاذج المعابد العائدة إلى عصر العبيد الأول، إذ رفع بناء معبد اريدو في الطبقة XVI والذي يشكل بمجمله الحجرة المقدسة بوساطة ثلاث درجات عن مستوى الأرض المجاورة(شكل١٣)[٢].

ومع ظهور التخطيط الثلاثي استمر موضع الحجرة المقدسة بالارتفاع وتوسـع ذلـك الارتفاع ليشمل باقي مرافق المعبد بحكم كبر مساحة القاعة المركزية التي تضم موضع الإله

---

[١] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٣٨.

[2] Safar, Op.Cit, P.88.

وموقعها المحوري ضمن التخطيط الثلاثي، وبقي هذا الأسلوب متبع في أغلب المعابد التي بنيت وفق التخطيط الثلاثي. كما في معبد اريدو الطبقات VIII-VI العائدة إلى عصر العبيد الثالث والرابع[١]. وكذلك المعبد الشمالي في الطبقة XIII في تبة كاورا[٢] والمعبد الثاني والأول في الوركاء العائدة للعصر نفسه[٣] ومعابد الوركاء في الطبقة V-IVb-a التي يرقى تاريخها إلى عصر الوركاء[٤].

ورفع الجناح المقدس في معبد الإله سين الطبقات I-IV في خفاجة العائدة إلى عصر جمدة نصر بالكامل بوساطة عدد من الدرجات فضلاً عن ارتفاع مستوى المعبد بالكامل (الشكل١٤)[٥]. ولكن هذا الارتفاع لم يستمر في عمليات البناء اللاحقة بل انخفض تحت مستوى تبليط المعبد وبمقدار ١٥-٢٠سم في الطبقة V[٦] ثم أعيدت تسويته بعناية منذ الطبقة VI وحتى المستوى الأخير(الاشكال٤و١٥-١٦) [٧] وميزت أرضية الحجرة المقدسة في تلك المعابد بوجود عتبة من الطابوق المفخور عند مدخلها، فصلتها عن بقية أرضيات البناء وكذلك الحال في معبد ننتو في خفاجة[٨] والمصلى القديم للإله آبو في اشنونا[٩].

واستخدمت الطريقة ذاتها في الطبقة VII من المعبد الشمالي في نيبور والتي ترجع إلى عصر فجر السلالات الثاني[١٠] أما في معابد عشتار H-G في أشور فيتطلب الوصول إلى الحجرة المقدسة صعود سلم مكون من أربع درجات[١١].

ويشكل المعبد البيضوي في خفاجة ومعبد ننخورساك في تل العبيد نموذجاً مميزاً لأهمية رفع مستوى الحجرة المقدسة عما يجاورها من مرافق المعبد فضلاً عن صفتهما العمارية المميزة.

وأصبح ارتفاع أرضية الحجرة المقدسة مرافقاً للحجرة ذات التخطيط العريض التي استخدمت على نطاق واسع خلال العصر البابلي القديم، فبلغ ارتفاع الحجرة الرئيسة في

---

(١) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٨، ص٢٧٩ وكذلك سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٣١.

(2) Tobler, Op.Cit, P.30.

(3) UVB.III, P.14.

(٤) يراجع: لنزن، المصدر السابق، ص٣١-٤٣.

(5) OIP.58, P.40.

(6) Ibid, P.33.

(7) Ibid, P.31.

(8) Ibid, P.89f.

(9) Ibid, P.165.

(10) OIP.97, P.8.

(١١) اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٥٦-٥٧.

معبد عشتار كيتيتوم ٥٥سم علـــى أقــل تقــدير، فضـــلاً عـــن رفـــع مســـتوى الحجـــرتين الثانيتين[١]. ونجد هذا الارتفاع كذلك في معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل[٢] ومعبد الإلهة گولا گولا في آيسن[٣].

ويعود سبب اقتران ارتفاع أرضية الجناح المقدس عن بقية أرجاء المعبد في هذا النوع من الحجرات إلى رغبة المعمار في إيجاد حد فاصل بين الجناح المقــدس ومرافــق المعبــد المرتبة وفق هذا الطراز (البابلي) بشكل سلس على محور واحد يمتد من المدخل حتى الجناح المقدس، وكذلك لإشعار المتعبد بوصوله إلى مقام الإله.

وتعامل المعمار مع قلة التراكيب التخطيطية للحجرة المقدسة والتي فرضت عليه بناء جدران مستقيمة خالية من التراكيب العمارية، عدا الضلع الذي يضم موضع دكة الإله، وذلك بإيجاد نمط لتزيين تلك الجدران عبر ابتداع طرق مختلفة كتلوين الملاط الطيني الذي يغلــف الجدران بألوان براقة تحاكي صفة التميز لتلك الحجرة، وتنوعت أســاليب التلــوين، فكانــت تغطي جدران الحجرة المقدسة جميعها في بعض المعابد، كما في المعبد الشمالي للطبقة XIII في تبة كاورا العائد إلى عصر العبيد الرابع، حيث طليت جدرانها باللون الأحمــر[٤] وكــذلك المعبد المصبوغ في تل العقير الذي يرجع إلى عصر جمدة نصر[٥] إذ أســتخدم مــلاط مــن الجص لتلوين الجدران باللون الأبيض، وأستعمل هذا النظام من التلوين في معبد الإلــه آنــو الأبيض في الوركاء[٦] والحجرات المقدسة في طبقات معبد سين في خفاجة[٧] ومعبد إنانا فــي في نيبور[٨] كما أستخدم اللون الأبيض المائل للخضرة في إكساء جدران الحجرة المقدسة في معبد آبو المربع[٩] ومعبد شو-سين في اشنونا[١٠].

---

[1] OIC.20, P.85.

[2] Baqir, Op.Cit, P.25.

[3] Hrouda, B., "Ergebnisse Der Ausgrabung in Isin", SUMER, Vol.34, (1978), P.87.

[4] Tobler, Op.Cit, P.31.

[٥] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

[6] UVB.XXI, P.16.

[7] OIP.58, P.26.

[8] Zettler, Op.Cit, P.24.

[9] OIP.58, P.181.

[10] OIP.43, P.16.

أما الأسلوب الثاني في التلوين، فكان على شكل أفاريز أفقية يضم كــل إفريــز لونــاً معيناً، ومن أمثلته الحجرة المقدسة لمعبد ننتو في خفاجة[1] وفي أحيان أخرى تطلى الزخارف الزخارف التي تزين جدران الحجرة بألوان تختلف عن لون الجدار الأساسي. كما في زخارف المعبد المركزي في الطبقة XIII لموقع تبة كاورا حيث طليت باللون الأحمر[٢].

وبالرغم من قلة ما كشف من الزخارف الهندسية التي تزين جدران الحجرة المقدسة، للأسباب الموضحة مسبقاً، إلا أنه يمكن الافتراض بوجودها كونها عنصراً جمالياً فــي تلــك الحجرة، وذلك بالاعتماد على بعض النماذج المكتشفة لتلك الزخارف على جدران المعابد كما فـــي المعبـــد المصـــبوغ فـــي تـــل العقيـــر[٣]. فضـــلاً عـــن القصـــور والمســـاكن. وقد زودتنا اللقى الفنية بأشكال من الزخارف التي كانت تزين جدران الحجرة المقدسة والتـــي ربما كانت منفذة فعلاً على جدران الحجرة المقدسة ومن أبرزها ختم اسطواني من مدينة أور يعود إلى العصر الاكدي وهو يصور الإله آيا جالس على عرشه وتظهر في هذا المشهد بعض الزخارف التي تمثل المياه المنسابة حول هذا الإله والتي ربما كانت تزين جـــدران حجرتـــه المقدسة(شكل١٧)[٤] كما عثر على بعض الأختام التي تحمل مشاهدها أشكالا هندســـية والتـــي ربما كانت موجودة فعلياً على الجدران ومن ضمنها جدران الحجرة المقدسة(الشكل١٨)[٥].

واستخدمت المخاريط الحجرية في تزيين جدران الحجرة المقدسة، فقــد زينــت تلــك المخاريط جدران القاعة المركزية لمعبد المخاريط الحجرية في مدينة الوركاء والــذي يعــود تاريخه إلى عصر الوركاء الأخير[٦]. وكذلك وجدت بقايا مخـــاريط فخاريـــة فـــي أرضـــية الحجرة المقدسة لمعبد سين الطبقة I في خفاجة والعائد لعصر جمدة نصر[٧].

كانت المخاريط تغرز بطبقة من الطين على الجدران (شكل١٩) وكانت لهـــا رؤوس مستوية أو مزينة بحزوز وملونة بالأسود أو الأبيض أو الأحمر (شكل٢٠)، وقد نُظمت علـــى

---

[1] OIP.58, P.95.

[٢] غولايف، المدن الأولى، ترجمة: طارق معصراني ، جزء ١، موسكو، ١٩٨٩، ص٤٨.

[٣] للمزيد يراجع المبحث الأول من الفصل الخامس ص٢٠١ وكذلك الشكل (١١٤).

[٤] رشيد، صبحي أنور؛ الحوري، حياة عبد علي، الأختام الاكدية في المتحــف العراقــي، بغــداد، ١٩٨٢، ص١٠٢.

[5] Collon, D., First Impressions Cylinder Seals in the Ancient Near East, London(1987), P.172.

[6] UVB.XV, P.9.

[7] OIP.58, P.9.

شكل فسيفساء يشبه مظهرها أشكال المنسوجات **(شكل٢١)** ويفترض **مورتكات** بأنها حلت محل الغلاف الحصيري الذي كانت تغلف به جدران المعابد[١].

واستخدمت كذلك الحصائر المصنوعة من القصب في تغليف جدران الحجرة المقدسة، وتقدم طبعة لنسيج القصب المكتشفة عند دكة الإله في المعبد البيضوي في خفاجة[٢] دليلاً على استخدامها**(شكل٢٢)**، وعثر كذلك عند الجدار الجنوبي الشرقي للحجرة المقدسة في معبد عشتار G في أشور على حصيرة مصنوعة من نسيج يتألف من سيقان القصب القوية والتي جُعلت على هيئة أشرطة عريضة وتنتهي حافاتها بأهداب**(شكل٢٣)**[٣] وكانت تثبت على الجدران بوساطة مخاريط ذات نهاية معقوفة **(شكل٢٤)**[٤].

وأخيراً استخدمت الحنايا في تزيين جدران الحجرة المقدسة ولكن على نطاق ضيق ومن أمثلتها معبد سين في الطبقة V في خفاجة إذ استخدمت عدد من هذه الحنايا الضحلة في تزيينها[٥].

أن أساليب التزيين هذه لم يقتصر استخدامها على جدران الحجرة المقدسة بل استخدمت في تزيين واجهات المعابد بشكل عام والقصور وحتى المساكن في العراق القديم.

أما السمة الثالثة الأكثر تميزاً في عمارة الحجرة المقدسة فهي وجود الكوة الجدارية[٦] التي تضم دكة الإله وقد أطلق عليها المصطلح السومري UB-LÍL-ÁL[٧] يقابله بالاكدية ibratu[٨]. ويمكن تعريفها بأنها جزء غائر إلى الداخل من سطح الجدار الرئيس الداخلي للحجرة المقدسة وتعد من ابتكارات الزخرفة العمارية في العراق القديم[٩]. وترجع أقدم إشارة لها إلى نهايات الألف السادس قبل الميلاد، إذ أظهرت التنقيبات في تل الصوان في

---

(١) مورتكات، المصدر السابق، ص٢٢.

(2) OIP.43, P.31.

(٣) اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٥٧.

(٤) لويد، المصدر السابق، ص٥٢.

(5) OIP.58, P.32.

(٦) استخدمت بعض تقارير التنقيبات والكتب العربية مصطلح المحراب للدلالة على الموضع الغائر في جدار الحجرة المقدسة والذي يضم تمثال الإله، وهذا المصطلح مرتبط بالعمارة الدينية الإسلامية ومن العسير تقبله للإشارة إلى ذلك التركيب في المعابد العراقية القديمة، لاختلاف غايته وعمارته، وان كانت بعض الآراء ترجح بأنه أصل المحراب الإسلامي. يراجع: الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص٢٠٥ .

(7) Sallaberger, Op.Cit, P.672[b].

(8) CAD, "I", P.4[a].

(٩) لايك، المصدر السابق، ص١٤٧.

البناية رقم (١) العائدة للطبقة الأولى وجود تجويف في صدر الجدار الشمالي للجناح الشرقي من المبنى[١].

وأرتبط وجود هذا العنصر بعمارة الحجرة المقدسة منذ ظهورها في البناء المقدس، ويُعد وجودها في البناء دليلاً يضاف إلى الأدلة الموضعية والتخطيطية في كون الجزء الذي تكتشف فيه هو الحجرة المقدسة للمعبد، وتفيد في الوقت ذاته في معرفة موضع دكة الإله ضمن الحجرة المقدسة، وأما الغاية من وجودها فكانت تُعد رمزاً لظهور الإله في مسكنه للاستماع إلى البشر وتقبل عباداتهم[٢].

وبالرغم من تشابه أشكال الكوة الجدارية بشكل عام، إلا أنها تختلف في هيئتها العمارية حيث كانت تبنى على شكل قطعٌ مستقيم غائر في الجدار (شكل٢٥)، وهذا النوع من الكوات هو الأقدم والأكثر شيوعاً، فقد أستخدم منذ معبد اريدو الطبقة XVI العائد إلى عصر العبيد الأول وبلغت أبعاده ١.١٠م عرضاً و١م عمقاً (شكل١٣) يبدأ من الأرضية إلى ارتفاع غير معلوم "بسبب تهدم الجدران"[٣]. وبقي هذا النمط متبع في الكثير من المعابد العراقية القديمة مع الاختلاف في شكلها وحجمها.

أما الكوات في المعابد التي بنيت وفق التخطيط الثلاثي فقد كانت أكثر اتساعاً من حيث العرض وأقل عمقاً، وبدلاً من بنائها على شكل تجويف غائر في الجدار عمد المعمار إلى إبراز جدارين صغيرين يتعامدان مع الجدار الذي تقام عنده دكة الإله (شكل٢٦) كما في الطبقات VI-VII في معبد اريدو[٤]. ومعبد الحجر الكلسي ومعابد A و B و F في الطبقة V-IVb (مخطط١١ أ،ب،هـ،و) ومعبدي C وD في الطبقة IVa لمدينة الوركاء (مخطط١٩ أ،ب).

وتقلص حجم الكوة خلال العصور التالية فأصبحت أقل سعة ولا تحوي جميع بدن دكة الإله كما في معبد سين الطبقة II[٥] العائد لعصر جمدة نصر(شكل٢٧)، والمصلى المنفرد للإله آبو[٦] العائد إلى عصر فجر السلالات(شكل٢٨)، وكذلك كوة الإله في معبد شو-سين في في اشنونا، والحجرة المقدسة في القسم الشمالي لبناية كيك-بار-كو في أور التي تعود لعصر

---

[١] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص٢٠٤.

[٢] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٧.

[3] Safar, Op.Cit, P.88.

[4] Ibid, P.104.

[5] OIP.58, P.16.

[6] Ibid, P.194.

سلالة أور الثالثة والحجرات المقدسة في معبد عشتار كيتيتوم(مخطط٤٠) ومعبد تل الرمـــاح، ومعبد انليل في نيبور في العصر البابلي القديم(شكل٢٩) .

أما في معبد أي- ببار في لارسا شغلت كوة الإله الــركن الجنــوبي الشــرقي مــن الحجرة المقدسة (شكل٣٠)[١] بينما احتوت كوة الحجرة المقدسة في القســم الجنــوبي لمعبــد كيك-بار-كو في أور على درج لبلوغ دكة الإله (شكل٣١).

وبني الصنف الثاني من الكوات على شكل حنايا متداخلة وعند أعمق نقطة توضع دكة الإله، وهذا ما نجده في معبد مدينة سبار(شكل٣٢)[٢].

أما الصنف الأخير كان عبارة عن حنايا جدارية رتبت بطريقة تبرز موضع دكة الإله والجدار المقامة عنده، واُتبع هذا النموذج في معبد سين الطبقة V و VII(الشكل٣٣)

وأما طريقة التسقيف وأساليب إنارة الحجرة المقدسة فتبقى مبهمة لدينا لحد الآن، إذ لم تمدنا التنقيبات الأثرية بآثار مادية تبين تلك الأساليب، لوقوعها في الأجزاء العليا من الجدران، لذا فقد بقيت ضمن إطار الافتراض والتخمين من لدن الباحثين.

السمات العمارية للحجرة المقدسة

١- ارتفاع مستوى أرضية الحجرة المقدسة عن باقي مرافق المعبد في معظم معابد العــراق القديم، وهذا الارتفاع يعكس رغبة متواصلة لإضفاء السمو والوقار لموضع الإله، والذي أنتقل بدوره ليرفع مستوى المعبد بالكامل عن ما يجاوره من مبــاني المدينــة، والــذي تطورت عنه في وقت لاحق الزقورات.
٢- اتصفت عمارة الحجرة المقدسة وعلى غرار موضعها وتخطيطها بثباتها وقلة التطــورات التي أثرت فيها، ولا تتعدى تلك التطورات التأثيرات التي تفرضها القيم العمارية للعصر الجديد، والتي تؤثر في ميدان العمارة بشكل عام وبضمنها عمارة الحجرة المقدسة.
٣- استخدام الكوة كعنصر عماري مهم رافق عمارة الحجرة المقدسة في المعابد العراقية منذ بدايتها وحتى نهايتها.

تعدد الحجرات المقدسة في المعبد

---

(1) Calvet, Op.Cit, P.147.

(٢) الجادر، وليد؛ عبد الله، زهير رجب، "تنقيبات الموسم الثامن في سبار أبو حبة"، سومر، مجلد ٤٦، ١٩٨٩، ص٨١.

دلت التنقيبات الأثرية في المعابد العراقية القديمة على احتواء البعض منها على حجرة مقدسة ثانية أو أكثر، ويتم الاستدلال على وجود تلك الحجرات وتمييزها في المعبد من خلال مقارنة ومطابقة الخصائص الموضعية والتخطيطية والعمارية للحجرة فضـلاً عـن وجـود عنصر بنائي مهم وهو دكة الإله، وان معرفة الحجرة المقدسة الرئيسة من بينها لم يكن بالأمر العسير على المنقبين ففي المعابد المتعاقبة يُستدل على حجرتها الرئيسة من خلال تتبـع أقـدم نموذج ظهر في البناء واستمر التشييد عليه، ومثال ذلك طبقات معبد الإله سين فـي خفاجـة (مخططات١٤-١٥، ٢٢-٢٤، ٣٥-٣٩). أو أن أسلوب عمارة الحجـرة المقدسـة يـوحي بأهميتها ومكانتها مقارنة ببقية الحجرات المقدسة ضمن إطار المعبد، فيصبح من اليسير على المنقبين معرفة الحجرة الرئيسة وينطبق ذلك على الحجرة الرئيسة لعشتار كيتيتوم في معبدها في اشجالي (شكل٦)[١]. وأخيراً يستعان ببعض النصوص التكريسية والتذكارية فـي تحديـد الحجرة المقدسة الرئيسة ضمن مجمع المعبد كما في معبد الإله ننتو فـي خفاجـة[٢]، ومعبـد الإلهة گولا في آيسن[٣]، وقد تجتمع هذه العوامل سوية أو بعض منها فـي تحديـد الحجـرة المقدسة الرئيسة، وان ذلك لا ينفي وجود حجرات مقدسة على القدر ذاته من الأهمية ضـمها بناء ديني واحد.

ويعكس تعدد الحجرات المقدسة واقعاً مهما عن المفاهيم الدينية السائدة خـلال فتـرة ظهورها، فتبين جزءً من نظرة العراقيين القدماء لمجمع الإلهة المتكون من عدة آلهة مرتبـة بنسق معين يشابه بعض الشيء النظام الأسري. ووفقاً لذلك النظـام فـإن لكـل إلـه قـرين (زوج أو زوجة) ويبنى له في بعض الأحيان حجرة خاصة به ضمن معبد الإله الرئيس، كما في حجرة الإله خاتي زوج الإلهة نيسابا في معبدها بتل حرمل[٤] وحجرة الإله ننورتـا زوج الإلهة گولا ضمن معبدها الرئيس في آيسن[٥]. ولكن ذلك لا ينطبق علـى المعابـد المتعـددة الحجرات جميعها، كما أن المعابد لا تحوي جميعها على عدة حجرات مقدسة، وقـد يكتفـي بوضع رمز الإله القرين في الحجرة المقدسة نفسها.

وتستخدم بعض تلك الحجرات في المعابد بين الإلهة المتكافئة (وفـق النظـام الـذي وضعه العراقيون القدماء لإلهتهم) ويكون بناء المعبد على شكل معبدين كاملين متماثلين فـي

---

(1) OIP.98, P.42.

(2) OIP.58, P.82.

(3) Hrouda, B., “Zusammenfassender Vorbericht Ueber Die Ergebnisse Der 1. Kampagne in Ishan Bahriyat/ Isin”, SUMER, Vol.29, (1973), P.39 .

(4) Baqir, Op.Cit, P.24.

(٥) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٥.

التخطيط. أو متقاربين جداً ضمن البناء نفسه[١]. وشاع هذا النوع من الحجرات في معابد مدينة أشور كما في معبد آنو وادد ذي التخطيط المتماثل ومعبد عشتار ذي الحجرتين المتجاورتين المخصصة لعبادة عشتار بصفتها الاكدية والأشورية[٢] ويعود كلا المعبدين إلى العصر الأشوري الحديث ، وتضم بعض المعابد حجرة مقدسة خاصة بإله المدينة الرئيس الذي بني فيه المعبد فضلاً عن حجرة الإله الذي شيد لأجله المعبد.

وقد تخصص الحجرات جميعها للإله نفسه، وهذا النوع هو الأقدم من حيث الظهور ويسلط الضوء في الوقت ذاته على جانب مهم من واقع المجتمع الذي يغلب عليه التدين والتعلق بالآلهة، فكان ظهور تلك الحجرات كمعالجة لاستيعاب أكبر قدر من المتعبدين وربما يكون السبب الأخير هو الحافز الأكبر لظهور تلك الحجرات ضمن بناء المعبد، مدفوعاً بضيق المساحة المتاحة للبناء وزيادة الكثافة السكانية في المواقع، ويمكن ملاحظة ذلك في مواقع ديالى ومن أمثلتها معبد سين في خفاجة ويشير **دغولاس** إلى تحول الحجرة المقدسة الرئيسة في الطبقات الأخيرة إلى حجرة يرتادها الكهنة وعلية المجتمع[٣] وذلك يعكس بشكل واضح التكوين الطبقي للمجتمع العراقي القديم وسلطة رجال الدين فيه.

وبالنسبة لأقدم ظهور لتلك الحجرات ضمن المعبد، يرى **بارو** أن معبد الطبقة XIII في تبة كاورا العائد إلى عصر العبيد الرابع ضم حجرتين مقدستين معتمداً في ذلك على وجود جدارين يفصلان جزئين من القاعة المركزية للمعبد في كلا الجانبين، فضلاً عن نمو المستوطن وزيادة سكانه[٤] إلا انه لا توجد أدلة مادية تؤيد هذا الافتراض، فضلاً عن أن الطابع العام لمعابد تبة كاورا هي ذات حجرة مقدسة واحدة وهو ما يفسر كثرة عددها في الطبقة الواحدة لتتناسب وحجم النمو السكاني في الموقع.

ومن خلال مقارنة مخططات المعابد العراقية القديمة، يمكننا القول بأن بداية الحجرات المتعددة ظهر وبشكل واضح خلال عصر فجر السلالات، وترسخ استخدامها في العصور اللاحقة.

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص٣٢ .

[٢] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٦١.

[3] OIP.58, P.75.

[٤] بارو، المصدر السابق، ص١٠٢.

المبحث الثاني
الدكاك المقدسة

عرفت الدكاك بشكل عام في العراق القديم منذ أقدم العصور، وأستمر استخدامها حتى وقتنا الحاضر. ووردت في النصوص المسمارية عدة مصطلحات للإشارة إليها ومنها المصطلح السومري GIŠGU.ZA.GID.DA(١) ويرادفه بالاكدية kalakku وتعني نوع خاص من أثاث الجلوس(٢). وتعددت استخداماتها وأشكالها، فاستخدمت كنوع من أنواع أثاث الجلوس والاستلقاء في العديد من المباني(٣)، وإلى جانب ذلك كُشفَ في المعابد عن صنف آخر من تلك الدكاك كانت لها صفة موضعية وعمارية مميزة تقام أمامها أوعليها طقوس ومراسيم دينية مما أكسبها القدسية، وقد ميز المنقبين بين صنفين من تلك الدكاك المقدسة أُطلق على الأولى دكة الإله وعلى الصنف الثاني دكة القرابين أو الأضاحي.

دكة الإله(٤).

أُطلق عليها المصطلح السومري BARA.GA(٥) يقابله بالاكدية parakku(٦) وتعني عرش الإله، وتستخدم كذلك للدلالة على الحجرة المقدسة بشكل عام. ويمكن تعريفها بأنها

---

(1) Sallaberger, Op.Cit, P.275b.

(2) CAD "K", P.64b.

(٣) محمد علي، ياسمين عبد الكريم، "الأثاث في العصر الأشوري الحديث٩١١-٦١٢ق.م"، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ٢٠٠٤، ص٨١ .

(٤) شاع في تقارير التنقيبات والبحوث الأجنبية مصطلح (altar) واستخدمته بعض التقارير والبحوث العربية بصيغته المترجمة (المذبح) للإشارة إلى دكة الإله، إلا أن تلك التسمية تؤدي إلى تفسيرات خاطئة . فكلمة مذبح تدل على مفهوم واضح ومحدود بشكل نهائي والذي يعني البناء أو الأثاث أو الأداة التي تقدم فوقها القرابين. فضلاً عن استخدام هذا المصطلح من لدن البعض الآخر للإشارة إلى موضع تقديم القرابين (دكة القرابين) مما يسبب إرباك لدى القارئ في التمييز بين تلك الدكاك، فضلاً عن كون هذا المصطلح (المذبح) لا يقابل الترجمة الحرفية للمصطلح السومري أو الاكدي، وأخيراً أن هذا المصطلح مستقى من العمارة الدينية اليهودية والذي استخدم في وقت لاحق في الكنيسة المسيحية. لذا فمن المناسب استخدام مصطلح يتناسب وهيئتها العمارية ومكانتها الوظيفية . يراجع: بارو، المصدر السابق، ص١٠٠.

حول دور المذبح في المعبد اليهودي يراجع :

عبد العليم، مصطفى كمال؛ راشد، سيد فرج، اليهود في العالم القديم، دمشق، ١٩٩٥، ص١٩٤. وكذلك Wischnitzer, R.,"The Closed Temple, Plan in the Synagogue of Duropos", JAOS, Vol.91, No.3, 1971, P367-378 .

وعن دوره في الكنيسة المسيحية يراجع:

اندريه، فالتر، معابد عشتار الحديثة، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، بغداد، ١٩٨٦ب، ص٦٩ .

(٥) لابات، المصدر السابق، ص١٥٧. العلامة:٣٤٤.

(6) CAD "P", P.145b.

عنصر بنائي مهم في العمارة الدينية، وبغيابها لا يمكن أن يعد البناء دينياً، وهي عبارة عن دكة أو بناء تتخذ شكل المنضدة بصورة عامة[1] وتختلف في تفاصيلها التركيبية، وتؤدي هذه الدكة وظيفة دينية رئيسة في المعبد فهي مقام الإله أو رمز لوجوده، وأمامها تقام الطقوس والشعائر الدينية. وكما هو الحال في عمارة الحجرة المقدسة فقد نالت دكة الإله قدراً كبيراً من الاهتمام وأولى الملوك عناية خاصة بعمارتها وإظهارها بأبهى حلة لتناسب مكانة الإلهة، وتبين احد النصوص المسمارية للملك حمورابي قيامه بتشييد دكة عظيمة يقيم فوقها عرش للإلهة نن-برك في معبدها في مدينة بابل ذلك الاهتمام[2].

وان وجود هذا العنصر البنائي ذو أهمية تقليدية بوصفه معياراً رئيساً تُميّز من خلاله المباني الدينية عن المباني الأخرى[3] وهي ذاتها تؤكد للمنقبين وبشكل لا يحتمل الشك موضع الحجرة المقدسة، ويعكس شكل الدكاك بعض الخصائص العمارية للمعبد، مثل نظام الطلعات والدخلات (شكل٣٤) والمداخل المتعاقبة على محور واحد (شكل٣٥) وكوة الإله (شكل٣٦). فضلاً عن أنها تسلط الضوء على جانب من الطقوس الدينية التي تمارس في الحجرة المقدسة.

لقد دخل في عمارة هذه الدكاك المواد الإنشائية ذاتها المستخدمة في البناء، وفي مقدمتها اللبن بمختلف أنواعه والذي شيدت منه أغلب تلك الدكاك، وقد أُستخدم الطابوق المفخور في إنشاء البعض الأخر منها، ومثال ذلك دكة للإله شمش في معبد أي-ببار في لارسا(شكل٣٧)[4] وأستعمل الحجر ولكن بشكل أقل في تشييد دكة الإله كما في الدكة المكتشفة في معبد عشتار في أشور والمصنوعة من حجر الحلان الأصفر(شكل٣٨)[5]. فضلاً عن ذلك فقد دخلت المعادن في عملية صنع وتغليف البعض الآخر من الدكاك، إذ أستخدم الذهب على شكل أفاريز تغلف جزءً من دكة الإله في معبد العيون بتل براك فضلاً عن

---

[1] لايك، المصدر السابق، ص٣٠٩.

[2] الاعظمي، محمد طه محمد، حمورابي، بغداد ، ١٩٩٠، ص١٢١.

[3] لايك، المصدر السابق، ص٣٠٩.

[4] تعود هذه الدكة إلى فترتين شيدت الأولى من طابوق كبير الحجم مائل للاخضرار بقياس ٣٥×٣٥×٩سم ، والفترة الثانية والتي تمثل الدكة الأقدم وشيدت من طابوق أصغر بقياس ٢٩×٢٩×٧سم. وكلا الفترتين تعــود إلى العصر البابلي القديم.

Calvet, Op.Cit, P.148.

[5] يعود تاريخ هذه الدكة إلى عهد الملك توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ق.م) وعثر عليها أمام الواجهة الرئيسة لمعبد عشتار وبجانبها عثر على جذع لتمثال من الرخام، ويبلغ ارتفاعها ١٠٣سم وعرضها١٠١سم . للمزيد من التفاصيل حول الأبعاد الدقيقة والنقوش المحفورة عليها يراجع: اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦ب ص٧٢.

استخدام ألواح نحاسية تحمل نقوش على شكل عين(شكل٣٩)[١]. ويذكر **هيرودتس** بأن هناك دكة للإله مردوك مصنوعة من الذهب ويقف عليها تمثاله الذهبي[٢]. وقد أُستخدم البرونز أيضاً في تشكيل دكة وتمثال إله في معبد شمش في اشجالي والذي يعود إلى عصر فجر السلالات الثالث(شكل٤٠)[٣]. فضلاً عن تلك المواد استخدمت الأحجار الكريمة في تزيين بعض واجهات الدكاك وثبتت مع الصفائح المعدنية بمادة القار، وأستخدم الخشب والقصب في صنع عروش متنقلة للإلهة في بعض المعابد لأداء بعض الشعائر والطقوس الدينية التي تتطلب ذلك[٤] ومنها عيد رأس السنة (الاكيتو)[٥] ولكون المادة التي تصنع منها تلك الكراسي عضوية عضوية وسريعة التلف، لم يتم العثور خلال التنقيبات الأثرية على نماذج منها، وأمكن استنباط أشكالها من خلال تمثيلها على اللقى الفنية والتي من أبرزها ما وجد على طبعات الأختام والتي تُظهر الإله وهو جالس عليها (شكل٤١).

ولا يختلف الأسلوب المتبع في بنائها كثيراً عن بقية أنواع الدكاك الأخرى المستخدمة للإغراض الحياتية، فكان بعضها يبنى على شكل كتلة صلدة متراصة من اللبن وتسوى واجهاتها الخارجية بملاط طيني وهذا النوع هو الأقدم من حيث الاستخدام، فقد أستعمل في بناء دكة الإله في معبد اريدو الطبقة XVI العائد إلى عصر العبيد الرابع. أما الأسلوب الثاني فكانت تبنى فيه الدكة على شكل صندوق ومن ثم تعبئ بكسر من اللبن والفخار وبعض التماثيل المهشمة وبعد ذلك يغطى سطحها بطبقة من الطين كما في دكاك معبد الإله سين وننتو في خفاجة(شكل٤٢)[٦]. وقد اتبع هذا الأسلوب في أكثر من معبد يعود للعصر نفسه[٧]. وبنيت وبنيت بعض الدكاك المشيدة من الطابوق أو الحجر وفق النظام المتبع في بناء الجدران، كما في دكة الإله شمش في معبد اي–ببار في لارسا (شكل٣٧)[٨]. أما الدكاك المصنوعة من قطعة واحدة

---

(1) Emberling, G., "Political Control in an Early State: The Eye Temple and the Uruk Expansion in Northern Mesopotamia", The Post of Plan, London(2002), P.85.

(٢) باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص١٦.

(3) OIP.60, P.21.

(٤) لايك، المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٥) للمزيد من التفصيل حول عيد الاكيتو والطقوس المرافقة له يراجع:

النعيمي، راجحة خضر عباس، "الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص٥٦–٩٧.

(6) OIP.58, P.96f.

(7) Ibid, P.55.

(8) Calvet, Op.Cit, P.148.

من الحجر، فقد أستخدم أسلوب النحت في تشكيلها وعثر على نماذج منها في في مدينة خرسباد (شكل٤٣)[١]. وصممت بعض الدكاك الطينية بأسلوب فريد يقوم على أساس تكوينها وتمثال الإله من كتلة واحدة من الطين (شكل٤٤) بينما أتبع أسلوب الصب في القالب المفرغ[٢] في صياغة الدكاك المعدنية كالدكة المكتشفة في معبد شمش في اشجالي والتي تجلس تجلس عليها إلهة ذات الوجوه الأربعة والعائدة للعصر البابلي القديم وهي مصنوعة كلياً من البرونز (شكل٤٠)[٣].

وبالنسبة لموضع دكة الإله ضمن الحجرة المقدسة، فقد تم التطرق إليها بصورة وافية في المبحث الأول من هذا الفصل، وتجدر الإشارة إلى أنها وجدت بصورة ملاصقة للجدار الداخلي للحجرة المقدسة دائماً. ولم ينحصر وجودها في الحجرة المقدسة فقط بل عثر على بعض نماذج منها في الفِنَاء الداخلي للمعبد كما في الطبقات VIII-IX لمعبد سين[٤]. وكذلك الفناء الداخلي للمعبد البيضوي في خفاجة[٥].

ولم يتخذ حجم دكة الإله معياراً ثابتاً، فكان حجمها يتفاوت من عصر لأخر ومن معبد لمعبد ومن حجرة مقدسة لأخرى ضمن المعبد الواحد. ومن الصعب التخمين في أن حجم دكة الإله أتساعه أو تقلصه يرتبط بالمكانة الاعتبارية للإله الذي يشغلها، إلا أنه وبصورة عامة بدا حجمها بالزيادة التدريجية المتواصلة منذ ظهورها فكان ارتفاعها لا يتجاوز ٢٤سم في معبد اريدو الطبقة XVI[٦]. وبلغ ٤٠سم في الطبقة X من نفس المعبد[٧] وفي معابد تبة كاورا بلغ بلغ متوسط حجمها ٩٥سم ارتفاعاً و٥٥سم عرضاً[٨] وخلال عصر فجر السلالات وصل قياس قياس دكة الإله في معبد سين الطبقة VI إلى ١.٨٠×٢م[٩] وأتسع حجمها في معبد الطبقة VIII ليبلغ٢.٥×٣م[١٠] وكانت في مصلى الإله آبو القديم في اشنونا بقياس ٣٠×٣٠سم[١]

---

[1] Perrot, G., A History Art in Chaldia & Assyria, Translated: Walter Armstrong, B.A., London(1884), P.256.

[٢] حول أسلوب صب وصناعة التماثيل والأدوات المعدنية يراجع: رشيد، صبحي أنور، تاريخ الفــن القــديم، بغداد، ١٩٦٩، ص٩٦.

[3] OIP.60, P.21.

[4] OIP.58, P.56; 64.

[5] OIP.53, P.38.

[6] Safar, Op.Cit(1982) P.88.

[7] Ibid, P.96.

[8] Tobler, Op.Cit, P.47.

[9] OIP.58, P.42.

[10] Ibid, P.55.

وأصبحت في المستوى الرابع بقياس ٥٠×١٠٠سم[٢]. وبلغ قياس دكة الإله المكتشفة في فِنَاء المعبد البيضوي حوالي ٢×٢.١٨م[٣]. واتسعت دكة الإله في بعض المعابد لتشمل عرض الحجرة المقدسة بكامله كما في دكة الإلهة عشتار في معبديها G-H في أشور[٤]. وكذلك الحال في المعبد الثاني في الطبقة الرابعة من تل باسموسيان[٥]. العائد إلى العصر الأشوري القديم، حيث غطت دكة الإله عرض الحجرة المقدسة بالكامل والبالغ ٦.٥م وعمقها٢م[٦].

وكما في عمارة الحجرة المقدسة فقد استحوذت دكة الإله على العناية والاهتمام في عمارتها، وتبين بعض أشكال المنحوتات وطبعات الأختام هيئتها العمارية التي تعكس بعض الخصائص العمارية المنفذة في أبنية المعابد كما تظهر في (الشكل٤١) وأن قلة النماذج الأصلية المكتشفة والتي تضم تراكيب بنائية تمثل عناصر عمارية منفذة في المعبد، يعود لكون هذه التراكيب ضعيفة وسريعة التعرض للتلف، فلم يبق منها إلا نماذج محدودة ومنها دكة إله مكتشفة في قصر زمرليم والتي تعطي نموذجاً بنائياً واضحاً لواجهة المعبد[٧] وعثر كذلك في باحة المنطقة الدينية في قصر زمرليم على دكاك زينت واجهاتها بكوات[٨] على غرار الكوات الموجودة في الحجرة المقدسة، وكشف في موقع تل سليمة[٩] عن مجموعة من الدكاك شُكلت واجهاتها بأسلوب الطلعات والدخلات (شكل٤٥)[١٠]. ومن الأمثلة الأخرى دكة إله في الفِنَاء

---

(1) Ibid, P.159.

(2) OIP.58, P.167.

(3) OIP.53, P.38.

(٤) اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦أ، ص٥٦-٥٧ .

(٥) تل باسموسيان: أكبر التلول في سهل بتوين في حوض دوكان، يقع على مسافة ١٢كم إلى الجنـــوب مـــن قضاء رانية، كشفت فيه تنقيبات البعثة الاثارية العراقية في الموسم الأول عام ١٩٥٦ عن معبدين واحد فـــي الطبقة الثالثة والأخر في الرابعة. أبو الصوف، بهنام،"مواطن الآثار في حوض دوكـــان والتنقيـــب فـــي تـــل باسموسيان الموسم الأول"، سومر، مجلد ٢٦، ١٩٧٠، ص٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١١.

(٧) بارو، اندريه، "حفريات ماري–تل الحريري الموسم١٧"، ترجمة: عدنان الجندي، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد ١٩، ١٩٦٩، ص١٣٢.

(٨) بارو، اندريه، "حفريات ماري–تل الحريري الموسم٢٠"، ترجمة: عدنان الجندي، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد ٢٣، ١٩٧٣، ص٣٢٩.

(٩) تل سليمة: يقع إلى الجنوب الغربي من ناحية السعدية بمسافة ٢كم، نقبت فيه البعثة العراقية أول مرة عـــام ١٩٧٧، وعثرت فيه على مباني ولقى يعود تاريخها إلى عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم. رميض، صلاح؛ شاكر، برهان،"حفريات تل سليمة"، سومر، مجلد ٣٥، ١٩٧٩، ص٤٢٠.

(١٠) رميض، صلاح،"تنقيبات تل سليمة الموسم الثاني ١٩٧٩"، سومر، مجلد ٤٠، ١٩٨٤، ص٤٧.

رقم(١) لمعبد أي-ببار في لارسا (شكل٤٦)[١] وأستخدم الأسلوب ذاته في دكة الإله لمعبد ننخورساك في ماري[٢].

وشيدت بعض الدكاك على شكل درجات متعاقبة يتضاءل قياسها كلما ارتفعت، وقد تستخدم الدرجات لوضع بعض القرابين عليها. وتظهر منحوتة لانخيدوانا[٣]. وهي تقوم ببعض ببعض الطقوس أمام دكة إله مدرجة (شكل٤٧) أما النماذج المكتشفة لهذا النوع منصة الإله في المعبد المصبوغ في تل العقير والتي يُرتقى إليها بواسطة ست درجات (شكل٤٨)[٤] وأستخدم هذا النوع من الدكاك أيضاً في بعض معابد مواقع ديالى كدكة الإله في معبد سين الطبقة I و II(الشكلين٤٩ و٢٧)[٥]. ومعبد ننتو الطبقة VI في خفاجة (شكل٥٠)[٦].

وبصورة عامة كانت دكاك الآلهة في معابد مواقع ديالى ذات أسلوب بنائي بسيط، وهي انعكاس نمطي لصفة العمارة المحلية لتلك المعابد حيث كانت جميع نماذجها عبارة عن كتل بنائية صماء خالية من الزخارف العمارية ومع ذلك فقد أحتوى بعض منها على تركيب عماري بشكل مساند جانبية جهاتها الداخلية عمودية في حين كانت جهاتها الخارجية مدورة بأسلوب متقن، وقد تم العثور عليها في دكة الإله الخارجية لمعبد سين الطبقة II[٧]. كما وجد هذا التركيب فوق دكة الإله في المعبد الصغير في البيت D من المعبد البيضوي(شكل٥١)[٨] وعلى العكس من ذلك دكة الإله في معبد ننتو VI (شكل٥٠)[٩]. وان قلة الأمثلة المعروفة لهذا لهذا النوع يعزى سببه إلى هشاشة ذلك التركيب وسرعة تعرضه للتلف[١٠] وقد ضمت بعض دكاك الآلهة أخاديد مبطنة بالقار لتصريف السائل المسكوب على أماكن الإراقة[١١] ومن ثم

---

[1] Hout, J. L. et.al,"Preliminary Report of the Seventh Campaign at Larsa and the First Campaign at Tell El'oueili(1976)", SUMER, Vol.36,(1980) P.101.

[٢] بارو، اندريه،" الموسم العاشر لحفريات ماري"، ترجمة: بشير زهدي، الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد٤-٥، ٥٤-١٩٥٥، ص١٠٠.

[٣] انخيدوانا: هي ابنة شَرُّو كين (سرجون) وكانت تتولى منصب كبيرة كاهنات معبد إله القمر في أور .

[٤] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

[5] OIP.58, P.12;16.

[6] Ibid, P.87.

[٧] للاطلاع على موضعها ضمن بناية المعبد يراجع المخطط رقم (١٥).

[8] OIC.13, P.101.

[9] Ibid, P.87f.

[10] OIP.58, P.46.

[١١] الإراقة: أحد الطقوس الشعائرية المهمة في الديانة العراقية القديمة، وان غالبية المراسيم الدينية مثل الأعياد العامة والتكريس والتطهير كان يصحبها إراقة السوائل، وكان الكاهن يصب السائل على تمثال ودكة الإله أو في إناء يحتوي على نبات بواسطة إبريق. أما السوائل المستعملة فهي الماء والمشروبات==

احتوائه في جرة فخارية وجدت لهذا الغرض. كما في دكة المصلى القديم الثالث للإله آبو[١]. ودكة المعبد المربع للإله آبو أيضاً[٢]. كما وعثر على هذا النموذج في دكة الإله عند فِنَاء المعبد البيضوي (شكل٥٢)[٣].

أما الدكاك الحجرية المصنوعة من كتلة واحدة من الحجر فقد شُكلت بأسلوب أكثر جمالية من أصناف الدكاك الأخرى لكون طبيعة المادة التي صُنعت منها هذه الدكاك أكثر قابلية للتشكل والتصميم من المواد الأخرى التي يصعب التنفيذ عليها أحياناً، فضلاً عن صلابتها التي حفظتها لمدة زمنية طويلة. وكانت تلك الدكاك تنحت على شكل مناضد وكراسي تنتهي أطرافها على هيئة قوائم حيوانات كالثيران والأسود. ومثال ذلك الدكاك المكتشفة في ماري وتل اسود وأشور وخرسباد وقد يضم بدنها منحوتات بارزة وبعض النصوص المسمارية التكريسية(شكل٤٣)[٤].

وإضافة لما سبق كشفت التنقيبات عن نماذج فريدة التصميم لتلك الدكاك، ومنها الدكة الطينية المكتشفة في معبد عشتار الثالث[٥] من مدينة ماري والتي بنيت على شكل قارب[٦] وربما يكون هذا التصميم موجود فعلاً في المعابد العراقية القديمة.

دكة القرابين[٧].

يأتي المصطلح السومري $BARA_2$.SI[٨] للدلالة على دكة القرابين في المعابد العراقية القديمة ويرادفه في اللغة الاكدية barasiggû[٩]. ويدل هذا التعبير على البناء أو

==المخمرة و الحليب و الزيت ودماء الأضاحي. ويتبين من الرسوم المتعلقة بهذه المراسيم أن الآلهة كانت تحضر تلك الطقوس. وتظهر مشاهد الإراقة في الفن السومري والبابلي والأشوري. عبودي، هنري، معجم الحضارات السامية، لبنان، طبعة ٢، ١٩٩١، ص٦٢-٦٣.

[1] OIP.58, P.165.

[2] Ibid, P.183.

[3] OIP.53, P.49.

[4] Wotton, J.E., "A Sumerian Statue from Tell Aswad", SUMER, Vol.21, (1965), P.117.

[٥] أحتوى معبد عشتار في ماري على ست طبقات تعود جميعها إلى عصر فجر السلالات.

[٦] الأحمد، سامي سعيد، مدخل إلى تاريخ العالم القديم، القسم الأول، بغداد، ١٩٧٨، ص٣١٥.

[٧] أُطلق هذا المصطلح (Opferstatten) (أماكن التضحية) لأول مرة في تنقيبات الوركاء من لدن المنقب الألماني **لنزن** للإشارة إلى وظيفة تلك الدكة.

[٨] لابات، المصدر السابق، ص١٥٧. العلامة:٣٤٤.

[9] AHw "A-L", P.106^b.

قطعة الأثاث أو الأداة التي تقدم عليها القرابين، بالأساليب كافة وبمقادير مختلفة، وبأصنافها جميعاً كالذبائح والأطعمة والمشروبات، وماعدا ذلك من هبات وهدايا تقدم إلى الإله بصيغ حقيقية أو رمزية[١]. وتنوعت أصنافها بين الدكاك المستوية والدكاك المخصصة لطقوس الإراقة والمواقد، وهي مهيئة دائماً لتلقي هدايا البشر إلى الإله فوق سطحها العلوي فضلاً عن وجود أصناف أخرى من الأدوات تستخدم لتقديم القرابين كالجرار والأواني والمحامل. ولم يقتصر تقديم القرابين على تلك الأنواع بل كانت تقدم أحيانا عند رفوف دكة الإله، كما في الدكة الحجرية المخصصة للقرابين والموضوعة فوق أحد رفوف دكة الإله في معبد الإله آبو المربع[٢].

وتعكس تلك الدكاك جانباً مهماً من الطقوس الدينية التي تقام في المعبد أمام دكة الإله وما يرافقها من مراسيم وشعائر خاصة بها، ويظهر تعدد دكاك القرابين في المعبد مدى تغلغل المعتقد في نفوس الناس وتعلقهم بإلهتهم وسطوة المؤسسة الدينية على المجتمع واستحواذها على جزء مهم من إنتاجه الغذائي والصناعي[٣]، وتسلط الضوء في الوقت ذاته على جانب من من الواقع الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للمجتمع في كل عصر من العصور[٤].

وظهرت نماذج دكة القرابين مع أولى المعابد المكتشفة في اريدو العائدة إلى عصر العبيد الرابع، وكشف عن الدكاك التي تستخدم لتقديم القرابين في حجرات الطقوس في البيوت السكنية. كما في الدكاك المكتشفة في الحجرة رقم (٥١) من موقع جوخة مامي[٥].

واستخدم في إنشاء تلك الدكاك المواد ذاتها المستخدمة في بناء دكاك الآلهة، فكان معظمها مشيد من اللبن بمختلف أشكاله. ودخل الطابوق المفخور في إنشائها ومثال ذلك دكة القرابين لمعبد أي-ببار في لارسا[٦]. وتركز استخدام الطابوق المفخور في المواقد كما في

---

[١] اندريه،المصدر السابق،١٩٨٦ب، ص٦٩.

[2] OIP.58, P.195.

[3] للاطلاع على الكميات التي يحصل عليها المعبد من القرابين يراجع: الراوي، فاروق ناصر،"اقتصاد المدن المدن العراقية" في : المدينة والحياة المدنية، جزء ١، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٥٢-٢٥٤. وكذلك : Figulla, H. H," Accounts Concerning Allocation of Provisions from Offerings in the Ningal-Temple at Ur", IRAQ, Vol.15(1953), PP.88-122;171-192.

[٤] حول دور القرابين في معرفة الواقع الاقتصادي والاجتماعي يراجع: نكارتين، روز، نظام القرابين في المجتمع السومري حسب نصوص ما قبل سرجون في لجش، ترجمة: خليل سعيد عبد القادر، بغداد،٢٠٠٢، ص٥٩-٧١.

[٥] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٣٥.

[٦] بنيت دكة القرابين في هذا المعبد من طابوق يشابه قياسه الطابوق المستخدم في بناء دكة الإله: يراجع الهامش رقم (٤) في الصفحة ٩٥ من البحث .

المواقد المكتشفة في الوركاء وأور ولكش والذي أكتسب صلابة إضافية نتيجة لعمليات الحرق المتواصلة[١]. ويلاحظ ندرة استخدام بقية أصناف المواد الأخرى كالمعادن والأحجار، ومن أبرز النماذج المكتشفة من الحجر الحوض الشعائري المنحوت بشكل كامل من الحجر الجيري(شكل٥٣)[٢] وأستخدم القار في تغليف الأسطح العليا لبعض دكاك القرابين[٣]. وتبطين قنوات تصريف السوائل من تلك الدكاك[٤].

ولا تختلف طريقة بناء دكة القرابين عن الأسلوب المتبع في بناء دكة الإله وأصناف الدكاك الأخرى الموضحة مسبقاً. واستخدمت بعض الأساليب الخاصة في عمارتها، كتخفيض مستوى السطح العلوي عن الحافة المحيطة بها لاستيعاب القرابين المقدمة عليها (شكل٥٤) .

ومن خلال النماذج المكتشفة لدكاك القرابين وتوزيعها في المعبد، يتبين أن المعمار لم يعر اهتماماً بالغاً في تحديد موضعها كما هو الحال مع دكة الإله، فتوزعت في مختلف مرافق المعبد. ونالت الحجرة المقدسة النصيب الأوفر من نماذجها، وكانت تقع في الغالب مواجهة لدكة الإله وعلى محور واحد معها. كما في طبقات معبد اريدو ومعبد سين ومعبد ننتو في خفاجة ومعبد اي-ببار في لارسا. إلا أن بعض دكاك القرابين في الحجرة المقدسة وضعت بصورة منحرفة عن محورها المتعامد مع دكة الإله ومنها الدكة المكتشفة في المصلى القديم الثالث للإله آبو في خفاجة[٥]. وكذلك في الطبقة V لمعبد انليل في نيبور[٦].

لم تكن الحجرة المقدسة وحدها التي ضمت دكة للقرابين، إذ احتوت بعض حجرات المابين على هذه الدكة ومنها حجرة المابين في معبد سين VI[٧]. وعلى غرار الحجرة المقدسة المقدسة كانت دكة القرابين تقع على محور واحد مع دكة الإله في حجرة المابين التي بنيت حجراتها المقدسة وفق التخطيط العريض.

ومن الوحدات العمارية الأخرى للمعبد التي كشف فيها عن دكاك للقرابين هي الفِنَاء الداخلي، فعثرت التنقيبات على دكاك للقرابين في الفِنَاء الداخلي لمعبد سين ومعبد ننتو والفِنَاء الداخلي للمعبد البيضوي في خفاجة، وكذلك وجدت في فِنَاء معبد الإله آبو المربع في تل اسمر وفي معبد عشتار كيتيتوم كُشف أيضاً عن دكاك للقرابين في فِنَائه الداخلي.

---

[1] Buren, E. D.,"Places of Sarifice (Opferstatten)", IRAQ, vol.14, (1952), p.76.

[٢] تشير بقايا النصوص المحفورة عليه إلى أن هذا الحوض الشعائري يعود إلى عصر سين آخي اريبا (سنحاريب) (٧٠٤-٦٨١ق.م). عكاشة، المصدر السابق، ص٥٦٨.

[3] Buren, Op.Cit, P.82.

[4] OIP.58, P.165.

[5] Ibid, P.167.

[6] OIP.87, P.14.

[7] OIP.58, P.43.

ولعل تعدد دكاك القرابين وتوزعها في مرافق المعبد له ما يبرره إذ عملت تلك الدكاك على تخفيف الزخم عن دكة القرابين الرئيسة في الحجرة المقدسة. وان بعض تلك الدكاك قد هيئ لاستقبال صنف معين من القرابين. وانعكس ذلك أيضاً على حجم دكة القرابين، إذ لم يبالغ المعمار في زيادة حجمها مستعيضاً عنه بزيادة عددها في المعبد. وأختلف حجم دكة القرابين باختلاف هيئتها العمارية ونوعية القرابين التي تقدم عليها، فكان قياس قطر دكة القرابين المستديرة في معابد الوركاء خلال عصر الوركاء الثالث ينحصر بين ١.١٠م كحد أقصى و٨٠سم كحد أدنى[١]. وكان قطر دكاك القرابين في معبد سين الطبقة IX خلال عصر فجر السلالات ينحصر بين ٦٢-٧٥سم. وهذا القياس أصغر في القطر عن الدكاك المدورة السابقة في معبد سين[٢]. إذ كان قطرها يصل إلى ٨٠سم في معبد سين الطبقة VI[٣].

أما الدكاك المضلعة فكانت متوسطة الحجم وبشكل عام أصغر حجماً من دكة الإله، فيصل قياسها في معبد سين الطبقة V إلى ١×١و ٢م[٤]، وفي معبد اي-ببار في لارسا كانت بقياس ٩٢سم وارتفاعها بين ٤٥-٥٠سم[٥].

وكانت غالبية نماذج دكة القرابين خالية من الزخارف العمارية، ربما لكون تلك الدكاك تؤدي وظيفة طقوسية ذات طبيعة دنيوية، تقوم على أساس التواصل المباشر مع المتعبدين وتقبل هداياهم بشكل مستمر. فضلاً عن طبيعة المواد المقدمة وتأثيرها السلبي على تلك الدكاك مما يجعل من الصعب تنفيذ تلك الزخارف على بدنها وإن وجدت فهي بحاجة للإدامة بصورة مستمرة. وبنيت دكاك القرابين بإشكال متنوعة، وأبرز تلك الإشكال وأكثرها شيوعاً الشكل الدائري، والذي ظهرت نماذجه في العصور جميعها، ففي معبد اريدو الطبقة XVII العائد إلى عصر العبيد الرابع كشف عن دكتان دائريتان فيه[٦]. وظهر ذلك النوع من الدكاك في معابد مدينة الوركاء العائد إلى عصر الوركاء ومنها دكة القرابين في المصطبة الشمالية الشرقية قرب معبد إنانا A في الطبقة IVb[٧]. وأستخدم كذلك في معابد تبة كاورا

---

(1) Buren, Op.Cit, P.80.

(2) OIP.58, P.64.

(3) Ibid, P.42.

(4) Ibid, P.33.

(٥) ماركون،"التنقيبات الأثرية في لارسا الموسم الخامس"، ترجمة: جميل حمدي، سومر، عدد ٢٧، ١٩٧٨، ص٢٩٥.

(6) Buren, Op.Cit, P.84.

(7) Ibid, P.83.

كما في المعبد الشمالي الشرقي من الطبقة XI في نفس الموقـــع[١]. وخـــلال عصـــر فجـــر السلالات وجدت نماذج من الدكاك المستديرة في طبقات معبد ســين ومعبــد ننتــو والمعبــد البيضوي في خفاجة[٢]. ومعبد إنانا في نيبور. وأستمر هذا النوع من دكاك القرابين في عصر سلالة أور الثالثة وظهرت نماذجه في أكثر من معبد ومنها معبد انكي في أور ومعبــد مدينـــة لكش واشتملت معابد العصر البابلي القديم على نماذج من تلك الدكاك ومنهـــا معبــد عشـــتار كيتيتوم. وشُيدت بعض الدكاك المستديرة بصورة مندمجة مع دكة قـــرابين مضـــلعة الشـــكل، واستخدم الجزء المستدير كموقد، ومن نماذجها دكة القرابين المكتشفة في المعبد المصبوغ في العقير(شكل٥٥).

وإلى جانب الشكل المستدير أُستخدم التصميم المضلع في تشييد بعض تلـــك الـــدكاك ومنها الدكاك الصغيرة المربعة المكتشفة في الحجرة المقدسة لمعبد شارة في تل أجرب والتي أنشئت على قاعدة مربعة تتناقص كلما ارتفعت(شكل٥٦)[٣] ووجد هذا الشكل من الدكاك أيضا أيضا في الحجرة المقدسة الثانية من معبد الإله آبو المربع في تل اسمر[٤]، وفي الفِنَاء الداخلي الداخلي لمعبد الإله سين الطبقة IX كُشف عن دكاك للقـــرابين ذات نهايـــات قمـــم مـــدورة (شكل٥٧)[٥]. وظهر هذا النوع من الدكاك في الحجـــرة المقدســـة لمعبـــد ســـين الطبقـــة X (شكل٥٨)[٦]. وتم العثور على نماذج مطابقة لهذه الدكاك في معابد معاصرة في تل اسمر وتل وتل أجرب[٧] وربما خصص هذا النوع من الدكاك لاستقبال نوع معين من القرابين كالجلود. كالجلود.

واشتملت بعض الدكاك على تراكيب إضافية كالمساند الجانبية ومنها دكـــة القـــرابين المكتشفة في معبد انليل في نيبور(شكل٥٩)، وقد تحتوي بعض الدكاك على أخاديـــد وقنـــوات لتصريف السوائل(شكل٦٠).

ومن النماذج الفريدة التصميم لدكة القرابين، الدكة المكتشفة في معبد عشـــتار G فـــي أشور وهي عبارة عن دكة واطئة يتراوح ارتفاعها بين ١٠-١٥سم شيدت باللبن ولها ثلاثـــة أضلاع (شكل٩ رقم٣)[٨].

---

(1) Buren ,Op.Cit, P.90.

(2) Ibid, P.87-88.

(3) OIP.58, P.225.

(4) Ibid, P.197.

(5) Ibid, P.63.

(6) Ibid, P.74.

(7) Ibid, P.187;236.

(٨) اندريه، المصدر السابق،١٩٨٦أ، ص٥٧.

المبحث الثالث

حجرة المابين

تشكل حجرة المابين القسم الثاني من الجناح المقدس في المعبد، وأطلق عليها المصطلح السومري É.UŠ.GID.DA ويقابله بالاكدية ašlukkatum(١). وتعني حجرة الانتظار. وهي عنصر عماري مهم في عمارة المعابد العراقية القديمة، وتمثل مرحلة انتقال معنوي لموضعين متناقضين اعتبارياً بين ما هو ديني ودنيوي ومتجانسين مكانياً في بناء واحد. ويخدم وجود حجرة المابين غايتين مهمتين تتعلق الأولى بالتحضير النفسي للشخص المتعبد والاستعداد لمواجهة تمثال الإله في الحجرة المقدسة، فكلما كان إدراكه صعباً كلما زاد مقدار الرهبة والخشوع في نفوس المتعبدين، والغاية الثانية هي إكساب موضع الإله الأهمية وتمثاله الوقار والاحترام. فضلاً عن الجانب الفكري تقوم حجرة المابين بدور عملي يتمثل في تنظيم الدخول إلى الحجرة المقدسة من خلال جعلها حجرة للانتظار(٢) وقد تضم في بعض الأحيان دكة قرابين لتقديم الأضاحي .

وربما كان الدافع وراء ظهور حجرة المابين في المعبد عائد إلى اتساع دوره وتحوله من مؤسسة دينية خالصة إلى بؤرة المجتمع ومركزاً لإدارة وتنظيم الحياة العامة بمختلف نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وانعكس ذلك التحول بدوره على مخطط المعبد، فزادت عدد الوحدات العمارية الملحقة به والتي اتبع بعض منها تخطيطاً مشابها لتخطيط الحجرة المقدسة، وتجنباً لفقدان الحجرة المقدسة لمكانتها عمد المعمار إلى إجراء سلسلة من المعالجات الموضعية والعمارية للحجرة المقدسة، ولم يكتفِ بهذا القدر فميزها بإضافة تركيب عماري يتقدم الحجرة المقدسة، وأمن ذلك التركيب(حجرة المابين) الخصوصية والتميز للحجرة المقدسة مقارنة ببقية حجرات المعبد.

غير أن ذلك العنصر العماري لم يكن موجوداً في المعابد جميعها التي يوازي تاريخها فترة ظهور حجرة المابين وحتى في العصور اللاحقة، وقد يعزى ذلك لضيق المساحة الداخلية المتاحة للبناء، مما أوجب على المعمار اختزال بعض الوحدات العمارية أو ان المعبد لا يحتوي على حجرات ذات وظيفة دنيوية، كما في معبد الإله آبو المربع في تل اسمر(مخطط٦١)(٣) ومعبد ننتو في خفاجة(مخطط٤٧)(٤). ولعل الموضع والعمارة المتميزة

---

(1) CDA, P.28b.

(٢) يوسف، المصدر السابق، ص٨٥ .

(3) OIP.58, P.175f

(4) OIP.58, P.80.

للحجرة المقدسة هي التي طغت على بقية الوحدات العمارية في المعبد وقللت الحاجة لوجود حجرة المابين، كما نرى ذلك في المعبد البيضوي في خفاجة (شكل٥) ومعبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد(مخطط٢٨).

وتعود أولى نماذج حجرة المابين إلى عصر جمدة نصر حيث استخدمت في طبقات معبد سينI-V[١] واحتوت تلك المعابد على حجرتان تفضيان إلى الحجرة المقدسة في المعبد (مخططات١٤-١٥،٢٢-٢٤) واستخدمت لتنظيم عملية الدخول والخروج من الحجرة المقدسة، أو لاستيعاب أكبر قدر من المتعبدين خصوصاً ان المعبد في تلك الطبقات ضم حجرة مقدسة واحدة، وهذه الحجرات تعكس صورة بدائية لذلك العنصر العماري وإن عدم وجودها في المعابد التي تعود إلى العصور السابقة (العبيد بأدواره الأربعة والوركاء بأدواره الثلاثة وبدايات عصر جمدة نصر) يمكن أن يعزى إلى الأسباب المذكورة سابقاً، فضلاً عن أن غالبية المعابد التي ترجع إلى تلك العصور شيدت وفق التخطيط الثلاثي الأقسام، والذي تكون فيه القاعة المركزية هي ذاتها الحجرة المقدسة التي تضم دكة الإله وتمارس فيها الطقوس والشعائر الدينية، وإن مركزيتها وكبر مساحتها مقارنة بالوحدات الأخرى هي التي منحتها الامتياز والخصوصية. وحتى بعد ظهور الحجرة المقدسة كبناء له صفة مستقلة عن القاعة المركزية في التخطيط الثلاثي لم تستخدم حجرة المابين، لكون مبدأ فصل الحجرة المقدسة كان في بدايته. ومن الصعب على المعمار والمتعبدين تفسير واستيعاب إضافة تركيبين عماريين يلامسان جوهر البناء في آن واحد.

وتركز استخدام حجرة المابين على نطاق واسع وبشكل فعلي خلال عصر فجر السلالات، فأصبحت العديد من المعابد تحوي ضمن مخططاتها ذلك العنصر العماري، فنجدها في معبد الإله سين في الطبقات VI-X(مخططات٣٥-٣٩)[٢]. وفي المصلى الأولي للإله آبو في تل اسمر (مخطط٤٩)[٣] وكذلك في معبد شارة بتل اجرب(مخطط٤٨)[٤]. وفي الطبقة IV للمعبد الشمالي في نيبور(مخطط٢٦-و)[٥] واستمر وجودها خلال العصر الاكدي وعصر سلالة أور الثالثة، كما في الطبقتينI-II من المعبد الشمالي لنيبور العائديّن إلى العصر الاكدي. وبناية كيك-بار-كو ومعبد انكي في أور العائديّن إلى عصر سلالة أور الثالثة.

---

(1) Ibid, P.14,16,18,20,33.

(2) Ibid, P.43,45,55,63,74.

(3) Ibid, P.162.

(4) Ibid, P.225.

(5) OIP.97, P.18.

وفي العصر البابلي القديم وبظهور التخطيط العريض للحجرة المقدسة غدا وجود حجرة المابين في المعابد التي استخدمت ذلك التخطيط لحجرتها المقدسة أكثر ضرورة، لغرض إضفاء الأهمية على الحجرة المقدسة ودكة الإله، فبحكم التخطيط العريض وضعت دكة الإله في منتصف الضلع الطويل ومواجهة للمدخل وعلى مسافة قريبة منه، وان عدم وجود حجرة المابين تؤثر على مكانة الإله كما أن ضيق مساحة الحجرة المقدسة لا يتيح المجال لإداء الطقوس والعبادات فيها مما أوجب وجود حجرة المابين لاستيعاب أكبر قدر من المتعبدين، وهذا يفسر زيادة مساحتها مقارنة مع نظيرتها في الحجرات المقدسة ذات التخطيط الطويل. ومن أمثلة حجرة المابين في العصر البابلي القديم الحجرة (٥) في معبد عشتار كيتيتوم(مخطط٤٠)[١] وفي معبد نيسابا بتل حرمل(مخطط٣٢)[٢].

وفيما يتعلق بسمات حجرة المابين الموضعية والتخطيطة والعمارية، فيلاحظ تأثير الوظيفة التي تضطلع بها تلك الحجرة على موقعها إذ حتمت وجودها أمام الضلع الذي يضم مدخل الحجرة المقدسة والذي يكون في الغالب عند الجدار الطويل من الحجرة المقدسة بغض النظر أكانت الحجرة المقدسة طويلة أم عريضة التخطيط. إلا أن موضع حجرة المابين في المعابد ذات الحجرات المقدسة الطويلة التخطيط، لم تكن تغطي الجدار العريض جميعه وأقتصر وجودها على الجانب الذي يضم مدخل الحجرة المقدسة ، أما الجزء المتبقي من الجدار فشُغلَ بتراكيب عمارية منفصلة عن حجرة المابين. كما نلاحظ ذلك في طبقات معبد سين والمصلى القديم لآبو ومعبد شارة والمعبد الشمالي. غير أن ذلك الإجراء له ما يبرره ، إذ لم يرغب المعمار في جعل موضع حجرة المابين مماثل لموضع الحجرة المقدسة ، مما يفقد الأخيرة شيئاً من تأثيرها الروحاني في نفوس المتعبدين وعلى العكس من ذلك في الحجرات المقدسة ذات التخطيط العريض، حيث يتطابق موضعها مع الحجرة المقدسة، ويعزى ذلك للأسباب المبينة مسبقاً.

واتبعت نماذج حجرة المابين جميعها التخطيط المضلع والذي تنوع بين المربع، كما في الحجرة (٤٢) في الطبقاتI-III (مخطط١٤-١٥، ٢٢)[٣] والحجرة (١٣) في الطبقات-IV V (مخطط٢٣-٢٤)[٤] لمعبد الإله سين في خفاجة. وكذلك الحجرة (٦١) في الطبقة II من المعبد الشمالي في نيبور(مخطط٢٦-ح)[٥]. وبين التخطيط المستطيل الذي أستخدم بشكل أكثر

---

(1) OIP.98, P.42.

(2) Baqir, Op.Cit, P.24.

(3) OIP.58, P.14ff.

(4) OIP.58, P.20, 33.

(5) OIP.97, P.24.

اتساعاً من المربع وظهرت نماذجه في الحجرة (٤٣) في الطبقات I-II والحجرة (٢٠) للطبقات IV-V والحجرة (١٠) في الطبقات VI-IX والحجرة (٢) في الطبقة X لمعبد الإله سين (مخططات١٤-١٥، ٣٥-٣٩). والحجرة (١٤) من المصلى القديم للإله آبو في اشنونا (مخططات٥٠-٥٣)(١). والحجرة (١) لمعبد شارة بتل اجرب(مخطط٤٨)(٢). ورافق التخطيط المستطيل نماذج حجرة المابين جميعها في المعابد التي اتبعت التخطيط العريض لحجرتها المقدسة. كما في الحجرة (٦) لمعبد الإلهة گولا في آيسن(مخطط٥٧)(٣). وحجرة المابين في المعبد الصغير بتل حرمل(مخطط٣٢)(٤). والحجرات (٥)(٢)(١) في معبد عشتار كيتيتوم(مخطط٤٠).

أما مساحة تلك الحجرة فيلاحظ عليها الزيادة المتواصلة منذ نماذجها الأولى، ولكنها بقت أقل مساحة من الحجرة المقدسة عدا الحجرات ذات التخطيط العريض إذ بدت مساحتها تضاهي مساحة الحجرة المقدسة.

واحتوى تخطيط حجرة المابين على مدخلين، ووجودهما ضروري فيها، بحكم دور تلك الحجرة في البناء، فيوصل المدخل الأول من الفناء الداخلي للمعبد إلى داخل حجرة المابين، أما الثاني فيفضي منها إلى الحجرة المقدسة. ولم يعر المعمار أي اهتمام لموضع وترتيب تلك المداخل في حجرة المابين في المعابد التي بنيت حجراتها المقدسة وفق التخطيط الطويل وخصوصاً المدخل الأول ويعود سبب ذلك وجود تراكيب عمارية فرضت على المعمار وضعه بنسق يتماشى مع تلك التراكيب، كما في مداخل حجرة المابين في المصلى القديم للإله آبو في اشنونا (مخططات٥٠-٥٣) والمعبد الشمالي في نيبور حيث وضع المدخل الأول في الضلع القصير من حجرة المابين والمدخل الأخر عند الضلع الطويل منها ويشكل محورهما زاوية بمقدار ٩٠ درجة(مخطط٢٦).

وكان البعض الأخر من المداخل يوضع بصورة متقابلة على محور واحد كما في الحجرات (٤٢) و (٤٣) في الطبقات I-III، وكذلك في الحجرتان (١٣)و(٢٠) في الطبقات IV-V والحجرة (١٠) في الطبقات VI-X لمعبد الإله سين(مخططات١٤-١٥، ٢٢-٢٤ ،٣٥-٣٩). وضمت حجرات المابين في الطبقات VI-X من معبد سين مدخلاً ثالثاً عند النهاية

---

(1) OIP.58, P.165f.

(2) Ibid, P.231.

(3) Hrouda, B., Hoh, M. R.,"Ishan Bahriyat ISIN", SUMER, Vol.33, 1977, P.121.

(٤) ناجي، عادل،"تنقيبات الموسم السابع في تل حرمل"، سومر، مجلد ١٧، ١٩٦١، ص٢٠٤.

البعيدة للضلع العريض وقد يكون ذلك المدخل تعويضاً عن حجرة المابين الثانية التي كانت موجودة في الطبقات I-V واندمجت في حجرة واحدة لتسهيل وتنظيم عملية الدخول والخروج.

بينما كانت مداخل حجرة المابين في المعابد التي بنيت حجراتها المقدسة وفق التخطيط العريض تتبع نسقاً ثابتاً، حيث تقع في منتصف الضلع العريض منها ومواجهة لمدخل الحجرة المقدسة.

أما عمارة حجرة المابين فاتسمت بالبساطة البادية عليها من خلال ندرة التراكيب العمارية فيها، وأقتصر الاهتمام بعمارتها عند مدخلها فعُنيَّ المعمار بعمارتها لكونها مدخل الجناح المقدس. ومثال ذلك مدخل حجرة المابين في معبد عشتار كيتيتوم(١) وعلى اعتبار حجرة المابين مكون رئيس للجناح المقدس الذي يضمها والحجرة المقدسة فقد شُملت برفع مستوى أرضيتها كما في معبد سين الطبقات I-V(شكل١٤) ومعظم الحجرات في المعابد ذات التخطيط العريض كحجرة المابين في معبد الإلهة گولا وعشتار كيتيتوم. ومن المرجح أن جدرانها احتوت على بعض العناصر التزينية للجدران كالتلوين والزخارف والمخاريط الفخارية.

---

(1) OIP.98, P.12,19,32.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

نظام الدخول

حظيت المداخل وعمارتها بأهمية كبيرة في الحضارات القديمة، ونالت مكانة رمزية عالية، وان هذه الأهمية لم تقتصر على وظيفة المدخل في الفصل بين الفضاءات وتحديد فتحات المباني أو قيامه بمهام الحجز والردع لغير المرغوب بهم، بل تعداه إلى هواجس نفسية وأحيط بهالة سحرية تتجلى مظاهرها في العديد من النتاجات الفكرية والممارسات الطقوسية المتعلقة به، حيث ورد الباب في ملحمة گلگامش بوتيرة متكررة كما في باب غابة الأرز وباب حانة سيدوري وباب بيت اوتونابشتم بطل قصة الطوفان، ونجده كذلك في حلم الملك گوديا ووصفه الدقيق لبناء المعبد واهتمامه بعمارة مداخله، فضلاً عن العديد من النصوص التذكارية التي تصف عمارة مداخل المعابد والقصور والمدن باهتمام بالغ.

كان العديد من بوابات المدن تحمل أسماء آلهة تهدف إلى حماية المدينة من الأعداء والأرواح الشريرة والعفاريت الخبيثة وهذا ما دعاهم إلى نصب تماثيل لاسود وثيران مجنحة ذات أجسام حيوانية ورؤوس بشرية انتشرت في العديد من بوابات المعابد والقصور والمدن في العراق القديم كما كانت هذه المخلوقات المجنحة ترسم على جدران الأبراج المحيطة بالمدخل.

وتُظهر بعض النصوص المسمارية الخاصة بالأحوال الشخصية من العصر البابلي القديم أن بعض المحاكمات والعقوبات كانت تقام وتنفذ عند ساحات متاخمة لبوابات المدن بهدف الإشهار بالمذنبين كما تتم فيها المعاملات التجارية وعقد الاجتماعات.

وقد وصلنا العديد من نماذج البوابات الرائعة من مدن العراق القديم ولعل أبرزها بوابة عشتار المكتشفة في مدينة بابل والمحفوظة حالياً في متحف برلين التي أنشئت بحدود ٥٧٥ق.م وكان اسمها عشتار قاهرة أعدائها وتميزت بجمالها الأخاذ ومن النماذج الأخرى المكتشفة لبوابات المدن هي البوابات البرونزية لمدينة بالاوات والمحفوظة حالياً في المتحف البريطاني ومتحف الموصل إذ غُطي مصراعيها بشرائط برونزية منقوشة ويعود تاريخها إلى العصر الأشوري الحديث.

ويتضح مما تقدم أهمية الدور الوظيفي الذي لعبته المداخل في المباني بصورة عامة والمعابد خاصة من خلال الطقوس الدينية التي ترافق عملية الدخول وارتباطه بالجناح المقدس وأثر هذا الجناح على ظهور أنظمة الدخول في المعابد العراقية وتطورها وأثر ذلك

التطور على مخططات المعابد بشكل عام والذي أدى لاحقاً إلى ظهور وحدات عمارية تتمم وظيفة المدخل.

المبحث الأول

المداخل

المدخل هو أحد العناصر العمارية المهمة في جميع أنواع المباني وذلك لكونه واسطة للوصول منها واليها وبدونه لا يكون ذلك متحققاً ولما يوفره من أمان وستر لشاغليها أو المستفيدين منها وكذلك حجبه عوامل البيئة والمناخ والتقليل من حدتها، فضلاً عما يكتنفه من أهمية دينية–طقوسية وسحرية[١]. وقد وردت الإشارة إلى المداخل في اللغة السومرية بصيغة KÁ[٢]. ويرادفها في اللغة الاكدية المصطلح bābum ويعني الباب أو المدخل في البيت أو المعبد أو القصر[٣]. بينما أُطلق المصطلح السومري KÁ.GAL للإشارة إلى البوابات الضخمة حيث يعني المقطع KÁ باب أما المقطع الثاني GAL فيعني العظيم ويصبح معناها الباب العظيم أو الكبير[٤]. ويرادفها في اللغة الاكدية المصطلح abullum وتستخدم للإشارة إلى مداخل المدن أو المدخل الرئيس للمعبد أو لمجمع بنائي كبير[٥]. كما أستخدم المصطلح KÁ.BAR.RA وتعني المدخل الخارجي للبناء ويرادفها في اللغة الاكدية المصطلح bābu kamû[٦].

وللمدخل فضل كبير في تطور الفكر العماري للإنسان في بحثه عن مواد بنائية جديدة وعناصر عمارية تخدم تشييده لتجعل منه في النهاية وحدة عمارية متكاملة تتميز بصلابتها وطابعها الجمالي المتحقق عبر أسلوب بناء عناصرها أو بالإضافات الزخرفية المنفذة عليها إذ كان لشكل الباب وهيئته تأثيراً نفسياً يُراد منه الرهبة والاستدلال والجذب والحال ينطبق على ثراء زخرفه ونبذه الفراغ لظنهم أن المساحات المتروكة والخالية والملساء هي المكان المناسب لسكن العفاريت[٧]. وهذا الأسلوب دلت عليه نماذج المداخل المكتشفة في أبنية المعابد وكذلك

---

[١] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٠.

[٢] لابات، المصدر السابق، ص٩٧. العلامة: ١٣٣.

(3) CAD."B", P.14[b].

[٤] لابات، المصدر السابق، ص٩٧. العلامة: ١٣٣.

(5) CAD."A", Part I, P.82[a].

[٦] لابات، المصدر السابق، ص٩٧. العلامة: ١٣٣.

[٧] لايك، المصدر السابق، ص٣٠٧.

عكسته طبعات الأختام في مشاهد تظهر العديد من العناصر الزخرفية المنفـذة علـى البـاب وجوانبه المصنوعة غالباً من القصب والحصير أو من مادة البناء ذاتها(شكل٦١و٦٢)[١]. كما لعبت المداخل دوراً في تطور الصناعة من خلال ابتكار المعمار للعديد من القطـع الملحقـة بالمداخل والتي تسهل عمل الباب وتمنحه الصلابة المطلوبة وكذلك بحثه عن الحواجز لإغلاق فتحات المداخل والتي بدأت بجلود الحيوانات وانتهت بالبوابات الضـخمة المصـنوعة مـن الأخشاب والمعادن.

تعدد المداخل[٢].

احتوت العديد من المعابد العراقية على أكثر من مدخل خارجي يؤدي إليها وكان عدد هذه المداخل يتفاوت من عصر لأخر ومن معبد لأخر وان هذا الاختلاف تحدده العديـد مـن العوامل أبرزها الإنشائية والدينية والاجتماعية.

اتسمت مخططات المعابد التي أنشئت وفق التخطيط الثلاثي العائدة لعصـر الوركـاء وجمدة نصر بكثرة عدد مداخلها إذ ضمت معابد منطقة أي-انا الطبقتـين V-IVa,b,c فـي الوركاء (مخطط١١و١٩) العديد من المداخل فقد أحتوى معبد الحجر الكلسـي الطبقـة IVb (مخطط١١ أ) على تسعة مداخل ثمان منها موزع بشكل متناظر، كما ضـم المعبـد A مـن الطبقة ذاتها عشرة مداخل متناظرة(مخطط١١ ب) بينما أُنشئ في المعبد B من الطبقة نفسـها ستة مداخل(مخطط١١هـ) وأحتوى المعبد C من الطبقة IVa خمسة عشر مدخل(مخطط١٩أ) وفي معبد المخاريط الحجرية أربعة مداخل(مخطط٢١). ويفسر **هاينرش** كثرة المـداخل فـي معابد منطقة أي-انا في الوركاء إلى وجود تسقيف للقاعة المركزية في هذه المعابد، حيـث أن طريقة التسقيف التي اقترحها كانت بصورة مستوية مع سطح البناء مما جعل مـن الصـعب إيجاد فتحات لإنارة الجزء الوسطي من المعبد، فلجأ المعمار إلى استخدام عـدد كبيـر مـن المداخل المتناظرة والتي كانت تتخلل الحجرات الجانبية لغرض إدخال النور إلى قلب البنـاء وكذلك لتسهيل انسيابية التيار الهوائي وتبدله داخل البناء، أي أن وجود هذه المداخل قد أرتبط باداء وظيفة بيئية أكثر من كونه حاجة فعلية لوجود هذا العدد منها[٣] وفضلاً عمـا سـبق ان

---

[1] Henrich, E., Bauwerke In Der Altsumerischien Bildkunst, Germany(1957), P.41f.

[٢] حول أعداد المداخل في المعابد العراقية القديمة يراجع الجدول رقم(٢).

[3] Heinrich, Op.Cit, P.39f; Jacobsen, T., The Treasures of Darkness. New Haven(1976), P.16.

هذه المعابد أنشئت في منطقة مقدسة بالكامل وبذلك لا يؤثر وجود عدد إضافي من المـــداخل على مكانة المعبد[١].

بينما عالج المعمار مسألة الإضاءة والتهوية في المعبد المصبوغ في تل العقير بطريقة مختلفة وذلك برفع جدران القاعة المركزية عن مستوى الوحدات العمارية الجانبيـــة لغــرض إيجاد موضع لنوافذ تُدخل الضوء والهواء وهذا مادل عليه ارتفاع مســتوى جــدران القاعــة المركزية فيه وكذلك قلة عدد المداخل فيه إلى مدخلين فقط(مخطــط١٣)[٢]. وربمـــا أســتخدم الأسلوب ذاته في عدد أخر من المعابد العائدة لعصر جمدة نصر ومنها معبد العيون في تــل براك الذي أحتوى مدخلين أيضاً، كما تظهر طبعة ختم تعود لعصر الوركـــاء اســتخدام هــذا الأسلوب في عمارة معابد عصر الوركاء وجمدة نصر(شكل٦٣)

وفي عصر فجر السلالات نلاحظ أن تعدد المداخل قد تقلص بشكل كبير مع انتشـــار استخدام نظام المحور المنكسر فيه والقائم على أساس توفير أكبــر قــدر مــن الخصوصــية والانعزال لمرافق المعبد عن المحيط الخارجي لذلك أصبحت معظم المعابد التي أنشئت فيــه تضم مدخلاً وحيداً ومنها معبد الإله سين الطبقــات VI-X(مخططــات٣٥-٣٩)[٣]. والمعبــد البيضوي(مخطط٢٧)[٤]. في خفاجة ومعبد شارة في تل أجرب(مخطط٤٨)[٥]. والمعبد المربع للإله آبو في تل اسـمر (مخطــط٦١)[٦]. ومعبــد الإلهــة عشــتار فــي أشــور الطبقتــين G-H(مخطط٤١-٤٢) [٧].

إلا أن هناك عدداً من المعابد ضمت مخططاتها أكثر من مدخل خارجي واحــد وقــد دفعت الضرورات الوظيفية إلى إيجادها كالحاجة إلى وجود مدخل ثانٍ يؤدي إلى بعض مرافق المعبد كما في معبد ننتو في خفاجة إذ ضم المعبد مدخلين يؤدي كل واحد منها إلى جزء مــن المعبد(مخطط٤٧)[٨]. أو أن وجود هذه المداخل كان لأغراض إتمام عملية البناء في المعبد ثم ثم تلغى بعد اكتمالها كما في موضع المدخل القديم في معبد الإله سين الطبقة X في خفاجة[٩].

---

(1) Frankfort, Op.Cit, P.7.

(٢) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥أ، ص٢٨.

(3) OIP.58, P.44,46,59,71,74.

(4) OIP.53, P.21.

(5) OIP.58, P.262.

(6) Ibid, P.176.

(٧) اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦أ، ص٤٦.

(8) OIP.58, P.86.

خفاجة[١]. وكذلك في معبد الإلهة عشتار الطبقة VIII في نيبور حيث ضم المعبد ثلاثة مداخل وتقلص عددها إلى ٢ في الطبقة VIIb(مخطط٢٥) وربما كان بعض هذه المداخل مخصص للكهنة كما في نظيراتها في حجرة المابين أو قد تفرد بعض المداخل للنشاطات الخاصة بالمعبد[٢].

أما في عصر سلالة أور الثالثة ومع ظهور نظام المحور المستقيم واعتماده بدرجة كبيرة على رمزية المدخل فقد احتوت معابد هذا العصر على مدخل وحيد أقيم في الغالب عند منتصف الضلع القصير منها كما في معبد شو-سين في تل اسمر(مخطط٢٩) [٣] ومعبد الإله انكي في أور(مخطط٣٠)[٤].

أما في العصر البابلي القديم وبالرغم من استمرار اعتماد نظام المحور المستقيم في عمارتها إلا أن عددا من أبنية المعابد احتوت على أكثر من مدخل ويعود سبب كثرة هذه المداخل إلى سعة مساحة هذه المعابد واعتمادها على مبدأ التناظر في تخطيطها مع التركيز على موضع المدخل الرئيس فيها، كما في معبد الإلهة عشتار كيتيتوم(مخطط٤٠)[٥]. ومعبد تل الرماح(مخطط٥٨)[٦]. ومعبد الإله أشور في مدينة أشور(مخطط٣٤)[٧].

نظام الدخول[٨].

نال نظام الدخول إلى الوحدات العمارية اهتماماً خاصاً منذ فترة مبكرة وتتضح معالم هذا الاهتمام من خلال الأساليب التي اعتمدها المعمار في تنظيم عملية الدخول إلى الوحدات السكنية والتي تحددها جملة من العوامل يقف في مقدمتها العامل الوظيفي والبيئي والاجتماعي، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عدد من نماذج هذه الأنظمة كان منها المدخل العلوي أو مدخل السقف وهو مدخل افتراضي لا توجد أدلة مادية عنه إلا أن عدداً من الباحثين يميل إلى ترجيح وجوده في عدد من المباني التي خلت بقاياها العمارية من أي أثر لفتحات المداخل

---

(1) Ibid, P.74.

(2) Zettler, Op.Cit, P.31.

(3) OIP.43, P.11.

(4) UE.VII. P.64

(5) OIP.98, P.36f.

(6) Oates, Op.Cit(1967), P.81f.

(٧) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٦.

(٨) حول طبيعة نظام الدخول المعتمد في المعابد العراقية يراجع الجدول رقم (٢).

الأرضية[١]. ويحقق هذا النظام جملة من الفوائد لشاغلي المبنى في مقدمتها توفير الأمن لهـم لأنه يعمل على حجب موضع المدخل فضلاً عن منع دخول الحيوانات إلى المبنى. ومن أمثلة هذا النظام المباني الدائرية والمضلعة المكتشفة في قرية نمريك[٢]. وأبنية المخازن المكتشـفة في موقع أم الدباغية العائدين للعصر الحجري الحديث[٣]. واستخدم كذلك نظام الدخول المرفق المرفق بحاجز انتقالي وفي هذا النظام لا تفتح المداخل بصورة مباشرة على مرافـق البيـت الداخلية وإنما على فضاء عماري بدأت ترصد أشكاله المتنوعة منذ فترة مبكرة فـي مختلـف المباني السكنية والمخزنية ولاحقاً الدينية[٤]. ويُعد هذا النظام تطوراً في التصميم العماري الذي الذي يلبي حاجات وظيفية في النواحي الأمنية والبيئية والاجتماعية والدينية[٥]. وقـد تنوعـت أشكال هذه الحواجز الانتقالية بين الحجرات الكاملة والدهاليز الخارجية أو الداخلية[٦]. وعـن هذا النظام ظهر ما أصطلح عليه بنظام المحور المنكسر الذي يقوم بتغيير مسار الداخلين إلـى المبنى.

أما في أبنية المعابد فقد حاز نظام الدخول إليها والكيفية التي يتم الوصول بهـا إلـى الحجرة المقدسة على اهتمام المعمار حتى غدا نظاماً متكاملا تعكس ثناياه قيماً دينيـة تتجلـى أبرز مظاهرها في عملية تنظيم الحركة والانتقال داخل المعبد وما يرافقها من طقوس تبدأ من المدخل، ومن خلال عشرات مخططات المعابد المكتشفة خلال التنقيبات ميز البـاحثون بـين صنفين هما:

نظام المحور المنكسر

---

[١] أيدت هذه الفرضية ما كشفته التنقيبـات الأثريـة فـي أبنيـة موقـع جتـل هيـوك فـي الأناضـول. الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٠.

[٢] قرية نمريك: تقع على بعد ٢٥كم جنوب مدينة دهوك وقد نقبت فيها العديد من البعثـات الأجنبيـة وقـد أسفرت عن كشف أولى مستوطنات ما قبل الزراعة والتي يعود تاريخها إلى ٨ آلاف عام قبل الميلاد(شكل١).
Kozlowski, E., et.al.,"Fourth Report On the Excavations of the Prepottery Neolithic Site Nemrik 9 Polish Archaeological Mission", SUMER, Vol.46(1989-1990), p.52.

[3] Kirkbride, D.,"Umm Dabaghiyah 1973: a third preliminary report", IRAQ, Vol.35(1973), P.206.

[٤] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٣.

[٥] حول وظيفة حجرة المدخل في أبنية المعابد يراجع المبحث الثاني من هذا الفصل.

[٦] للمزيد يراجع: الشيخ، المصدر نفسه، ١٩٩٥، ص١٨٣-١٨٧.

يفرض هذا النظام على الشخص الداخل الاستدارة بمقدار ٩٠ درجة للوصـــول إلـــى وحدات البناء ويستخدم في تطبيق هذا النظام البعد الطولي للبناية أو بؤرة العبادة فـــي أبنيـــة المعابد سواء كانت موضع الحجرة المقدسة من البناء أو موضع دكة الإله فيها[١]. وقد أُستخدم هذا النظام في العمارة العراقية القديمة منذ فترة مبكرة تعود إلى نهايات الألف الســـادس قبـــل الميلاد حيث كشفت التنقيبات الأثرية في الضلع الشمالي الغربي مـــن الســـور الـــذي يحـــيط بمستوطن تل الصوان عن مدخل يقع في الجانب الشرقي يبلغ عرضه ١.٥م ويتصف بصفات دفاعية متطورة قياساً إلى الزمن الذي أنشأ فيه، فهو مدخل مزور والداخل إلى المســـتوطن لا يمكن أن يدخل مباشرة وبصورة مستقيمة بل عليه أن يدخل أول الأمر إلى ممر باتجاه الجنوب الغربي ثم ينحرف إلى اليسار بزاوية قائمة ويدخل إلى المستوطن باتجاه الجنوب الشـــرقي[٢]. وان لهذا النوع من التخطيط فوائده الأمنية إذ أنه يجبر المهاجمين على الانحراف إلـــى جهـــة اليسار مما يعرض الجهة اليمنى للمهاجمين الخالية من التروس لضربات المدافعين فضلاً عن قيامه بامتصاص زخم المهاجمين والحد من قوة اندفاعهم، وحمايـــة البوابـــة مـــن التعـــرض لهجمات أسلحة دك البوابات إذ لا تكون البوابة في المدخل المزور مواجهة للجـــيش المهـــاجم وإنما تكون مقابلة للجهة المجاورة للسور[٣]. كما أستخدم هذا النظام أيضا في المباني الســـكنية لإغراض الحماية البيئية مع توفير زيادة في الستر للساكنين[٤].

وقد أُستخدم هذا النظام في عمارة المعابد العراقية القديمة منذ عصر فجر الســـلالات وأستمر استخدامه خلال العصور اللاحقة إلى جانب نظام المحـــور المســـتقيم ومـــن نمـــاذج مخططات المعابد المعتمدة لهذا النظام في الدخول الى المعبد الطبقات VI-X في معبد ســـين (مخططات٣٥-٣٩) والمعبد البيضوي(مخطط٢٧) فـــي خفاجـــة، ومعبـــد شـــارة فـــي تـــل اجرب(مخطط٤٨) ومعبد الإلهة عشتار الطبقة VII-VIII في نيبور (مخطط٢٥) ومعبد الإلهة عشتار الطبقة G-H في أشور (مخطط٤١-٤٢) وأعتمد هذا النظام كذلك في الـــدخول إلـــى الحجرة المقدسة في المعابد ذاتها.

نظام المحور المستقيم

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص٣٠٤.

[٢] جورج، المصدر السابق، ص٥٨.

[٣] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٨.

[٤] المصدر نفسه، ص١٨٩.

اتبع نظام المحور المستقيم في عمارة العديد من المعابد العراقية القديمة، ويقوم هـذا النظام على أساس تتابع مداخل الوحدات العمارية الأساسية للمعبد على محور واحـد مسـتقيم يبدأ من المدخل الرئيس للمعبد مروراً بحجرة المدخل والفناء الداخلي ومن ثم حجرة المـابين وانتهاءً بأهم جزء في المبنى الحجرة المقدسة[١]. لكن هذا النظام الذي يؤمن وصـولاً يسـيراً للمتعبدين إلى داخل المعبد قد يتنافى مع مكانة الإله وقدسية موضعه الذي كان محاطاً بقدر من الخصوصية أبقته بعيداً عن الأنظار وهذا ما دلت عليه عدد من النصوص العائدة إلى الألـف الثاني قبل الميلاد ومنها المفردة السومرية ITIMA والتي يرادفها في اللغة الاكدية الكلمـة kissu وتعني الحجرة المظلمة[٢].

ظهر هذا النظام بشكل واضح في مخططات المعابد العائدة لعصر سلالة أور الثالثة إذ أستخدم في معبد الإله انكي(مخطط٣٠) وكذلك في الجزء الجنوبي من بناية كيك-بار-كو في أور(مخطط٣١)، كما أستخدم أيضاً في معبد شو-سين في تـل اسـمر(مخطط٢٩). وأسـتمر اعتماد هذا النظام في تخطيط المعابد خلال العصر البابلي القديم وانتشرت نماذجه في العديـد من معابد ذلك العصر ومنها معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل(مخطط٣٢) والحجـرة الرئيسـة لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي(مخطط٤٠) وكذلك في الحجرة المقدسة لمعبد الإلهـة گولا في آيسن(مخطط٥٧) واستخدم هذا الطراز من التخطيط في معبد تل الرماح(مخطط٥٨) ومن خلال ما تقدم يمكن مقارنة كلا النظامين في أبنية المعابد عبر النقاط التالية:

١- يعزى ظهور نظام المحور المنكسر في أبنية المعابد الى الرغبة في زيادة مقدار التـأثير النفسي لدى المتعبدين من خلال جعلهم في حالة ترقب لاستقبال الوحدة العماريـة التاليـة وصولاً إلى الحجرة المقدسة، وفضلاً عن إن نظام المحور المنكسر ذا طبيعة اجتماعيـة وبعد دفاعي وهذا ما دفع بالمعمار إلى استخدامه في الدور السكنية وفي بوابات المدن، أما في نظام المحور المستقيم فيشير **رويتر** أن ظهور هذا النظام يعزى إلى تجلي الإله إلـى العالم الدنيوي في حجرته المقدسة عبر المدخل الرمزي الذي تمثله الكـوة فـي الحجـرة المقدسة والتي تكتنف دكة الإله[٣].

٢- يعمل كلا النظامين على إثارة مدارك المتعبدين العاطفية عبر إخضاعهم لنظـام دخـول محدد.

---

[١] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١.

[٢] CAD "K", P.433^{b}.

[٣] Reuther, O., "Merkes die innenstadt von Babylon", WVDOG.47, Leipzig(1926), P.141.

٣- أقيم كلا النظامين وفق تخطيط مسبق ولم يكن وجودهما ذا صفة تجريبية، وهو ما نلاحظه في مخططات المعابد التي اعتمدت المحور المنكسر أو المحور المستقيم.

٤- أرتبط كلا النظامين بوجود أبرز جزء في البناء أو بؤرته وهي الحجرة المقدسة وتمثال الإله وعلى أساسها تنظم محاور البناء والدخول(شكل٦٤).

٥- أعتمد كلا النظامين على توجيه حركة الشخص الداخل إلى المعبد بما يتفق مع نظام الدخول المتبع، ففي معابد المحور المنكسر تحدد حركة الشخص عند اجتياز مدخل المعبد وذلك عبر الالتفاف يميناً أو يساراً للوصول إلى الوحدات التالية من البناء وقد يتم تطبيق النظام ذاته عند الدخول إلى الجناح المقدس، أما في معابد المحور المستقيم فيعمل تتابع المداخل المحوري للوحدات العمارية على تحديد خط سير مستقيم باتجاه موضع الإله(شكل٦٤).

٦- لعبت المداخل وترتيب مواضعها دوراً أساسياً في تطبيق كلا النظامين وذلك عبر وضع هذه المداخل وفق أسلوب معين تُحدد بموجبه حركة الشخص وفق نظام الدخول المعتمد في المعبد، ففي معابد المحور المستقيم توضع المداخل بصورة متقابلة، أما في معابد المحور المنكسر فإن أحد المداخل أو أكثر لا يقع على محور المدخل الرئيس للمعبد(شكل٦٤).

٧- تعد حجرة المدخل عنصراً أساسياً في كلا النظامين على الرغم من إمكانية الاستغناء عنها في نظام المحور المنكسر والاعتماد على الوحدات العمارية الأخرى في تطبيقه.

٨- إن نظام المحور المستقيم هو نظام متكامل ولا يمكن تنفيذه بشكل جزئي حيث تشترك في تحقيقه وحدات المعبد الأساسية جميعها ابتداءً من حجرة المدخل والفناء الداخلي وحجرة المابين وصولاً إلى الحجرة المقدسة، بينما لا يعتمد تحقيق نظام المحور المنكسر على مخطط المعبد بالكامل بل أجزاء منه ويتميز بإمكانية تنفيذه في أكثر من موضع في المعبد(شكل٦٤).

٩- إن أسلوب الدخول المباشر في نظام المحور المستقيم يكون أكثر تقيداً والتزاماً من المحور المنكسر في الوصول إلى بؤرة البناء (الحجرة المقدسة) حيث أن تتابع المداخل في المحور المستقيم يؤدي حتماً إلى الحجرة المقدسة، بينما يُتيح نظام المحور المنكسر بعد اجتيازه حرية الوصول إلى الحجرة المقدسة أو أي مرفق آخر(شكل٦٤).

عمارة المداخل

تتألف المداخل من الناحية التصميمية والإنشائية من عدة أقسام يــرتبط بعضــها مــع بعض وفق تصميم خاص تراعى فيه الدقة والمتانة وتجعل منها وحدة عمارية متكاملــة، ذات مظهر صلد وميكانيكية حركية مطاوعة مما يجعل بالإمكان تحريك بعض أقســامه لغــرض فتحها أو غلقها عند الحاجة ومن أهم أقسام المداخل سواءً كان في المعبد أو أي مرفق عماري آخر هي الصنارات والعتبات والعضادات والاسكفة ومصاريع الأبواب والعقود والأبراج[١].

أ- الصنارات

تُعد الصنارات جزءً مهماً من أجزاء المدخل المادية وهي عبارة عن قطــع حجريــة توضع عادة بمستوى الأرضية أو دونها بسنتمترات، وغالباً ما يتوسط وجه هذه الحَجرة فتحة دائرية الشكل مقعرة تمثل نقطة الارتكاز التي ينتصب عليها ويدور فيها عمود البــاب الــذي ينتهي بغلاف نحاسي يعد تلبيسة أو كسوة تقي العمود من التلف أثناء الاستخدام(**شــكل٦٥**)[٢]. ولتسهيل حركة عمود الباب داخل الصنارة فقد كانت نهاياته تدهن بالزيت[٣] وكانــت حجَــرة الصنارة توضع داخل صندوق أو فوق قاعدة رصاصية تُحاط بِكسر من الآجــر أو الحصــى للمحافظة عليها. وتُعد هذه الصنارات من أنواع أحجار الأسس التي استخدمها الملوك بشــكل عام لتدوين كتاباتهم التذكارية في البناء والتعمير والتي كانت توضع عند زوايا المعبد وتحــت المداخل[٤]. وقد وردت العديد من التسميات للإشارة إلى صنارات الأبواب وأجزائها نذكر منها المصطلح السومري $^{GIŠ}U_4$.SAR.IG ويقابلها في اللغة الاكدية المصــطلح sāhiru وتعنــي الصنارة السفلى موضع جلوس الباب[٥].

---

[١] الاعظمي، محمد طه محمد،"<u>الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة</u>"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص٢٨٠.

[٢] الحامد، سعاد عائد،"<u>الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة على صنارات الأبواب</u>"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل،٢٠٠٣، ص٤.

[٣] ترد مادة الزيت بصفة شهرية ضمن حسابات القرابين المقدمة إلى معبد ننكال في مدينة أور. يراجع:
Figulla, <u>Op.Cit</u>, P.91.

كما تذكر أحد النصوص نوعاً آخر من الزيوت وهو Ì.GU.LA ويعني الزيــت المعطــر وكانــت الغايــة منــه طــرد الأرواح الشــريرة وقــد اتبعــت هــذه الطقــوس فــي وضــع أحجــار الأســس الأخــرى (ســكبت الزيــت علــى عتبــات الأبــواب وأقفالهــا ومزاليجهــا sip-pu ši-ga-ri me-di-lu-u ^{GIŠ}IG^{MEŠ}Ì.GU.LA.A). الحامد، <u>المصدر السابق</u>، ص٢٠.

[٤] للمزيد يراجع: العلوش، إيمان هاني،"<u>كتابات الأسس المسمارية في بلاد الرافدين</u>"، رسالة ماجســتير غيــر منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص٥٢.

[٥] <u>CDA</u>, P.312^a.

للمزيد حول التسميات التي أُطلقت على الصنارة والأجزاء المكونة لها يراجع:الحامد، المصدر السابق، ص٦.

تنوعت المواد المستخدمة في صناعة صنارات الأبواب كان أهمها وأكثرها انتشـــاراً الأحجار بمختلف أنواعه وكانت تتسم جميعها بصلابة عالية لتحمل ثقل الباب وعمود ارتكازه، ومن أبرز أنواع الأحجار المستخدمة فيها حجر الديورانت والذي أستخدم خلال عصر فجـــر السلالات والعصر الاكدي وعصر سلالة أور الثالثة، أما في عصر آيسن-لارسا فقـــد شـــاع استخدام الكرانيت الأسود المعرق بالأخضر أو الأصفر، وفي العصر البابلي القـــديم أســـتخدم الديورانت فضلاً عن الكلس، أما في العصور الأشورية فقد شاع استخدام أنواع عديـــدة مـــن الأحجار خاصة أحجار الكلس والبازلت، وإلى جانب هذه الأحجار هناك مواد أخرى صـــنعت بها الصنارات كالآجر وثمة صنارات أبواب مصنوعة من الفخار أو الجبس وتكـــون مثقوبـــة بثقب نافذ وغالباً ما يكون هذا النوع مستخدماً في منازل العامـــة كمـــا اســـتخدمت المعـــادن كالنحاس في صناعة نماذج أخرى منها[١].

يرتبط بالصنارات عدد من الأجزاء المكملة لها والتي تساعد على أداء وظيفتها وتعمل على تحريك الباب بسهولة وهي:

أ- **عمود الارتكاز:** هو عمود يصنع من الخشب في الغالب وقد عثر على نموذج لـــه أثنـــاء التنقيبات الأثرية في مدينة أور يعود إلى عهد الملك اورنمو، إذ وجدت صنارة باب مثبتة بجوار زقورة أور في موقعها الأصلي مع بقية من أجزاء حذاء التلبيس النحاسي ويشـــير ارتفاعه البالغ ٢٥سم وقطره البالغ ٢٢سم إلى أن عمود الارتكاز فيها كان جذعاً ســـميكاً مما يرجح استخدام جذوع أشجار النخيل لهذا الغرض ومما يؤيد ذلـــك طـــول المســـامير البرونزية المستخدمة في تثبيتها(شكل٦٦)[٢].

ب-**صنارة الباب العليا:** هي عبارة عن قطع حجرية تحتوي على فتحات دائرية وهي بمثابـــة صنارة عليا للباب لكنها استخدمت بطريقة مغايرة إذ كانت تترك إحدى نهاياتها في الجدار فوق العتبة العليا للباب(الاسكفة) أو فوق دعامته، لذلك تكون نهاياتها الداخلة فـــي البنـــاء خشنة وغير مصقولة بينما كانت النهايات البارزة منها مصنوعة بصورة جيـــدة وكانـــت الثقوب المحفورة فيها لا تتجاوز ٥-٦سم ومن خلال هذه الفتحات نستنتج ســـمك عمـــود الارتكاز، ومن نماذجها المكتشفة الصنارة المصنوعة من الحجر الكلسي المكتشـــفة فـــي مدينة أشور وقد بلغ طولها الكلي ٥٩سم وقطر الفتحة فيها ٩ســـم (شـــكل٦٧) وإن هـــذه

---

[١] الحامد،المصدر السابق، ص١٥. وكـــذلك: Moorey, P.R.S., Ancient Mesopotamia Materials and industries: Archaeological evidence, USA(1994), P.340.

[2] UE.V, P.31; Dameriji, M.S.B., The Development Of The Architecture Door And Gates In Ancient Mesopotamia, Tokyo(1987), P.143.

الصنارات لم تكن مصنوعة فقط من الكتل الحجرية بل أستخدم الخشب أيضاً في صناعتها، كما أستخدم البرونز في صناعة بعض نماذجها الأخرى ومنها الصنارة المكتشفة في مدينة النمرود(شكل٦٨)[١].

ج- **صنارة الباب السفلى:** وهي كما ذُكر آنفاً قطعة حجرية تتوسطها فتحة مقعرة ليدخل فيها عمود ارتكاز الباب ويعود استخدامها إلى فترات مبكرة، إذ كُشف عن العديد من نماذجها في حسونة الطبقة IV، ومن خلال النماذج الكثيرة المكتشفة من صنارات الأبواب يتبين أن أشكالها قد تنوعت عبر العصور تبعاً لتطور الحياة الاجتماعية وانعكاسها على تطور فن العمارة والذي أدى إلى اختلاف أشكالها مع تباين الأبواب وأحجامها وهي وفق الأتي: ١- دائرية غير منتظمة ٢- مستطيلة غير منتظمة ٣- شكل حبة الفاصوليا(حصاة) ٤- مربعة الشكل ٥- مخروطية الشكل والقاعدة نحو الأعلى ٦- مزدوجة التحدب ذات أوجه غير منتظمة ٧- ذات شكل برميلي(دلو) ٨- مزهرية بدون عنق(شكل٦٩)[٢].

د- **لوح الغطاء:** هو غطاء محور صنارة الباب وهو يؤمن التوازن بين نظام الارتكاز (عمود الباب) والأرضية المجاورة، ويوصل بينهما فضلاً عن الحفاظ على المحور مفتوحاً بحيث تتحرك الدعامة(عمود الارتكاز) دون عائق، وكانت على نوعين أساسيين الأول على شكل ثلاثة أرباع الدائرة وهي عبارة عن لوح مركب من آجرتين مربعتين تشكلان جزءً من الأرضية، أما النوع الثاني فهي على شكل شبه دائري(شكل٧٠)[٣].

هـ- **صندوق الصنارة:** تم العثور على صناديق الصنارات منذ عصر سلالة أور الثالثة وقد صنعت من اللبن المستوي المحدب المخلوط بكميات قليلة من حجر الكلس، ومن صناديق الصنارات العائدة إلى العصر البابلي القديم تلك التي عُثر عليها في قصر زمري-ليم(١٧٢٢-١٦٩٠ق.م) في ماري، إذ وضعت هذه الصنارات في عمق ٩٧سم وكان الصندوق الذي يحتويها مستطيل الشكل بقياس ٦٨×٧٥سم وبعمق ٩٥سم(شكل ٧١)[٤].

---

(1) Ibid, P.144.

(٢) حول صنارات الباب السفلى يراجع: الحامد، المصدر السابق، ص٢٦. وكذلك
Dameriji, Op.Cit, P.146ff.

(٣) حول لوح الغطاء يراجع: الحامد، المصدر السابق، ص٣٨. وكذلك Dameriji, Op.Cit, P.155 .

(٤) حول صندوق الصنارة يراجع: الحامد، المصدر السابق، ص٤١. وكذلك Dameriji, Op.Cit, P.158f.

و- **تلبيسة العمود(الحذاء):** هي قطعة تصنع في الغالب من المعادن كالنحاس أو البرونــز أو من الجلد في أحيان قليلة وتستخدم لكي تغطي النهاية السفلى من عمود الارتكاز للبــاب، منعاً للتلف الذي قد يصيب المادة الخشبية نتيجة الحركة(شكل٧٢)(١).

ز- **غطاء عمود الارتكاز:** يتكون هذا الغطاء من جزئين الأول هو الواجهة الاسطوانية للقطب العلوي من عمود الارتكاز والقطعة الثانية الشبيهة بالغطاء تقع على القطــب والواجهــة للوصول إلى الفراغ الواقع بين العمود وواجهته، ولذلك ينتج منه تركيب يصبح فيه القطب العلوي مغطى تماماً وتكون الواجهة فضلاً عن جزء من قطعة النهاية العليا مثبتــة علــى الخشب بواسطة مسامير نحاسية وقد وجد هذا النوع من الغطــاء منــذ العصــر البــابلي القديم(شكل٧٣)(٢).

ب- العتبة

هي الجزء الذي يشيد أسفل مصراع الباب من الخارج وترتفع عن أرضــية المــدخل ببضعة سنتيمترات ويكمن دورها الوظيفي في كونها تستخدم كسلم صغير للانتقال بواســطتها بين الأرضيات ذات المستويات المتباينة خارج المبنى أو داخله وكذلك تقوم العتبة الخارجيــة بصد المياه والأتربة وتحول دون تسربها إلى الداخل، كما تمنع تسلل الزواحــف والحشــرات الضارة من أسفل مصراع الباب وتقوم كذلك بإسناد الأبواب من الأسفل عند إغلاقها(٣).

وردت الإشارة إلى العتبات في اللغة السومرية بصيغة KUN_4.I.Lu(٤)، ويرادفها في اللغة الاكدية المصطلح askuppātu وتعني العتبة"الأسكفة"(٥) كما ورد المصطلح الســومري $^{ZÁ}KUN_5$=tur-šè للإشارة إلى العتبة أو الدرج(٦).

---

(١) حول تلبيسة العمود يراجع: Ibid, P.162 .

(٢) للمزيد عن غطاء عمود الارتكاز يراجع: Dameriji, Op.Cit, P.166 .

(3) Ibid,P.102.

(٤) لابات، المصدر السابق، ص٩٩. العلامة:١٤٢.

(5) CAD "A" Part II, P.334[b].

تتطابق الكلمة الاكدية askuppātu في اللفظ والمعنى مع الكلمة العربية اسكفة وترد فــي المعــاجم اللغويــة العربية أن الأُسْكُفّةُ والأَسْكُوفةُ هي عَتَبةُ البابِ التي يُوطَأُ عليها، على عكس ما هو شائع بان العتبة هي الكتلة البنائية أسفل مصراع الباب والاسكفة أعلاه. يراجع: ابن منظور، لسان العرب، مجلد١٥، مادة سكف.

(٦) لابات، المصدر السابق، ص١٠١. العلامة ١٤٤.

تُعد العتبة من أهم أجزاء المدخل البنائية ليس لدورها الوظيفي فحسب بل لما امتازت به من صبغة طقوسية تأصلت مع البخت والطالع حيث كانت تمثل في اعتقادهم الحد المـــادي الذي يفصل المعبد عن الوسط المحيط به، فيجعله في إطار روحي من النقاء والطهارة لــذلك يتوجب على الداخل إلى المعبد أن يجتاز المدخل دون أن تطأ قدماه عليها ليس لقدسيتها فقــط بقدر قدسية المكان الذي تفضي إليه[1]، فالمتعبد الذي يدخل المعبد يجب أن يستشـــعر رهبـــة وهيبة المعبد ويبدي الاحترام المطلوب وان هذا الشعور يتولد لديه عند اجتياز العتبـــة وفـــق طقوس معينة، فتنتقل مدارك المتعبد الحسية والفكرية إلى جو روحي في حضرة الإله.

وقد نالت العتبات أهمية كبيرة لدى معماري المعابد بشكل خـــاص، إذ شـــيد بعـــض نماذجها من الفضة أو البروز وحتى الذهب إذ ترد أشارات إلى أن عتبة معبد ننماخ في بابـــل كانت مصنوعة من الذهب وكانت عتبة معبد ايزيدا في بورسبا برونزية[2] وقد ورد عدد مـــن النصوص المسمارية أن بعض هذه العتبات كانت تغطى بصـــفائح معدنيـــة براقـــة ويـــذكر سين-آخي-اريبا (سنحاريب) انه قام بأكساء عتبة أحد الأبواب بالفضة من نوعية ثمينة[3]. كما حملت بعض عتبات المعابد أو القصور كتابات تؤرخ عملية البناء أو التجديد التي قـــام بهـــا الملوك، ويدفن أسفل منها أحجار الأسس.

كانت العتبة تشيد بالمواد نفسها المستخدمة في البناء حيث كانت تبنى من اللبن والآجر في مناطق وسط وجنوب العراق أو تبنى من الحجارة في المناطق الشمالية منه وترتفع العتبة بصف أو صفين من صفوف البناء وتنشئ من أسس البناء نفسه وقد يستخدم القار في تغليـــف بعض العتبات المشيدة من اللبن أو الأجر وتعود أقدم نماذج العتبات المكتشـــفة إلـــى عصـــر

---

[1] نجد مثل هذه الطقوس تقام في المعبد الكبير في مدينة الحضر حيث كان على المتعبد أن يخلع نعليـــه ثـــم يدخل إلى المعبد. يراجع: سفر، فؤاد، مصطفى، محمد علي، الحضر مدينة الشمس، بغـــداد، ١٩٧٤، ص٤٣. وقد تناولت ثقافات الكثير من الشعوب دور العتبة في البيت أو دور العبادة أو أي نوع أخـــر مـــن المبـــاني واستمرت هذه التقاليد حتى وقتنا الحاضر، حيث كان يجري لها احترامات أو ركوعات وتلمس باليد بكل == == ورع وللعتبة حراسها من الإلهة والأرواح التي تدافع عن المدخل كما تمنع سوء نية الأشـــخاص وكـــذلك القوى الشريرة وعلى العتبة تقدم الأضاحي. للمزيد يراجع: الياد، المصدر السابق، ص٢٨.

حول طبيعة الطقوس التي تقام عند عتبات البيوت يراجع: فريزير، جيمس، الفلكلور في العهد القديم، ترجمة: نبيلة إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٢، ص٧٣-٨٤.

[2] كولدفاي، المصدر السابق، ص١٦.

[3] CAD "A", Part II, P.332^b.

حسونة في موقع حسونة الطبقة الثالثة[١]، وعثر على عدد من نماذجها في أبنية المعابد منها العتبات المكتشفة في معبد تل سليمة وكانت مبنية من الآجر[٢]. وكذلك كشف عن عتبات مبنية من الآجر في المعبد الصغير المزدوج في تل حرمل[٣].

ج- العضادات

هي الجزء الذي يتصل به مصراع الباب من جانبي المدخل وتؤلف الإطار المحيط بالباب وتعمل قائمتيه الجانبية على إسناد عارضة الباب وتسهل عملية فتحها وغلقها وكذلك لكي تحمي فتحة المدخل[٤]، ويُطلق عليها في اللغة السومرية مصطلح $ZAG.DU_8$ ويرادفها في اللغة الاكدية مصطلح sīppum[٥]. أما الجزء العلوي من إطار الباب فيطلق عليه أسم gištalû[٦]. ويُطلق على الجزء الأسفل منه تسمية kanakkum وتعني غلق أو سد أو ختم[٧]. ختم[٧].

وكانت هذه العضادات تبنى من مواد عديد أهمها الحجر وتنحت في بعض الأحيان من كتلة حجرية واحدة كما قد يستخدم الآجر أو الخشب أو الاثنان في بنائها، وقد روعي في بنائها توفير عاملي القوة والمتانة لكي تتحمل ضغط الجدران على فتحة المدخل وتقاوم الاستعمال المستمر لحركة الأبواب[٨]، وكان ينقش على العديد من هذه العضادات طلاسم سحرية خاصة على بوابات المدن والمعابد والقصور لتؤمن لها الحماية من الأرواح الشريرة وهي امتداد لفكرة دور العتبة في الطقوس الدينية[٩].

د- مصاريع الأبواب

يقصد بمصاريع الأبواب هي الأجزاء المتحركة التي تغطي فتحات المداخل وتعد من أهم أقسام المدخل كونها توفر الستر والخصوصية للساكنين في المبنى عبر غلقها فضلاً عن

---

(1) Dameriji, Op.Cit, P.102.

(٢) رميض، المصدر السابق، ص٤٢٠.

(٣) ناجي، المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٤) الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٢٨٢.

(٥) لابات، المصدر السابق، ص١٥٣. العلامة: ٢٣٢.

(6) CAD "G", P.109[a].

(7) CAD "K", P.135[a].

(٨) للمزيد يراجع: Dameriji, Op.Cit, P61ff.

(٩) لايك، المصدر السابق، ص١٨٩.

دورها الدفاعي في تأمين الحماية ومنع دخول الغرباء، وتتضح أهمية دورها الـدفاعي عنـد بوابات المدن بشكل خاص لذلك فقد اعتنى المعمار بصناعتها وتقويتها وجلب لأجل ذلك أفضل الخامات الداخلة في تصنيعها كالأخشاب والمعادن[١]. وقد وردت الإشارة إليهـا فـي اللغـة السومرية بصيغة ^{giš}IG والتي يرادفها في اللغة الاكدية المصطلح daltu وتعنـي مصـراع الباب أو الحاجز[٢].وقد وردت تسمية خاصة للإشارة إلى الباب ذو المصراعين إذ ذكـر فـي اللغة السومرية بصيغة ^{giš}IG.MAŠ/TAB.BA ويرادفه في اللغة الاكديـة muterretu[٣]. وفي بعض الأحيان تضاف تسميات أخرى لغرض تخصيص نوع الباب فقد كان يُطلق علـى مصاريع أبواب المدينة مصطلح ^{giš}IG.KA$_2$.GAL ويرادفه في اللغـة الاكديـة مصـطلح dallat abulli[٤].

وتصنع مصاريع الأبواب بصورة عامة من الأخشاب وبأشكال وأحجام مختلفة تتبـاين من مدينة إلى أخرى ومن عصر إلى أخر ومن بناية إلى أخرى ففي أبنية المعابد غالبـاً مـا تكون بواباتها محط عناية واهتمام من لدن القائمين على إنشائها فكانت تصـنع مـن أنـواع مختارة من الأخشاب الثمينة وبخاصة خشب الأرز[٥]. إذ تصف ترتيلة للملك كوديا بمناسـبة تجديده بناء معبد الخمسين للإله ننكرسو في البيتين ٧٢٢-٧٧٣ اسـتخدام هـذا النـوع مـن الأخشاب في المعبد (أبواب الأرز التي وضعت في المعبد تشبه إله الطقس الهادر بالسماء)[٦].
بالسماء)[٦].

لم يقتصر صنع مصاريع الأبواب على الأصناف الثمينة من الأخشاب بل كانت هناك مصاريع بشكل ستائر نسيجية توضع على فتحات المداخل، إذ تظهر طبعة خـتم تعـود إلـى عصر الوركاء استخدام هذا النوع من الستائر المصنوع من نسيج القصب في الغالب، وتَظهر نماذج هذه الستائر مستخدمة في الحجرات المقدسة الخاصة بالإلهة عشتار وهذا ما تدل عليـه احد رموز هذه الإلهة (شكل١٠)[٧].

---

(1) Kubba, Sh.A.A, "Mesopotamia Architecture and Town Planning", Part I London(1987), P.150.

(٢) لابات، المصدر السابق، ص٧٥. العلامة:٨٠ .

(٣) الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٢٨٠.

(٤) لابات، المصدر السابق، ص٧٥. العلامة:٨٠.

(٥) الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٢٨١.

(6) RIME, Vol.3/I, P.87.

(7) Black, Op.Cit, P.153.

كما تذكر النصوص المسمارية تسميات لأصناف أخرى من المواد التي صُنعت منهـا مصاريع الأبواب فتشير إحدى التسميات في اللغة السومرية إلى استخدام أليـاف أو سـعف النخيل في صنعها ^{giš}IG.ZÉ.NA ويقابلها في اللغة الاكدية dalat zinê بينما وردت التسمية السومرية ^{giš}IG.A.GAR والتي تقابلها في اللغة الاكدية dalat kišši للإشارة إلى مصـاريع الأبواب المصنوعة من صفوف القصب المربوط مع بعض[١]. وان هذا الصنف من الأبـواب يفترض استخدامه بوفرة في الحجرات الداخلية للمباني إذ عثرت التنقيبات في العديد من أبنية المعابد والدور السكنية على طبعات للقصب وجدت على الجـدران بـالقرب مـن الأبـواب المجاورة لها ومن المرجح أن هذه الطبعات تعود لأبواب أو سـتائر صـنعت مـن القصـب واستخدمت لغلق المدخل[٢]. وقد عُثر في المعبد البيضوي على مثال ملفت للانتباه إذ وجد في الحجرة رقم (١٠) العائدة للفترة البنائية الأولى من المعبد على جدار تقسيم للحجرة مصـنوع من القصب وقد كسيت جوانبه بالطين السميك وان مثل هذه التطبيقات لم تكن مقتصرة علـى فصل الجدران بل استخدمت كذلك عند مداخل الحجرات[٣]. كما عثرت التنقيبات الأثرية فـي مدينة أور على مثال فريد للجزء السفلي من باب مصنوع من القصب وجد عند مدخل مصلى ننشابور (شكل ٧٤)[٤].

كما يمكن استنتاج استخدام صنف أخر من مصاريع الأبواب يعود للفترات المبكرة من استخدام هذا العنصر من خلال طبعات الأختام ويُظن أنها مصنوعة مـن جلـود الحيوانـات وكانت هذه الجلود تشـكل طبقـة البـاب وتـدعم بواسـطة أعمـدة خشـبية تـربط بهـا بإحكام(شكل ٧٥)[٥].

وتعكس عدد من طبعات الأختام أسلوب التزيين المتبع علـى الواجهـات الخارجيـة لمصاريع الأبواب والتي كان قوامها زخارف هندسية تصنع من مادة الباب ذاتـه أو تضـاف إليها لاحقاً كألياف القصب ومن المحتمل أن تكون هذه الزخارف ملونة(شـكل ٦١و ٦٢) وفـي

---

[١] لابات، المصدر السابق، ص٧٥. العلامة: ٨٠.

[2] Dameriji, Op.Cit, P.128.

[3] OIP.53, P.94.

[4] UE.VII, P.143.

[5] Heinrich, Op.Cit, P.26.

العصور اللاحقة كانت بعض مصاريع الأبواب تكسى بصفائح معدنية برونزية أو نحاسية في الغالب وتزين بمشاهد فنية أو تطعم بالأحجار الكريمة[١].

هـ- الاسكفة (العتبة العليا)

مصطلح يُطلق على العارضة الممتدة عند سقف المدخل وتعلو مصراع الباب، وتعمل كجسر يحمل أثقال الحائط الذي يعلوها وتستخدم الأجزاء السفلى الناتئة كحاجز لمصراع الباب وبذلك فان غرضها إنشائي. وأستخدم الخشب والحجر في إنشائها وحتى الآجر وقد وردت الإشارة إليها في النصوص المسمارية في اللغة السومرية بصيغة I.LU.KUN_4[٢]. وترادفها في اللغة الاكدية صيغة askuppātu وتعني الأسكفة[٣]. وقد أستعمل هذا العنصر في عمارة مداخل أبنية المعابد العراقية. ويمكن أن يبنى عقد فوق الأسكفة ليخفف ثقل البناء عنها وقد يوضع صف إضافي فوق الصف الأول ليساعد في ثباتها وتحملها لثقل البناء فوقها، أو قد يُستغنى عن الاسكفة باستخدام العقود، وفي العادة ينقش على هذا العنصر كتابات أو زخارف يراد منها صد الأرواح الشريرة عن ساكني البناء وان هذا التقليد مازال مستمراً حتى وقتنا الحاضر. ومن أجمل نماذج الأسكِفة المكتشفة في المعابد العراقية القديمة اسكفة مدخل الجناح المقدس في معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد المصنُوعة من لوحة نحاسية تبلغ أبعادها ٢.٣٨× ١.٧٠م نُقش عليها نحت بارز يمثل منظراً لنسر برأس أسد جاثم فوق غزالين[٤].

و- العقد

يعد العقد من العناصر العمارية المهمة المستخدمة في عمارة مداخل المباني بصورة عامة[٥]، والعقد عنصر عماري مقوس يعتمد على نقطتي ارتكاز تشكل عادة فتحات للبناء أو تحيط به ويبنى عادة من اللبن أو الآجر أو قطع من الحجر أسفينية الشكل تَسندُ الواحدة الأخرى

---

[١] عُثر على العديد من بقايا أبواب تعود إلى العصر الأشوري الحديث وقد كسيت مصاريعها وعضاداتها بصفائح نحاسية زَينت أبواباً في مدن بلاوات وخرسباد وبروسبا. للمزيد حول بوابات بلاوات البرونزية يراجع: Curtis, J. E.; Talls, N., The Balawat Gates of Ashurnasirpal II, London(2008)

[٢] لابات، المصدر السابق، ص٩٩. العلامة: ١٤٢.

[3] CAD "A", Part II, P.334[a].

[٤] يراجع المبحث الثاني من الفصل الخامس صفحة ٢١٣ وكذلك الشكل (١٢٤) .

[٥] المنمي، ثاري خليل كامل،"أهم العناصر البنائية في أبنية العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص٢٣.

وتبنى بشكل انحناء معين وتسند النهايتان بدعامتين، إن استعمال العقد في البناء له خصـــائص هندسية وفنية متميزة ، يأتي في مقدمتها قدرة هذا العنصر على تحمل ثقل الجدار فوق فتحات البناء لكونه يقوم بتحويل القوى العمودية الناتجة عن ثقل الجدار إلى قوى جانبية، أي ينقل ثقل الجدار إلى الدعامات الجانبية للعقد(شكل٧٦)[١]. وبذلك فأن العقد يجعل الباب أكثـر تماســكاً ومتانة ويضفي عليه زينة جذابة. كما يغني عن استخدام بعض المواد غير المتوفرة في عملية البناء كبديل عند تنفيذ العقد، ومنها الخشب والأحجار، لذا فإن هذا العنصـر العمـاري يعـد اقتصادياً بالدرجة الأولى ويعوض عن استخدام مادتي الخشب والحجر، لذا كان المعمار موفقاً ومبتكراً بلجوئه إلى استخدام العقد في عملية البناء[٢].

ووردت الإشارة إلى العقد في اللغة السومرية بصيغة GILIM[٣] وأســتخدم كــذلك المصطلح السومري GAM ويعني الالتواء أو الانحناء[٤] وتقابلها في اللغة الأكديـة مفـردة kapapu وتعني التقوس أو العقد في البناء[٥].

ويتكون العقد من مجموعة أجزاء لكل جزء مصطلح يدل عليه وهي كالآتي(شكل٧٧):

١- **مفتاح العقد :** تمثل قطع اللبن أو الآجر الوسطي في قوس العقد.

٢- **صنجة العقد:** وتمثل قطع اللبن أو الآجر أو الحجر التي تؤلف الجزء الأساس من العقد[٦].
العقد[٦].

٣- **تتويج العقد:** وهو المنحنى الخارجي للعقد، ويسمى أيضاً تجريد العقد.

٤- **رجل العقد:** وهو الجزء الذي يرتكز عليه خصر العقد.

٥- **تنفيخ العقد:** وهو السطح الأسفل لمنحنى العقد ويدعى أيضاً بطن العقد.

٦- **خصر العقد:** وهي الصنجة الأولى التي تبدأ بها استدارة العقد.

٧- **بحر العقــد:** هي فتحة العقد أو اتساعه وتسمى الفضاء وهو المسافة الأفقية بين خصـــري العقد.

٨- **تاج العقد:** الجزء العلوي من مفتاح العقد.

---

[١] بقاعين، حنا، معجم العمارة، الجزء الأول، بغداد، ٢٠٠٣، ص٥٥.

[٢] المنمي، المصدر السابق، ص٢٨.

[٣] لابات، المصدر السابق، ص٦٥. العلامة:٦٧.

[٤] المصدر نفسه، ص١٦٧. العلامة:٣٦٢.

[5] CDA, P.147[a].

[٦] المنمي، المصدر السابق، ص٢٥.

٩- **ارتفاع العقد:** وهي المسافة العمودية من أعلى نقطة في العقد إلى مستوى الإسناد في بطن العقد[١].

وقد تنوعت تصاميم العقود من عصر إلى آخر تبعاً لطبيعة البناء وبحسب استخداماتها الوظيفية والتطورات العمارية الحاصلة في أشكالها، فقد كشفت عمليات التنقيب عن عدة أنواع من العقود، يمكن حصر أهمها وأكثرها استعمالاً بالأشكال التالية:

١- **العقد المتدرج:** وهو عبارة عن قوس يبدأ بالتدرج ابتداءً من القاعدة إلى أن تصل إلى أعلى العقد، ويعد من أقدم أنواع العقود المستخدمة في أبنية العراق القديم، وقد ظهر هذا النوع في عمائر المدن السومرية، وأستمر استخدامه مع الأنواع الأخرى من العقود في العصور اللاحقة(شكل٧٨ أ)[٢].

٢- **العقد نصف الدائري:** كان هذا النوع يبنى على شكل نصف دائرة إلى بطن العقد وظهره، وأستخدم في تغطية الفتحات قليلة الارتفاع للمباني إذا كانت مادة بنائها من اللبن كما أستعمل لتغطية المساحات الواسعة في حال كونها مبنية من الآجر(شكل٧٨ ب)[٣]، وأقدم مثال على استخدام هذا العقد في عمارة المعابد العراقية وجد في أحد معابد الطبقة X تبة كاورا والتي يعود تاريخها إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد إذ كانت هذه العقود تزين مداخل غرفها عقود متنوعة ومنها عقد نصف دائري سقفت به إحدى غرف المعبد ويبلغ ارتفاعه ٢.٥م وبعرض ٣ أمتار(الشكل٧٩)[٤]، وكشف في معبد اريدو الطبقة VII و VI عن عقود دائرية غير منتظمة تعلو مداخل هذه المعابد[٥]. كما أستخدم هذا النوع من العقود في عند المدخل الرئيس لمعبد الإله سين في خفاجة العائد لعصر فجر السلالات(شكل٤)[٦]. وكذلك أستخدم عند مدخل الجناح المقدس في معبد شو-سين العائد لعصر سلالة أور الثالثة[٧]. وظهر العقد نصف الدائري أيضاً في مداخل معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي(شكل٦)[٨]. كما نتج عن عملية التنقيب في معبد تل الرماح العائد إلى العصر الأشوري القديم الكشف عن استخدام

---

[١] بقاعين، المصدر السابق، ص٥٦.

[٢] المنمي، المصدر السابق، ص٢٣.

[٣] بقاعين، المصدر السابق، ص٥٧. وكذلك: Dameriji, Op.Cit, P.119

(4) Rothman, Op.Cit, P.156.

[٥] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٢٠.

(6) OIP.58, P.74.

(7) OIP.43, P.11.

(8) OIP.98, P.29.

العديد من العقود في تشييده ومن بين النماذج المستظهرة عقد يعلو مدخل حجرة المابين وهو عبارة عن عقد نصف دائري(شكل٨٠)(١).

٣- **العقد المدبب:** ويدعى أيضاً بالعقد متساوي الساقين وهذا النوع من العقود عبارة عن قوس يبدأ بالانحناء من القاعدة إلى أن يصل إلى نقطة الالتقاء وبشكل مدبب وقد ظهر هذا النوع من العقود في مدينة أور من عصر فجر السلالات السومرية(شكل٧٨ ج)(٢). ومن نماذجه العقد المكتشف في الحجرة 2.R:29 من معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي العائد للعصر البابلي القديم(٣).

٤- **العقد البيضوي:** وهو عبارة عن قوس يبنى على شكل انحناء بيضوي لثلاثة مراكز وقد ظهر استخدامه في العمائر الآشورية ومما ساعد على تشكيله مطاوعة المادة الإنشائية المشيدة منه، وهي تتألف من قوالب اللبن ذات الأشكال الخاصة خلال عملية البناء(شكل٧٨ د).

٥- **العقد المطول:** وهو عبارة عن عقد يتم رفع قاعدته بدءً من خط تجريده قبل أن يعقد بشكل نصف دائرة وقد ظهر في العصر الآشوري الحديث(شكل٧٨ هـ).

٦- **العقد المستقيم:** وهو عبارة عن قوس مستقيم يتكون من أحجار مستقيمة أو عمود من الخشب ويمكن أن نرى نماذج هذا النوع من العقود على مشاهد الأختام القديمة العائدة إلى عصر الوركاء وجمدة نصر(شكل٧٨ و)(٤). وكشف عن نماذج له فوق أبواب معبد الحجر الكلسي في مدينة الوركاء العائد لعصر الوركاء(٥)، كما كشف عن عقد مستوٍ توّج به مدخل إحدى غرف معبد الطبقة X في تبة كاورا وهو بارتفاع ١.٢٥م بعرض ٧٥سم وقد أستخدم اللبن والطين في تشييده(٦). كما كشف عن العديد من العقود المستوية في معابد بلاد أشور ومنها العقد المستقيم الذي توّج المدخل الرئيس لمعبد الإلهة عشتار الطبقة C في أشور(٧) واستخدم العقد المستوي كذلك في المدخل المؤدي إلى الحجرة II من تل الرماح(شكل٨١)(٨).

---

(1) Oates, Op.Cit(1966), P.124.

(٢) بقاعين، المصدر السابق، ص٥٩.

(3) OIP.98, P.50.

(٤) المنمي، المصدر السابق، ص٢٤.

(5) UVB.XV, P.13.

(٦) المنمي، المصدر السابق، ص٣٨.

(٧) اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦ب، ص٢٩.

(8) Oates, D.,"The Excavations at Tell al Rimah, 1967" IRAQ, Vol.30(1968), P.118.

ثمة أنواع أخرى من العقود منها ، العقد المتجاوز أو المنتفخ الذي يشابه حدوة الفرس والعقد المفصص والعقد السلَّي والعقد الأفطس والعقد الرمحي وهذه العقود لم تظهر في عمارة المباني العراقية القديمة، بل أستخدم في مباني العصور الإسلامية، وتقع دراسته خارج نطاق بحثنا[١]. لم يقتصر استخدام العقود على عمارة المداخل وعلى صنف محدد من المباني بل شمل أعمال التسقيف في البيوت والمدافن والمعابد والقصور والأسوار ومداخل البوابات[٢].

ز- أبراج المدخل

الأبراج هي عناصر بنائية كبيرة ومرتفعة تبرز عن أسوار المدن أو واجهات المباني كالمعابد والقصور والقلاع أو تنشئ في أحيان أخرى بشكل منفرد وتتنوع أشكالها بين المربعة والمستطيلة والدائرية[٣]. وللأبراج فوائد جمة منها العمارية إذ يساهم وجودها في دعم وزيادة قوة وثبات السور وبخاصة عند بنائها على أبعاد متقاربة في بدنه أو أركانه أو عند مداخل الأبنية[٤]، وكذلك فأن للأبراج فوائد جمالية منها تزيين واجهة السور أو المبنى الذي تتواجد به به وإضفاء مسحة جمالية عليه وذلك بتوزيعها المتناسق على واجهة السور أو المدخل فضلاً عن تصميمها الهندسي، وكذلك التزيينات العمارية التي قد تنشئ فيه كالدخلات المركبة وتزيين نهاياتها بالشرفات المزخرفة[٥]. حيث تظهر طبعتي ختم تعودان إلى العصر الأشوري الوسيط الطابع الجمالي لهذه الأبراج والتزيينات المنفذة عليها(شكل٨٢)[٦]. وتأتي فائدتها الدفاعية في المقدمة من حيث الأهمية لما تمثله من مجال رحب يتيح للمدافعين حرية الحركة والمناورة لمراقبة المهاجمين المغيرين من قاعدة السور وصدهم عنه[٧].

---

[١] للمزيد يراجع: بقاعين، المصدر السابق، ص٦٠.

[٢] للمزيد حول استخدام عنصر العقد في العمارة العراقية القديمة يراجع: المنمي، المصدر السابق، ص٣٠-٤٩.

[٣] لايك، المصدر السابق، ص٤٨.

[٤] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص٢١٠.

[٥] الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٣٠٧.

[٦] اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦ب، ص٢٩.

[٧] الاعظمي، المصدر السابق،١٩٩٢، ص٣٠٧.

وقد وردت عدة مصطلحات في اللغة السومرية والاكدية للإشارة إلى هـذا العنصـر ومن تلك المصطلحات ما ورد في اللغة السومرية بصيغة $AN.ZA.KAR_3$[١] ويرادفها فـي اللغة الاكدية مصطلح dimtu أو dintu وتعني الأبراج التي تتخلل أسوار المدن أو المقامـة على جانبي المداخل[٢]. كما ورد مصطلح أخر في اللغة الاكدية بصيغة asītu وهـو يشـير بشكل محدد للأبراج المدمجة بأسوار المدن أو تلك التي تقام عند البوابات والمداخل[٣].

وقد تنوعت الأبراج من عصر إلى آخر تبعاً لطبيعة البنـاء وبحسـب اسـتخداماتها الوظيفية والتطورات العمارية الحاصلة في أشكالها، حيث كشفت التنقيبات الأثرية عـن عـدة أنواع من الأبراج، يمكن حصرها بالأشكال التالية:

١- **الأبراج البسيطة المسطحة:** وهي أبراج بسيطة لا تتعدى كونها بـروز عـن الجـدران الجانبية للمداخل أو الأسوار ويُظن أنها تطورت من عنصر الطلعات المستخدم في عمارة المعابد، وهذا النوع من الأبراج يختلف اختلافاً كلياً عن أي نوع أخر لكونه يبنى بدون أي إضافات(شكل٨٣) لذلك لا نملك أدلة اثارية وافية حول طبيعة هذه الأبراج كون المكتشف منها لا يتعدى التخطيط الأرضي أو بارتفاع بسيط وما إذا كانت هـذه الأبـراج تحمـل تزيينات في أجزائه العليا[٤]. ترجع أقدم الأبراج المكتشفة في أبنية المعابد من هذا النـوع إلى عصر جمدة نصر حيث عُثر في الحجرة (١٩) من الطبقة III في معبد أي-انا علـى مخطط ارضي لبرج يبلغ طوله ١.٨٠م وعرضه ٠.٨٠م وبلغ سمك الجدار المتـاخم لـه ٢م[٥]. كما كُشف عن العديد من نماذج هذا النوع من الأبراج في معابد منطقة ديالى منها برجي المدخل في المصلى المفرد للإله آبو الطبقة D و B في تل اسمر العائدة لعصـر فجر السلالات وان سمك هذه الأبراج ليس كبيراً إذ بلغ ٠.٤٠م كما انها لم تكن بعيدة عن عضادة الباب[٦]. وفي معبد ننتو في خفاجة يتقدم جانبي المدخل الرئيس جدار صغير من المحتمل أنه يؤدي وظيفة البرج للمدخل ويبلغ طوله ١.٢٠م وربما يصل ارتفاعـه إلـى سطح المبنى أو أعلى منه بقليـل ويلاحـظ أن اسـتخدامه تكـرر فـي كـلا مـدخلي

---

[١] لابات، المصدر السابق، ص٤٩. العلامة:١٣.

[2] CAD, "D", P.145[a].

[3] CAD, "A" Part II, P.332[b].

[4] Dameriji, Op.Cit, P.75.

[5] Ibid, P.77.

[6] OIP.58, P.156.

المعبد(مخطط٤٧)[١]. كما أحيط المدخل في معبد الإله سين الطبقة X بـأبراج ضـخمة بارزة عن الجدار وتبلغ قياسات البرج الأيمن ٢م عرضاً وبسمك٢.٢٠م أما البرج الأيسر فيبلغ عرضه ٢م وسُمكه ٢.٧٠م وأن سبب اختلاف قياسات البـرجين هـو أن الجـدار المرتبط بالبرج الأيسر حُرّك إلى الأمام لكي يترك مسافة كافيـة للـدرج المـؤدي إلـى السطح(شكل٤)[٢]. وأستخدم هذا النـوع مـن الأبـراج فـي المعبـد البيضـوي فـي خفاجة(شكل٥)[٣]. وكذلك في معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيـد(مخطط٢٨)[٤]. كمـا ضمت بناية كيك-بار-كو العائدة إلى عصر سلالة أور الثالثة هذا النوع من الأبراج تبرز عن الجدار بمقدار ٢م أما من جانب المدخل فتبرز بمقدار ٤م ويبلغ عرض هذه الأبـراج ٦.٥٠م تقريباً[٥]. ويقدم معبد الإله أشور العائد إلى العصر الأشوري القديم مثـالاً عـن الأبراج البسيطة في بلاد أشور إذ استخدمت عند المداخل الثلاثة للمعبد وكذلك عند مدخل الحجرة المقدسة فيه وكان عرض هذه الأبراج أكبر من سمك الجدار المتاخم لها[٦].

٢- **الأبراج ذات التراكيب المتدرجة:** وهذه الأبراج تكون واجهاتها الخارجية متراجعة بشـكل متدرج نحو عضادة الباب وفي نماذج أخرى تتـدرج بشـكل متسلسـل نحـو واجهـة المعبد(شكل٨٣) وترجع أقدم نماذجه في البناية المكتشفة في مدينة كيش العائـدة لعصـر فجر السلالات إذ بلغ سمكها ٢م أما عرض هذه الأبراج في المقدمة فقد بلـغ ٣.٥٠م[٧]. ومن نماذج هذه الأبراج في أبنية المعابد البرج المكتشف في المدخل الشـمالي الغربـي لبناية كيك-بار-كو ويبلغ عرض واجهته ٤م وتتراجع هذه الأبراج بشكل متـدرج علـى جـانبي الجـدار مشـكلة ثلاثـة ألـواح تشـابه البـرج الأساسـي وقـد بلـغ

---

[١] يراجع الشكل(٩٧). Ibid, P.79.

(2) Ibid, P.40;143 ; Dameriji, Op.Cit, P.78.

(3) OIP.53, P.24.

(4) Dameriji, Op.Cit, P.79.

[٥] يعود سبب الاختلاف في عمق جانبي الأبراج إلى كون عضادة المدخل متراجعة عن مستوى الجدار ويبلغ ويبلغ سمكها ٣م تقريباً بينما يبلغ سمك الجدار ٥.٧٠م مما جعل الجوانب الداخلية للأبراج المحيطة بالمـدخل أكبر طولاً مقارنة مع الجوانب الخارجية. UE.V, P.43; Dameriji, Op.Cit, P.80.

(6) Ibid, P.81.

[٧] للمزيد يراجع :

Moorey, P.R.S."The "Plano-Convex Building" at Kish and Early Mesopotamian Palaces", IRAQ, Vol.26(1964), P.90f.

قياسها ٣.٥٠م(مخطط٣١)[١]. وتقدم واجهة معبد الإله سين وشمش في أشور العائدة للعصر الأشوري الوسيط[٢]. أجمل مثال على هذه الأبراج في أبنية المعابد إذ شغلت الواجهة بالكامل ببرجين كبيرين وخمسة ألواح بنائية تتدرج بشكل متساوٍ لتشمل جميع أجزاء الواجهة[٣]. وتشكل أبراج معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل العائدة للعصر البابلي القديم أبرز نماذج الأبراج المتراجعة نحو المدخل في هذا العصر(مخطط٣٢)[٤].

٣- **الأبراج ذات التزيينات العمارية (الدخلات):** هذا النوع من الأبراج تحوي واجهاته الأمامية على دخلات تضفي عليها طابعاً جمالياً وقد أستخدم هذا النوع من الأبراج عند مداخل المعابد والقصور والمدن، ترجع أقدم نماذجه المكتشفة في منطقة أي-انا الطبقة IIIa-b[٥] وقد أنتشر استخدام هذا النوع في عمارة المعابد العراقية القديمة خلال عصر سلالة أور الثالثة حيث كشفت التنقيبات الأثرية في معبد شو-سين في تل اسمر عن أبراج مدخل تبرز عن الجدار بمقدار ١.٢٠م ويبلغ عرضها ٣.٦٠م واحتوى كل برج على ثلاث دخلات بعرض٠.٦٠م على هيئة الحرف اللاتيني T تصل إلى قاعدة البرج(مخطط٢٩)[٦]. كما صممت أبراج المدخل في معبد الإله انليل الطبقة V في نيبور بالاسلوب ذاته[٧]. وزينت أبراج المداخل الخارجية ومدخل الجناح المقدس في معبد الإلهة الإلهة عشتار كيتيوم في اشجالي العائد للعصر البابلي القديم بثلاث دخلات عمودية وقد بلغ عرض الواجهة الأمامية لأبراج المدخل الجنوبي ٨م وتبرز عن الجدار بمقدار ٣م تقريباً كما أن أبراج المدخل المقامة في الجانب الشرقي من الفناء (A) تشابه قياسات

---

[1] UE.V, P.43. ; Dameriji, Op.Cit, P.83.

[٢] شُيد هذا المعبد المخصص لعبادة الإله سين والإله شمش في عد الملك أشور نيراري الأول إذ أشار هذا الملك إلى تشييد هذا المعبد في نص له منقوش على الأجر أكتشف في مدينة أشور، ورممت بناية المعبد على يد الملك آرك-دين- ايلي (١٣١٩-١٣٠٨ق.م) ثم أعاد الملك توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ق.م) بنائه على نفس الأسس. للمزيد يراجع: RIMA, Vol.I , No.199,350,973.

[3] Dameriji, Op.Cit, P.84.

[4] Baqir, Op.Cit, P.25.

[5] Dameriji, Op.Cit, P.89.

[6] OIP.43, P.12.

[7] Dameriji, Op.Cit,P.90.

أبراج المدخل الرئيس، بينما بلغ عرض الأبراج في الجناح المقدس الرئيس ٥م وتبرز عن الجدار بمقدار ٢م تقريباً(شكل٦)[١]. كما استخدمت الدخلات العمودية والنصف الدائرية في تزيين أبراج معبد تل الرماح[٢].

٤- **الأبراج ذات الوظيفة الدفاعية:** وهذه الأبراج تنشئ وتجهز للأغراض الدفاعية وتكون مدعمة لأسوار المدن في الغالب أو قد تنشئ منفردة، وتتميز بصلابتها وارتفاعها واحتواء أسطحها على أماكن خاصة لجلوس المدافعين واحتمائهم بالشرفات التي تعلوها[٣].

---

[1] OIP.98, P.36 ; Dameriji, Op.Cit, P.90.

[٢] للمزيد يراجع المبحث الثاني من الفصل الخامس صفحة ٢١٨ والشكل(١٣٠).

[٣] للمزيد يراجع: الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٣٠٧. وكذلك Dameriji, Op.Cit, P.93.

المبحث الثاني
حجرة المدخل

تعد حجرة المدخل جزءً متمماً لنظام الدخول في أبنية المعابد العراقية القديمة، وأستخدم المصطلح الاكدي serūgu للإشارة إليها، وتعني الدهليز أو حجرة الاستقبال في المعبد أو القصر، كما تستخدم للإشارة إلى رواق المدخل المسقف[1]. ويدل أسمها على وظيفتها، فهي تشكل فضاءً تصميماً وعمارياً ممهداً للدخول إلى أروقة البناء وبالأخص فناءه الداخلي.

ويلبي وجود حجرة المدخل دوراً مهماً في الأبنية بشكل عام إذ تؤدي العديد من الوظائف التي توخاها المعمار في النواحي البيئية والاجتماعية والأمنية. فمن الناحية البيئية تعمل هذه الحجرة كمرشح للتيارات الهوائية والغبار الداخل من خارج المبنى، وكذلك تشكل عاملاً إضافياً في العزل الحراري للوحدات العمارية[٢].

أما من الناحية الاجتماعية والأمنية فيعمل وجودها كحاجز يعزل باقي أجزاء المبنى عن أنظار الموجودين في الخارج. وبهذا يؤمن للمبنى حماية من السرقة أيضاً، وفضلاً عما تقدم فإن وجود حجرة المدخل يخدم جوانب وظيفية أخرى كتنظيم عملية الدخول إلى المبنى بشكل عام وفي المعبد بشكل خاص، إذ يمثل وجودها تطبيقاً أشمل لفكرة حجرة المابين في ادائها للوظيفة ذاتها، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال وجود حجرة المدخل بشكل متلازم في أبنية المعابد التي تضم أجنحتها المقدسة حجرة المابين، منها على سبيل المثال وجود هاتين الحجرتين في معبد الإله سين في خفاجة الطبقات VI-X العائدة لعصر فجر السلالات (مخططات٣٥-٣٩)[٣].

كما يساهم وجود حجرة المدخل في تأكيد فصل بناء المعبد عن محيطه الخارجي إذ أن ظهورها الفعلي كان موازيا زمنياً لأولى بوادر الاتجاه نحو عزل المعبد كلياً عما يجاوره خلال عصر فجر السلالات الأول والذي تكاملت معالمه في عصري فجر السلالات الثاني والثالث.

ولا يقتصر وجود حجرة المدخل في المعابد على الدور الوظيفي، بل يتعداه إلى إثارة مدارك المتعبد العاطفية من خلال أستشعاره لعظمة وهيبة المكان، إذ أن الدخول إلى المعبد عبر وحدة عمارية ممهدة يرفع مقدار الرهبة النفسية لدى المتعبدين.

---

(1) Parpola, S., The Helsinki Neo-Assyrian Dictionary, Finland (2002), P.179^b.

(٢) الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٤.

(3) OIP.58, P.43;46;59;63;74.

لذلك كانت تقام في بعض هذه الحجرات طقوساً دينية مرافقة لعملية المرور عبرها وبوجود دكة للإله أو للقرابين فيها، وقد تحمل بعض هذه الحجرات أحياناً أسماءً لمصليات خاصة بآلهة معينة تعبد فيها، كما في حجرة المدخل لمجمع معبد الايكور (É.KUR) في نفر حيث ورد ذكرها في قائمة المصليات الخاصة بهذا المعبد تحت أسم é.ká.mah والذي يعني البوابة العظمى، وقد خصصت للإله انليل[١].

ولم يقتصر استخدام هذه الحجرة على المدخل الرئيسي بل شملت المداخل الثانوية للمعبد ومنها على سبيل المثال الحجرات (١)(٤)(٣) الموزعة على المداخل الثلاث لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي(مخطط٤٠)[٢]. وكذلك الحجرات (١٣)(١٤)(١٩) لمعبد تل الرماح (مخطط٥٨)[٣].

كما قد يُغني في بعض الحالات وجود حجرة المدخل عن استخدام حجرة المابين في الجناح المقدس إذ تؤدي هذه الحجرة وظيفة كليهما في آن واحد، ويمكن ملاحظة ذلك الاندماج تحديداً في المعابد التي تخلوا مخططاتها من حجرات ذات وظيفة دنيوية، كما في المعبد المربع للإله آبو في تل اسمر (مخطط٦١) وكذلك المعابد الصغيرة في خفاجة (مخطط٦٣)

غير أن حجرة المدخل لم تكن موجودة في المعابد جميعها التي عاصرت فترة ظهورها لأول مرة وحتى في العصور اللاحقة، وربما يعزى ذلك لضيق المساحة الداخلية المتاحة للبناء، أو إلى عمليات إعادة البناء الملتزمة إلى حد بعيد بمخططات الأدوار السابقة، ومنها معبد الإله ننتو في خفاجة(مخطط٤٧)، ومعبد عشتار في نيبور الطبقات VIII-VII b (مخطط٢٥).

تعود أولى نماذج حجرة المدخل إلى فترات زمنية مبكرة من عصور قبل التاريخ، وسجلت المباني السكنية العائدة لعصر سامراء أول ظهور لهذا النوع من الحجرات ضمن مخططاتها ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية في البناية العاشرة والثامنة للطبقة III في تل الصوان عدداً من نماذج هذه الحجرة وكانت وفق تخطيط منتظم ذات شكل مربع[٤] وكُشف عن نموذج

---

[١] وورد ذكر الحجرة ذاتها في ترتيلة لمعبد É.KUR تحت اسم é.ká.silim.ma والذي يعني بيت بوابة الخير. George, Op.Cit,(1993) P.107.

[٢] الأرقام التفصيلية لهذه الحجرات حسب سجلات التنقيب كالأتي: حجرة المدخل في الجناح الرئيس لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم (1.Q..32)، وحجرة المدخل للجناح الشمالي حملت الرقم (4.T.30)، بينما كانت حجرة المدخل الرئيس في الضلع الجنوبي تحمل الرقم (3.T.30). OIP.98, P.41;51;56.

[٣] Oates, D.,"The Excavation at Tell AL-Rimah, 1968", IRAQ, Vol.32, (1970), P.6.

[٤] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص١٨٤.

أخر لحجرة المدخل في المبنى الرئيس لتل مظهور[١]. العائد للعصر ذاته، وكانت وفق تخطيط مستطيل منتظم الشكل[٢].

وبالرغم من استخدام المعمار لهذا العنصر التخطيطي والعماري، وظهوره المبكر في الأبنية السكنية إلا أن أبنية المعابد لم تدرج حجرة المدخل ضمن مخططاتها كعنصر أساسي حتى عصر فجر السلالات، مما يدل على أن استخدامها في المعابد لم يكن متأثراً بالحد الكبير مع نظيراتها في الأبنية السكنية، بل جاء مقترناً بظهور حجرة المابين في الجناح المقدس. وبذلك لا يمكن اعتبار الحجرات الجانبية التي تضم مداخل خارجية في المعابد ذات التخطيط الثلاثي حجرة مدخل فعلية، فبالرغم من أداء هذه الحجرات لوظيفة حجرة المدخل إلا أن الضرورة العمارية التي اشرنا إليها مسبقاً[٣]، اقتضت وجود تلك المداخل فيها، كما أن المدخل الرئيس لهذا النوع من التخطيط في المعابد يخلوا من وجود حجرة مدخل فيه (مخطط١١-أ) وان وجدت في بعض الأحيان خصوصاً عندما يكون المدخل الرئيس للمعبد في الضلع الطويل منه، فهي لتحقيق الاتساق الثلاثي لتخطيط المعبد ليس إلا، كما في معبد اريدو الطبقة VI العائد لعصر العبيد الرابع(مخطط١٨)[٤].

وتشير الأدلة الآثارية المتوفرة حتى الآن عن طريق التنقيبات إلى أن بداية استخدام حجرة المدخل ضمن أبنية المعابد يعود إلى عصر جمدة نصر، ففي معبد الإله سين في خفاجة الطبقة II ظهرت أولى محاولات حجب موضع المدخل بتكوين عماري عن الفناء، لكن وجود هذه الحجرة لم يستمر في مخططات الطبقات الثلاث التالية للمعبد والعائدة للعصر ذاته، وقد يُعزى سبب ذلك لرغبة المعمار في التركيز على استخدام نظام الأفنية، الذي كان بدوره عنصراً عمارياً جديداً يدخل ضمن مخططات المعابد، وبعد استقرار الطراز التخطيطي لهذا العنصر الجديد (الفناء) أعيد إدراج حجرة المدخل ضمن تصميم معبد سين في الطبقة VI

---

[١] تل مظهور: يقع هذا التل في الجزء الشمالي الشرقي من حوض سد حمرين ويبعد مسافة ٢٠كم شرق جلولاء، نقبت فيه بعثة بريطانية عام ١٩٦٤ وغطت بقاياه الأثرية المكتشفة فترة زمنية امتدت من عصور قبل التاريخ وحتى عصر فجر السلالات. للمزيد يراجع:

Roaf, M.,"Tell Madhur A Summary Report on the Excavations", SUMER, Vol.43, 1984, P.110 .

[2] Roaf, M.,"Excavations at Tell Madhur the Results of the Third Season", SUMER, Vol.40 (1984B), P.147 .

[٣] حول سبب احتواء الحجرات الجانبية في المعابد الثلاثية التخطيط على العديد من المداخل الخارجية ينظر الصفحة ١١٢ من المبحث الأول في هذا الفصل.

[٤] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٣١.

العائدة لعصر فجر السلالات الأول، وتكامل أسلوبها التخطيطي والعماري في الطبقات التالية (المخططات٣٥-٣٩)[١].

شاع استخدام حجرة المدخل على نطاق واسع خلال عصر فجر السلالات حيث دخلت ضمن مخططات العديد من معابد هذا العصر، إذ نجدها في المصلى القديم للإله آبو في تل اسمر العائد لعصر فجر السلالات الأول(مخطط٤٩)، والتي استمرت في الطبقات التالية رغم عمليات إعادة البناء المتكررة التي طرأت عليه[٢]، وكان لوجود هذه الحجرة وأسلوب عمارتها أثراً كبيراً في تكييف نظام الدخول إلى المعبد عبر إلزام الداخل بالانعطاف من خلالها للوصول إلى أروقة البناء. كما ضم مخطط المعبد البيضوي في خفاجة حجرة مدخل أقيمت عند مدخل السور البيضوي الثاني المؤدي إلى حجرة أخرى ومن ثم إلى الفناء الرئيس للمعبد[٣]. واستخدمت كذلك في المعبد الشمالي الطبقات V-VII في نيبور (مخطط٢٦-ج-هـ)[٤] وفي معبد عشتار في أشور الطبقة G (مخطط٤٢)[٥]. العائديّن لعصر فجر السلالات الثاني.

وأستمر وجود هذا العنصر العماري خلال العصر الاكدي كما في الحجرة (٦٨) للطبقتين I-II من المعبد الشمالي في نيبور(مخطط٢٦-ح)[٦].

وفي عصر سلالة أور الثالثة ومع بداية استخدام نظام المحور المستقيم في تخطيط المعابد اكتسب وجود حجرة المدخل ضرورة إضافية، إذ أنها تعد عنصراً أساسياً في نظام الدخول المحوري، فبحكم ما يؤمنه تعاقب هذه المداخل من دخول سلس، وخوفاً من انتقاص مكانة المعبد المقدسة، ارتأى المعمار استخدام هذه الحجرة لإشعار الداخل بأنه في مرحلة انتقالية بين بيئتين متناقضتين دينية ودنيوية تجمعهما وحدة المكان، كما أن وجود حجرة المدخل في هذا النوع من التخطيط يحقق تناسقاً للمخطط العام، فضلاً عن قيامها وسلسلة الحجرات المجاورة لها بدعم السور الخارجي عبر ربطه من الداخل بنطاق عماري ومن نماذجها الحجرة (P31:1) في المعبد الملحق بقصر شو-سين في تل اسمر(مخطط٢٩)[٧].

---

(1) <u>OIP.58</u>, P.43.

(2) <u>Ibid</u>, P.160.

(3) <u>OIP.53</u>, P.25.

(4) <u>OIP.97</u>, P.8ff.

(٥) اندريه، <u>المصدر السابق</u>، ١٩٨٦أ، ص٤٥.

(6) <u>OIP.97</u>, P.24.

(7) <u>OIP.43</u>, P.26.

رافق انتشار مخططات المعابد ذات المحور المستقيم خـــلال العصـــر البـــابلي القـــديم استخدام حجرة المدخل ضمن تلك المخططات، فنادراً ما تخلوا معابد هذا الطراز من وجـــود هذه الحجرة ضمن مخططاتها. ومن نماذجها الحجرة (١) ضمن معبد عشـــتار كيتيتـــوم فـــي اشجالي(مخطط٤٠)[١]. والحجرة (١٤) لمعبد اي-ببار في لارسا(مخطط٣٣)[٢]. وكذلك حجرة المدخل في معبد الإلهة نيسابا بتل حرمل(مخطط٣٢)[٣].

ولم يقتصر استخدام حجرة المدخل في هذا العصر على معابـــد المحـــور المســـتقيم إذ أدرجته معابد المحور المنكسر ضمن مخططاتها أيضاً، كما في الحجرة (١١) لمعبـــد الإلهـــة گولا في آيسن(مخطط٥٧)[٤] والحجرتين (٣) (٤) في معبـــد الإلهـــة عشـــتار كيتيتـــوم فـــي اشجالي(مخطط٤٠)[٥].

وفيما يتعلق بسمات حجرة المدخل الموضعية والتخطيطية والعمارية، فـــيلاحظ تـــأثير وظيفتها على حتمية موضعها عند المدخل الخارجي للمعبد، إلا أن موضع هذه الحجرة لم يكن يشغل في معظم الأحيان إلا جزءً يسيراً من الضلع الذي يضم المـــدخل الخـــارجي، ان هـــذا الأسلوب المتبع من لدن المعمار له ما يبرره من الناحية العمارية حيث عمد إلـــى اســـتغلال الأجزاء المتبقية من الضلع الذي يضم المدخل الرئيس وحجرته عبر إيجاد تكوينات عماريـــة مجاورة لهذه الحجرة تستخدم لإغراض الخزن أو لإدارة الشؤون الخاصة بالمعبد وقد تكـــون ملحقة بحجرة المدخل ويتم الوصول إليها عبر مدخل من الحجرة نفسها، كما يتضح ذلك فـــي مخطط معبد الإله سين في خفاجة الطبقة IX العائد لعصر فجر السلالات الثالث(مخطط٣٨)[٦] الثالث(مخطط٣٨)[٦] وفي مخطط المعبد الملحق بقصر شو-سين في تل اســـمر(مخطط٢٩)[٧] وكذلك في مخطط معبد الإلهة نيسابا بتل حرمل العائد للعصر البابلي القديم(مخطط٣٢)[٨].

أما تخطيط حجرة المدخل فقد أتخذ شكلان أساسيان، الأول وهو الأقدم اســـتخداماً فـــي المعابد كان على هيئة الـــدهليز كمـــا فـــي المســـار (٤٥) للطبقـــة II لمعبـــد ســـين فـــي

---

[1] OIC.20, P.84.

[2] Hout, Op.Cit(1980), P.102.

[3] Baqir , Op.Cit, P.27.

[4] Hrouda, Op.Cit(1980), P.86.

[5] OIP.98, P.51;56.

[6] OIP.58, P.71.

[7] OIP.43, P.16;26.

[٨] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٩.

خفاجة(مخطط١٥)[١]. والمسار (١٣٠) للطبقات V-VII للمعبد الشمالي في نيبور (مخطط٢٦-ج-هـ)[٢]. وقد يستخدم كلاً من الدهليز وحجرة المدخل في آن واحد، كما في الطبقة G لمعبد عشتار في أشور(مخطط٤٢)[٣] وكذلك في المعبد الأبيض من موقع أم العقارب(مخطط٦٤)[٤] العائديِّن لعصر فجر السلالات.

أما الشكل الثاني الذي كان أكثر شيوعاً من النوع السابق، فيتمثل بالتخطيط المضلع، والذي تنوع بين التخطيط المربع كما في الحجرة (٣٣) للمصلى الأولي(مخطط٤٩)، والحجرة (٩) في الطبقات I و IVa-b لمعبد الإله آبو في تل اسمر والذي يرجع تاريخهما إلى عصر فجر السلالات(مخططات٥٠، ٥٣)[٥]. وبين التخطيط المستطيل الأكثر انتشاراً من المربع، فقد فقد وجدت نماذجه في معبد الإله سين في خفاجة الحجرة (١٩) من الطبقة VI والحجرة (٩) من الطبقة VII والحجرة (١) من الطبقتين VIII-IX والحجرة (١٧) من الطبقة X في معبد سين بخفاجة(مخططات٣٥-٣٩) وكذلك الحجرة (٤٠) في معبد الإله آبو في تل اسمر(مخطط٦١)[٦]. العائدين لعصر فجر السلالات، وأستخدم أيضاً في الحجرة (١٤) من الطبقة V لمعبد الإله انليل في نيبور(مخطط٥٦)[٧] وكذلك حجرة المدخل (C١) في بناية كيك-بار-كو في أور(مخطط٣١)[٨]. العائدة لعصر سلالة أور الثالثة أما نماذج التخطيط المستطيلة العائدة للعصر البابلي القديم فقد ظهرت في الحجرة (١١) لمعبد الإلهة گولا في آيسن(مخطط٥٧)[٩] وكذلك حجرات المدخل لمعبد الإله أشور في مدينة أشور(مخطط٣٤)[١٠].
أشور(مخطط٣٤)[١٠].

---

(1) OIP.58, P.18.

(2) OIP.97, P.8;10;12 .

(٣) اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦أ، ص٤٥.

(٤) سمي هذا المعبد بالأبيض، لأن جدرانه كانت مصبوغة باللون الأبيض، وتجدر الإشارة إلى أن معبد الإله آنو في الوركاء حمل الاسم ذاته.

عريبي، حيدر عبد الواحد،"نتائج تنقيبات موقع أم العقارب للموسمين الثالث والرابع ٢٠٠١-٢٠٠٢"، سومر، مجلد٥٢، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص٢٤٤.

(5) OIP.58, P.160;162;167.

(6) Ibid, P.43;46;59;63;74.

(7) OIP78. P.8.

(8) Weadock, P. N.," The Giparu at Ur ", IRAQ, Vol.37 (1975), P.114 .

(9) Hrouda, Op.Cit(1980), P.86.

(١٠) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٦.

ورافق التخطيط المستطيل معظم نماذج حجرة المدخل ضمن المعابد التي اتبعت نظام المحور المستقيم والتخطيط العريض للحجرة المقدسة، كما في الحجرة (١٤) لمعبد الإله شمش أي–ببار في لارسا(مخطط٣٣)[١] والحجرة (١) لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي (مخطط٤٠)[٢] وكذلك في الحجرة (١) لمعبد الإله انكي في مدينة أور(مخطط٣٠)[٣].

اتسم تخطيط حجرة المدخل ضمن معابد هذا الطراز بانتظام أضلاعها ودقة قياساتها، وهي في الواقع جزء من التنظيم العام المرافق لمخططات هذا الطراز، والتي تضافرت عوامل عدة في إحداثه أهمها سعة الفضاء المتاح للبناء وكذلك طبيعة ذلك الطراز القائم على أساس التنظيم المتقن والتوزيع المتناظر لوحدات البناء الرئيسة، وعلى النقيض من ذلك افتقرت العديد من نماذج هذه الحجرة في المعابد التي اتبعت نظام المحور المنكسر إلى التخطيط المتناسق، وعانت أضلاعها من انحرافات وإرباك في تنظيمها، وقد يعزى ذلك إلى تقيد المعمار بطبيعة ذلك التخطيط وقصور الوحدة المكانية عن تلبية متطلبات التنظيم المتقن.

أما مساحة حجرة المدخل ضمن طراز المحور المنكسر فلم تأخذ نمطاً ثابتاً وبقيت خاضعة لتقدير المعمار للأسباب المبينة سابقاً، لذلك تباينت مساحتها بين الكبيرة كما في الحجرة (١٩) للطبقة VI في معبد سين بخفاجة(مخطط٣٥)[٤] وبين الصغيرة ومن أمثلتها حجرة المدخل في الطبقة I من المصلى القديم للإله آبو في تل اسمر، إذ بلغت أبعادها ١.٥×١.٥م تقريباً(مخطط٥٠)[٥]. رغم أن أغلب نماذجها كانت ذات أحجام متوسطة، أما في المعابد ذات الطراز المستقيم فقد اتخذت مساحتها مقداراً معيناً مشابهاً في الغالب لمساحة الحجرات الجانبية الموزعة حول الفناء الداخلي، إلا أن مساحة هذه الحجرة في كلا الطرازين كانت في العموم أقل مقداراً من نظيرتها حجرة المابين في الجناح المقدس.

ولغرض إتمام وظيفة حجرة المدخل التي تقوم بتنظيم عملية الدخول إلى المعبد والخروج منه، فقد احتوت هذه الحجرة على مدخلين وكان وجودهما أساسي لإتمام وظيفتها، إذ يخصص المدخل الأول لإدخال المتعبدين من خارج المبنى أما الثاني فيستخدم للانتقال إلى

---

(1) Hout, et.al, Op.Cit(1980), P.102.

(2) OIP.98, P.41.

(3) UE.VII, P.65.

(٤) شغلت هذه الحجرة المساحة الممتدة على طول الضلع الشمالي الشرقي للمعبد والبالغة حوالي ١٨م وبعرض ٣م تقريباً، غير أن سجلات التنقيب أفردت الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الحجرة وعدته وحدة عمارية ملحقة بحجرة المدخل. OIP.58, P.43.

(5) Ibid, P.162.

مرافق المعبد الداخلية، وقد حظي موضع كلا المدخلين بترتيبات خاصة تنسجم وطبيعة النظام المتبع في عملية الدخول .

ففي المعابد التي أنشئت وفق نظام المحور المنكسر وزعت المداخل في هــذه الحجــرة بشكل يفرض على الداخل أتباع مساراً محدداً يحرفه عن خطه المحوري وبمقــدار متفــاوت فيتطلب مثلاً اجتياز حجرة المدخل في الطبقة IV من المصلى القديم للإله آبو في تل اســمر الانعطاف بمقدار ٩٠درجة (مخطط٥٣)[١] وكذلك في الحجرة (١٤) من الطبقة V لمعبد الإله انليل في نيبور العائدة لعصر سلالة أور الثالثة(مخطط٥٦)[٢] بينما يشكل المرور عبر حجــرة المدخل الرئيس في معبد الإلهة عشتار كيتيتوم فــي اشــجالي زاويــة بمقــدار ١١٠ درجــة (مخطط٤٠)[٣] كما كان يتوجب اجتياز حجرة المدخل في المصلى المنفرد الأولي للإله آبو في تل اسمر الاستدارة بمقدار ١٨٠ درجة للوصول إلى الحجرة المقدسة (مخطــط٤٩)[٤]. إلا أن معظم مداخل هذه الحجرة في معابد المحور المنكسر كانت تقع بصورة متقابلة بغض النظــر فيما إذا كانت في منتصف الضلع أو عند احد أطرافه، بينما يتولى موضــع مــدخل الجنــاح المقدس تحقيق وظيفة هذا الطراز عبر وضع مدخل هذا الجناح بشكل منحرف عــن محــور مداخل حجرة المدخل مما يستوجب الانعطاف بقدر معين للوصول إلى ذلك الجنــاح. ومــن أمثلتها حجرات المدخل في الطبقات VI-X لمعبد الإله سين في خفاجة (مخططــات٣٥-٣٩) وكذلك في حجرة المدخل للمعبد البيضــوي فــي خفاجــة (مخطــط٢٧) العائــدين لعصــر فجر السلالات، وأيضاً في حجرة المدخل لمعبد گولا فــي آيســن العائــد للعصــر البــابلي القديم (مخطط٥٧).

أما في المعابد التي صممت وفق نظام المحور المستقيم فتقع مداخل هذه الحجــرة فــي منتصف الضلع العريض منها وعلى محور واحد مع مدخل الجناح المقدس كما فــي حجــرة المدخل لمعبد شو-سين في تل اسمر (مخطط٢٩) ومعبد الإله انكــي فــي أور (مخطــط٣٠) العائدين لعصر أور الثالثة، وكذلك في حجرة المدخل لمعبد الإله شمش اي-ببار فــي لارســا (مخطط٣٣) وفي الجناح الرئيس لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي (مخطط٤٠) العائــدة للعصر البابلي القديم. وتجدر الإشارة إلى أن معظم مداخل هذه الحجرة وفي كــلا الطــرازين تقع في الأضلاع الطويلة منها عدا تلك التي يشكل اجتيازها زاوية قائمة.

---

(1) OIP.58, P.167.

(2) OIP.78, P.5.

(3) OIP.98, P.56.

(٤) مورتكات، المصدر السابق، ص٧٠.

أما في الجانب العماري فقد اتسمت حجرة المدخل بأسلوبها العماري البسـيط الـذي لا يكاد يختلف عن بقية الوحدات العمارية المجاورة لها إلا في الاعتناء بعمارة المدخل الخارجي المؤدي إليها لما له من مكانة رمزية بوصفه المدخل الرئيس للمعبد ومثال على ذلك المـدخل في الطبقة X لمعبد الإله سين في خفاجة من عصر فجر السلالات (شكل٤)[١]. ومداخل معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي من العصر البابلي القديم (شكل٦)[٢]. ومدخل معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل (شكل٧)[٣]. وقد تحتوي بعض حجرات المدخل على تراكيب عمارية تؤدي وظيفة خاصة كفرض مسار معين يتوجب على الداخل إتباعه، كما في الجدار البـارز مـن الضـلع الشمالي الغربي في حجرة المدخل للمعبد المربع المخصـص للإلـه آبـو فـي تـل اسـمر (مخطط٦١)[٤].

---

[1] OIP.58, P.74.

[2] OIP.98, P.23.

[3] Baqir , Op.Cit, P.25.

[4] OIP.58, P.175.

الفصل الرابع
عناصر تخطيطية وعمارية

ضمت أبنية المعابد عناصر تخطيطية وعمارية وبنائية فضلاً عن تلك التي ورد بيانها في الفصلين السابقين، وقد أكتسب وجود هذه العناصر صفة الثبات وغدت من السمات المميزة لعمارة المعابد العراقية القديمة.

وساعد وجود هذه العناصر المنقبين والباحثين كثيراً في الاستدلال على طبيعة البنـــاء من جانب- فضلاً عن العناصر الواردة فيما سبق (الحجرة المقدسة ودكاك الآلهـــة والقـــرابين ونظام الدخول إلى المعبد) وتمييز مكانة المعبد من بين الأبنية المحيطة به وتتبع مراحل تطور البناء الديني من جانب أخر.

وعند دراسة هذه العناصر يتضح لنا تأثيرها في عمارة المعبد وتنظيم مخططاته عبـــر العصور، فكان توجيه أركان المعبد نحو **الجهات الأربع** الرئيسة من أهم السمات التي رافقـــت بناء المعابد منذ أقدم نماذجها، وبالمقابل أثرت قدسية المعبد في تطور بعض هـــذه العناصـــر **كالمصاطب** مما أسهم لاحقاً بظهور أبنية الزقورات وهي مباني دينية لم تكن موجودة مسبقاً، واتسمت بضخامة بنائها وهيبة مكانتها. ودخل **الفناء** في أبنية المعابد منذ فترة مبكـــرة وأثـــر وجوده في تنسيق التخطيط الداخلي للبناء من خلال تنظيمه للوحدات العمارية من حوله. فضلاً عن وظائفه العمارية الأخرى.

المبحث الأول

الاتجاهات الأربعة

إن المتتبع لأبنية المعابد في العراق القديم والخطوات التصميمية التي نفذها المعمار فيها منذ نشأتها يلاحظ أن معظمها اتبعت الاتجاهات نفسها[١] والتي بموجبها وجهت أركان المعبد نحو الجهات الأربع الرئيسة: الشمال والجنوب والشرق والغرب[٢]. وقد وردت الإشارة إلى هذه الجهات في اللغة السومرية بصيغة UB.DA.LIMMU.BA ويقابلها في اللغة الاكدية Kibrāt erbetti/arbâi، فيشير المقطع الأول UB.DA من المفردة السومرية والذي تقابله في اللغة الاكدية كلمة Kibrātu إلى أجزاء الكون أو المناطق[٣]. كما وردت أيضاً بصيغة $UB^{MEŠ}$ لتعني العالم[٤] أما المقطع السومري الثاني LÍMMU فيعني الرقم أربعة ويقابله في اللغة الاكدية erbetti/arba'í [٥] ويصبح معناها مجتمعة الجهات الأربع أو الأقاليم الأربعة، من العالم أو الكون، ووفق دلالتها في النص[٦]. وقد ميز العراقيون القدماء بين هذه الجهات فأطلقوا على كل جهة تسمية معينة فأشاروا إلى جهة الشمال بالصيغة السومرية ^{IM}SI.SÁ أو ^{IM}MIR [٧] ويقابلها بالاكدية iltānu أو ištānu ، وعبروا عن جهة الجنوب بالصيغة ^{IM}Ù.LU ويقابلها بالاكدية šūtu وعن جهة الشرق ^{IM}KUR.RA يقابلها بالاكدية

---

[١] لم يقتصر توجيه أركان البناء نحو الجهات الأربع على المباني ذات الصفة الدينية فقد اتبعت أبنية القصور في العراق القديم الأسلوب ذاته منذ أول ظهور لها والمتمثل في قصر مدينة كيش العائد لعصر فجر السلالات الثالث والحصن الاكدي في تل براك وكذلك القصر الاكدي في مدينة أشور إذ يشير هذا التقليد إلى رغبة الملوك أنفسهم في إتباع الأسلوب ذاته في تمييز مقرات حكمهم وكناية عن سعة سلطتهم.

للمزيد عن سمات أبنية القصور في العراق القديم يراجع: مؤيد، المصدر السابق، ١٩٨٥أ، ص١٢١-١٢٧.

وكذلك: Oates, D., et. al, Excavation at Tell Brak, Vol.2, London(2001), PP.19-21.

[٢] الياور، طلعت رشاد، "المناخ وأثره في فن البناء في (العمارة الأثرية)"، في: ندوة العمارة والبيئة، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص١١.

[٣] لابات، المصدر السابق، ص١٣٩. العلامة:٣٠٦ وكذلك CAD, "K", P.331^{a} .

[4] CDA, P.156^{a}.

[5] CAD,"E", P.255^{a} .

[٦] لابات، المصدر السابق، ص١٣٩. العلامة:٣٠٦.

[٧] أستخدم العراقيون القدماء العلامة الدالة IM للتعبير عن الاتجاهات وهي ذاتها المعبرة عن الرياح وأنواعها. الجميلي، عامر عبد الله، "المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص٧.

šádû وأخيراً أطلقوا على جهة الغرب صيغة IMA.MUR.RU واستخدمت الصيغة ذاتها في اللغة الاكدية amurru[١].

استُخدم هذا الوصف "ملك الجهات الأربع" كلقب حمل مدلولاً دينياً فضلاً عن مدلولـه السياسي، إذ كان يدخل في ألقاب بعض الآلهة العظام منهم آنو وانليل وشمش بوصفهم أسـياد الكون والمهيمنين على اتخاذ القرارات الهامة فيه، أما مدلوله السياسي فهو لقب يشـير إلـى اتساع السلطة وزيادة رقعة المملكة وامتداد نفوذها السياسي إلى البلدان المجاورة لذلك تلقب به العديد من الملوك في العراق القديم وقد أدخل الملوك هذا اللقب ضمن ألقابهم الملكية لكـونهم أصبحوا ممثلين للآلهة في حكم البشر والعالم[٢] ويرجع أول استخدام له مع الملوك الاكـديين الذين استطاعوا تحقيق وحدة البلاد وبسط نفوذهم على البلدان المجاورة فكان هذا اللقب يلائـم ما حدث من تغيرات سياسية[٣]. وكان الملك نرام-سين (٢٢٥٤-٢٢١٨ق.م) أول من أطلـق على نفسه لقب ملك الجهات الأربع من بين الملوك الاكديين كما في النص الأتي:

dna-ra-am-dEN.ZU LUGAL Ki-ib-ra-tim a-na dINANNA in NIBRUKI A.MU.RU

(نرام سين ملك الجهات الأربع إلى الإلهة إنانا (عشتار) في مدينة نيبور كرس)[٤].

وسار على نهج نرام-سين الملوك والحكام العراقيين القدماء بإتخاذهم لهذا اللقـب إذ نجده يتكرر عند ملوك سلالة أور الثالثة وملوك العصر البابلي القديم والملوك الكشيين وأستمر هذا اللقب حتى أصبح تقليداً شائعاً ضمن سلسلة ألقاب ملوك العصر الأشوري الحـديث، ولـم يبطل استعمال هذا اللقب حتى بعد نهاية العصر البابلي الحديث فقد تلقب به الملك الاخمينـي كورش الثاني (٥٣٨-٥٢٩ ق.م) بعد احتلال بابل[٥].

غير أن أقدم إشارة يمكن ملاحظتها عن أهمية هذه الجهات في الفكر العراقي القـديم تسبق ظهور التدوين وترجع إلى عصر العبيد الأول في منتصف الألف الرابع قبـل المـيلاد وتحديداً في الطبقة XVII لمدينة اريدو التي ضمت أولى نماذج المعابد وقد وجهت أركانهـا

---

(1) Horowitz , W, Mesopotamia Cosmic Geography , USA(1998), P.169f. ; CAD,"I-J", P.270a ; "Š" Part. III, P.409a ; "Š" Part. I, P.59b. "A", Part. II, P.92b.

(2) Frankfort, H., Kingship and The Gods, Chicago(1978), P.228.

(٣) علي، فاضل عبد الواحد، "طلائع الفكر السياسي في العراق القديم"، أفـاق عربيـة، عـدد ٣/٤، ٢٠٠٠، ص٤١.

(4) RIME, Vol.2, P.148, No.37.

(٥) محمد، هيفاء احمد عبد الحاج، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشـورة، جامعـة الموصل، ٢٠٠٧، ص١٧٤-١٧٩.

نحو الجهات الأربع الرئيسة[١]، وهذا ما يدل على أن هذه الفكرة كانت حاضرة في الفكر الوجداني للإنسان العراقي القديم، لكنها لم تجد مجالها التطبيقي في الواقع المادي إلا بظهور المعبد بوصفه بناءً ذو صفة مميزة عن بقية المباني، والذي بدوره ترجم الأفكار إلى واقع ملموس، وأصبح هذا البناء ومنذ أول ظهور عماري له مرآة تعكس أدق تفاصيل المعتقد وتبلوره عبر العصور.

وبالرغم من التعبير المادي المبكر لأهمية هذه الجهات وقدسيتها في الفكر العراقي القديم والمتمثل بتوجيه أولى أبنية العبادة نحو الجهات الأربع الرئيسة وكذلك ورودها في العديد من النصوص المسمارية كالأساطير والملاحم والنصوص الملكية، ورغم ذلك لم يأتِ في هذه النصوص ما يفسر أصل هذه الفكرة ومكانتها في المعتقد العراقي القديم لكونهم لم يهتموا بتقديم الدلائل والحجج المقنعة للعقل، بل كان همهم الأول تعليل الظواهر الكونية والطبيعية والأفكار المجردة التي صيغت بأسلوب عاطفي مؤثر ووضعت في إطار أسطوري[٢].

يبدو أن أصل هذه الفكرة ومدلولها نابع من نظرة شاملة للكون وتلافيفه، آمن بها العراقيون القدماء إيماناً عميقاً، وتركت هذه النظرة أثرها في الدوافع والحوافز التي تسيرهم، وان هذه النظرة الكونية يعبر عنها تعبيراً جزئياً نلمسه في العمارة والأساطير والألقاب، أما تفاصيل هذا التعبير فتظهر في شكل أسئلة معينة تخفي ورائها اتفاقاً عاماً على مبادئ أولية تكاد تكون من الوضوح بحيث لا يحتاج التعبير عنها وتفسيرها لما لها من الشمول والإحاطة ويمكن أن ندرك أبعادها من خلال النتاج المادي والفكري الذي يصوغ شكلاً عاماً لنظم التفكير في كل عصر[٣]. وتظهر بوادر هذا الشكل من التفكير مع انتقال الإنسان من الكهوف إلى المستوطنات الموسمية التي أستقر فيها والتي رافقها عدة تغيرات جوهرية ساهمت في تطوره اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً ولعل أهم هذه التغيرات انتقاله من جمع القوت إلى إنتاجه وما صاحبها من اعتماده على عناصر الطبيعة وطاقاتها الكامنة في إنتاج القوت، فكانت للأرض خصوبتها وأهميتها في شتى مجالات الحياة، وللمياه قدرتها على إنبات المحاصيل وسقي الحيوانات فضلاً عن استخداماته في العديد من النشاطات الحياتية الأخرى، كما للشمس أثرها على نمو النبات وتجفيف اللبن والأواني الفخارية، فانصب الجهد الفكري للإنسان في محاولة تفسير هذه العناصر وتعليل طاقتها الكامنة، ولبعده عن الإدراك التوحيدي في هذه المرحلة، فقد

---

[١] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٨، ص٢٨٢.

[٢] كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، بغداد، ١٩٥٧، ص١٥٨.

[3] Whitehead, A. N., Adventures of Ideas, London(1948), P.20.

عزاها إلى قوى خارقة كامنة في هذه العناصر تسيرها وفق ما تشاء، وتقدر على البشر الخير والثواب أو الشر والعقاب وكل حسب دوره في النظام الكوني[١].

واحتلت السماء في نظرهم المكانة العليا من بين العناصر الأساسية التي يتألف منها الكون (السماء، الأرض، المياه، الهواء) لدورها الذي تلعبه في تركيب الكون، والمحل العالي الذي تحتله لكونها فوق كل شيء، وهذا ما ولد لدى الإنسان الشعور بأن السماء الهائلة الاتساع تحيط بهم من الجهات جميعها[٢]. وان سلطتها المطلقة والمتجسدة بشخص الإله آنو أعظم الآلهة شاناً ومصدراً لجميع السلطات قد أرفدت هذا الشعور بأفكار تعبر عن طبيعة نظرتهم إلى أسمى ما في الكون وتعكس إحساسهم بالشمول والإحاطة الذي ينتابهم عند التأمل بها[٣].

وهذا ما تشير إليه ضمناً علامة الإلوهية بشكلها البدائي الخاصة بإله السماء والتي استخدمت كذلك للإشارة إلى كلمة إله بشكل مطلق وكانت تكتب بهيئة نجمة ذات ثمانية رؤوس وان هذه الرؤوس الثمانية ما هي في حقيقتها إلا مؤشرات إلى جهات الكون الجغرافية جميعها وهذا يعني أن هذه الاتجاهات كانت تعبر عن الشمول وتهدف أيضاً إلى التأكيد على أن الإله موجود في كل مكان من الكون، ومما يؤكد إن هذه الرؤوس الثمانية لا علاقة لها بالنجمة بل إنها تؤشر فعلاً إلى جهات الكون جميعها هو أن هذه العلامة لم تستخدم إطلاقاً للدلالة على النجمة وان شبهها بالنجمة دفع العراقيين القدماء إلى أن يكتبوا كلمة نجمة بتكرار العلامة المذكورة ثلاث مرات كي يفرقوا بين كلمة آنو الإله وبين كلمة نجمة[٤]. ولما كان المعبد أول بناء عقائدي كرسه الإنسان لعبادة قوى الكون الكامنة في المظاهر الطبيعية فقد أولوا اهتماماً بإيجاد التطابق بين نظام الكون الكبير ونظام المعبد ككون صغير عن طريق الزوايا والمقاييس[٥].

شمال
شمال غرب
شمال شرق
غرب
شرق
جنوب غرب
جنوب شرق
جنوب

فضلاً عما تقدم يمكن أن يعزى سبب توجيه أركان أولى أبنية المعابد نحو الجهات الرئيسة دون سواها من المباني إلى عدة أسباب هي: إن توجيه أركان المعبد نحو الجهات الرئيسة يعبر عن محاكاة نفسية لصفة التميز التي رغب المعمار في إضفائها على هذا البناء ولكي تسير على منوالها المباني الدينية في العصور اللاحقة، فقد دفع التركيز على استقلالية المعبد عمارياً إلى إتباع نمط تخطيطي مبتكر مستمد من الفكر الديني يميزه عن البيوت

---

[١] عكاشة، المصدر السابق، ص٥٨.

[٢] فرانكفورت، المصدر السابق، ١٩٨٠، ص١٥٩.

[٣] المصدر نفسه، ص١٦١.

[٤] رشيد، المصدر السابق، ١٩٨٥، ص١٤٩ وكذلك يراجع : لابات، المصدر السابق، ص٤٩. العلامة: ١٣.

[٥] عكاشة، المصدر السابق، ص٤١٩.

السكنية المحيطة به. خصوصاً ان انتخاب موضع البناء لم يكن متبلوراً بشكل كافي، كما أن مواد البناء المستخدمة في تشييده هي ذاتها المستخدمة في بناء البيوت السكنية، وفضلاً عن ذلك أن الخصائص البنائية المميزة لعمارة المعابد لم تكن قد استخدمت فيها بعد بحكم التطور العماري كالمصطبة التي يشيد فوقها المعبد، وعنصري الطلعات والدخلات في الجدران الخارجية للمعبد.

ومن الناحية العمارية فإن موقع البناء واتجاه أركانه نحو الجهات الرئيسة يؤدي دوراً كبيراً في الوقاية من تأثيرات الرطوبة من خلال تعرض القدر الأكبر من واجهة البناء لأطول فترة ممكنة لأشعة الشمس، مما يحافظ على جفاف جدرانه[١] ويضمن هذا التوجيه أيضاً الحصول على مناخ متغير داخل البناء وعلى مدار اليوم من خلال مراعاته لزاوية سقوط أشعة الشمس على البناء وحركة دورانها من الشرق إلى الغرب (شكل٨٤)[٢]. كما يعطي سطوع الشمس على الجدران المحتوية على طلعات بارزة انطباعاً جمالياً لمظهر المعبد الخارجي من خلال انكسارات الظل التي تخلفها.

أستغل الملوك قدسية هذه الجهات في تخليد أعمالهم العمارية إذ قاموا بوضع تماثيل الأسس عند زوايا المباني الرئيسة كالمعابد والقصور في الغالب والتي تطابق الجهات الأربع وتحمل هذه التماثيل نصوصاً تؤرخ عملية البناء أو التجديد التي قاموا بها، فضلاً عن وضعهم التمائم والحرز والمواد الثمينة معها. ويرجع وجود هذه التماثيل في أركان المبنى إلى دافع طقوسي سحري يهدف إلى تثبيت البناء في الأرض المقام عليها وهذا ما يدل عليه شكلها الذي كان بهيئة مسامير أو أوتاد تغرس بالأرض بينما يمثل الجزء العلوي منها على شكل إنسان أو حيوان أو تنتهي بحلقة من الأعلى(شكل٨٥)[٣]، وكما تهدف هذه التماثيل إلى منع القوى الشريرة التي قد تنبعث من الأعماق فتلحق الأذى بالمبنى[٤]. وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن العديد من نماذج هذه التماثيل في أركان البناء منها على سبيل المثال الأوتاد الفضية المكتشفة

---

[١] الزعبي، يوسف،"المباني ذات الفناء الداخلي ظاهرة مناخية"، البناء الحضاري، عدد ٩، بغداد، ١٩٨١، ص١٩.

[٢] الياور، المصدر السابق، ص١٢.

[٣] يرجع تاريخ أقدم تماثيل الأسس إلى عصر الوركاء، وقد عثر على هذه التماثيل في أسس المعابد وبصورة خاصة في الزوايا والأبواب. وكانت جميع تماثيل الأسس العائدة إلى عصر فجر السلالات ينتهي أسفلها بشكل مسمار أما النصف الأعلى منها فهو بشكل الإنسان لذلك أطلق الباحثون على هذا النوع من التماثيل تسمية الإنسان المسمار. رشيد، صبحي أنور، تماثيل الأسس السومرية، بغداد، ١٩٨٠، ص٩. وكذلك: العلوش، المصدر السابق، ص٧.

[٤] مورتكات، المصدر السابق، ص٦٤.

في أركان معبد عشتار الطبقة VII في نيبور العائدة لعصر فجر السلالات[١]، كما عثر على تماثيل أسس فضلاً عن عدد من المواد الثمينة في زوايا الزقورة الكبيرة لمدينة أشور والعائدة لزمن الملك شمشي ادد الأول[٢].

ولم يقتصر وجود تماثيل الأسس على أركان البناء فقط بل توزعت أحيانا على زوايا الحجرات أيضا منها على سبيل المثال تماثيل الأسس المكتشفة في الزوايا الأربع للحجرة المقدسة في معبد عشتار في مدينة ماري[٣]. إن وجود هذه التماثيل ساعد الباحثين كثيراً في الكشف عن طبيعة المبنى وتحديد تاريخه ومن قام بتشييده وتجديده، فضلاً عن هذا فقد أعطتهم صورة عن طبيعة الطقوس الدينية التي ترافق عملية إنشاء المعبد وأهميتها للملوك.

بالرغم من أهمية الجهات الأربع في الفكر العراقي القديم وحرص المعمار على توجيه أركان المعبد نحوها إلا أن التنقيبات الأثرية في المباني الدينية في موقع خفاجة العائدة لعصر فجر السلالات تُظهر غير ذلك، إذ لم يبدِ المعمار أهمية كبيرة لتوجيه هذه المعابد بشكل دقيق نحو الجهات الأربع بل التزم باعتبارات عملية تتعلق بالمساحة المتاحة وسط الدور السكنية بدلاً من التزامه باعتبارات شعائرية ومن هذه المعابد معبد ننتو ومعبد سين والمعابد الصغيرة[٤].

أسلوب التوجيه ونظام التشريق في المعابد العراقية القديمة

كانت الشمس أول الظواهر التي استخدمها العراقيون القدماء لمعرفة الاتجاه فعن طريقها أمكن تحديد الجهات الأساسية فالجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب فيها كانت أول الجهات التي اهتدوا إليها ثم قسموا ما بينهما على اتجاهين فسموا الأعلى شمالاً والأسفل جنوباً وعلى هذا الأساس اهتدوا إلى معرفة الجهات الأساسية[٥].

نال اتجاه الشرق مكانة خاصة في نفوس العراقيين القدماء لكونه الجانب الذي تشرق منه الشمس، ذلك الجرم السماوي الذي أوكلت مهامه إلى الإله شمش والذي يستطيع أن يكشف بضيائه الظلمات وهو قادر على رؤية كل شيء، لذلك انيطت به مهام عديدة أبرزها نشر الحق والعدل بين الناس، ومشهد ظهور الإله شمش من بين الجبال مصور على الأختام

---

[1] Ellis, R., Foundation Deposits in Ancient Mesopotamia, London(1968), P.46.

[٢] اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦ب، ص٦٨.

[3] Rashid, S. A.,"Beitrag Zu Den Grundungsbugeln Von Uruk Und Mari", SUMER, Vol.37(1981), P.96.

[4] OIP.58, P.103.

[٥] الجميلي، المصدر السابق، ص٥.

الاسطوانية بهيئة رجل تخرج من ظهره أحزمة الأشعة الشمسية وهو واضع قدمه اليمنى على جبل وفي يده اليسرى منشار وأمامه إلهان يفتحان له أبواب السماء (شكل٨٦).

وتتضح أهمية هذا الاتجاه أيضاً من خلال التسمية التي أطلقوها عليه وهو المصطلح السومري ^IM^KUR.RA الذي يشير إلى الجبال الشرقية والشمالية الشرقية في العراق وربما تدل هذه التسمية ضمناً على موطن السومريين الأول الذي قدموا منه[١]. كما أُطلق هذا المصطلح أيضاً على معبد الإله انليل في نيبور لأنه يمثل المعبد الرئيس لبلاد سومر جميعها ويعني بيت الجبل، كما تُعبر ترتيلة للإلهة عشتار عن أهمية اتجاه الشرق كونه الجانب الذي يظهر فيه كوكب الزهرة المرتبط بهذه الإلهة إذ جاء في الترتيلة (لاهوتك مثل القمر والشمس في السماء الصافية. يشرق صباحك في زاوية السماء ليبدد الظلام إلى نور)[٢].

ويُظهر الجانب العماري صورة أخرى لمكانة هذا الاتجاه عند العراقيين القدماء، إذ وجُه الضلع الذي يضم المدخل الرئيس في معظم أبنية المعابد باتجاه الشرق بصورة يواجه فيها تمثال الإله لهذا الجانب، وقد اتُبع هذا النظام مع أولى أبنية المعابد المعروفة في مدينة اريدو الطبقة XVII وأستمر في العصور اللاحقة[٣]، ولقد خضع أسلوب توجيه المعبد جغرافياً نحو الجهات الأربع الرئيسة إلى نظام دقيق قائم على أساس معامدة أحد أركان البناء لاتجاه الشرق اعتماداً على نقطة شروق الشمس.

ومع تقدم العلوم الفلكية خلال العصرين البابلي والأشوري القديمين[٤]. أُتبع النظام الفلكي في التوجيه الشرقي للمعابد إذ أن تقليد الجهات الأربع في السماء يوازي نظيره على الأرض إذ تُمثل مجموعة الدب الأكبر وبرج الحوت وبرج العقرب ومجموعة نجوم الثريا في برج الثور اتجاهات الشمال والجنوب والشرق والغرب على التوالي، ويقترح الباحث **هورويتز** ان الدائرة الفلكية للسماء كانت مقسمة إلى أربعة مثلثات متساوية بدلاً من أربعة مربعات[٥].

---

[١] حول الآراء المتعلقة بأصل السومريين وموطنهم الأول يراجع : كريمر، المصدر السابق، ١٩٧٣، ص٢٤-٢٧. وكذلك يراجع: حنون، نائل، حقيقة السومريين، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٩-٤٦.

[2] Horowitz, Op.Cit, P.259.

[٣] حول موضع المدخل الخارجي في المعابد العراقية القديمة يراجع الجدول رقم (٢).

[٤] يشير الباحثون إلى أن أسس علم الفلك وأصوله ومبادئه تعود إلى عصور قبل التاريخ، وهذا ما تعززه قصة الخليقة البابلية التي تمتد جذورها إلى تلك العصور، إذ يذكر اللوح الخامس منها كيفية قيام الإله مردوك بخلق الكواكب والأبراج وتقسيم أيام السنة وتوزيعها على الأبراج وتحديد الأدوار الفلكية للآلهة.
للمزيد يراجع : باقر وفرنسيس، المصدر السابق، ص٢٧.

[5] Horowitz, Op.Cit, P.259.

وانطلاقا مما سبق يشير **مارتيني** إلى أن التوجيه الشرقي للمعابد في العصر الأشوري القديم أعتمد على الدائرة الفلكية في السماء والتي كانت مستخدمة في هذا العصر، أما في العصر البابلي القديم فقد أشار **مارتيني** إلى صعوبة افتراض كون هذه المعابد قد اتبعت توجيهاً فلكياً للشرق وفق النظام الأشوري[١]. بينما في العصر البابلي الحديث أُعتمد في التوجيه الفلكي نحو الشرق على النجوم الفردية المنسوبة إلى آلهة محددة، وقد أثبت العالم الفلكي **نيكوبور** موقع الدائرة الفلكية لتوجيه التشريق التي استخدمها الأشوريون والتي مرت عبر المجاميع النجمية المسماة التتين (Draconis) والدب الأصغر (Ursae minoris) والملتهب (Cephei) وذات الكرسي (Cassiopeiae) والمرأة المسلسلة (Andromedae) و القَيطَس والدب الأكبر (Ceti and Ursae maioris) والعذراء (Virginis) وثعبان الماء (Hydrae) و الصليب الجنوبي (Crucis) وبحساب موقع هذه النجوم وعلاقتها ببعضها وبنظام التشريق فقد توصل هذا الباحث إلى استنتاج قاطع حول تاريخ إعداد الأرصاد الخاصة بالتشريق والذي كان يطابق اليوم الأول في السنة الأشورية وإن الساعة كانت وقت شروق الشمس. ومن خلال ذلك توصل إلى أن خط التشريق في المعابد لا يبقى ثابتاً لكنه ينحرف انحرافاً متزايداً بعكس اتجاه عقارب الساعة مع مرور الزمن، فكلما كان المعبد عائد لعصور متأخرة كلما تصغر زاوية تشريقه(شكل٨٧)[٢]. ويشابه نظام التشريق الفلكي للمعابد نظيره الجغرافي من الناحية العملية إذ يواجه تمثال الإله فيه جانب الشرق ويكون موضعه مناقضاً لاتجاه المتعبدين نحوه مما نتج عنه إتباع نظام محدد في خط سير المتعبدين والذي كان يتجه في المعابد الأشورية من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي وذلك بسبب كون نجوم الاتجاه الشرقي كانت ترصد في الجهة الجنوبية الشرقية فقط مما استوجب ان يهيئ تمثال الإله ليواجه هذا الاتجاه(شكل٨٨ أ)[٣] لذلك فقد جرى تصميم موقع الحجرة المقدسة في الجانب الشمالي الغربي من المعبد ويكون محور العبادة فيه من الجانب الجنوبي الشرقي إلى الشمالي الغربي، بينما كان محور اتجاه العبادة في المعابد البابلية من الجانب الشمالي الشرقي إلى الجانب الجنوبي الغربي لاعتماده على نظام التشريق الجغرافي(شكل٨٨ ب)[٤].

لقد أعتمد الباحثون على زوايا التشريق الخاصة بالمعابد الأشورية كوسيلة في تقدير تاريخ بعض معابد العراق القديم الأخرى التي لم تتبع النظام ذاته، ففي المعبد الملحق بقصر

---

(1) OIP.43, P.92.

(2) Ibid, P.92.

(3) Ibid, P.93.

(٤) يوسف، المصدر السابق، ص٨٥.

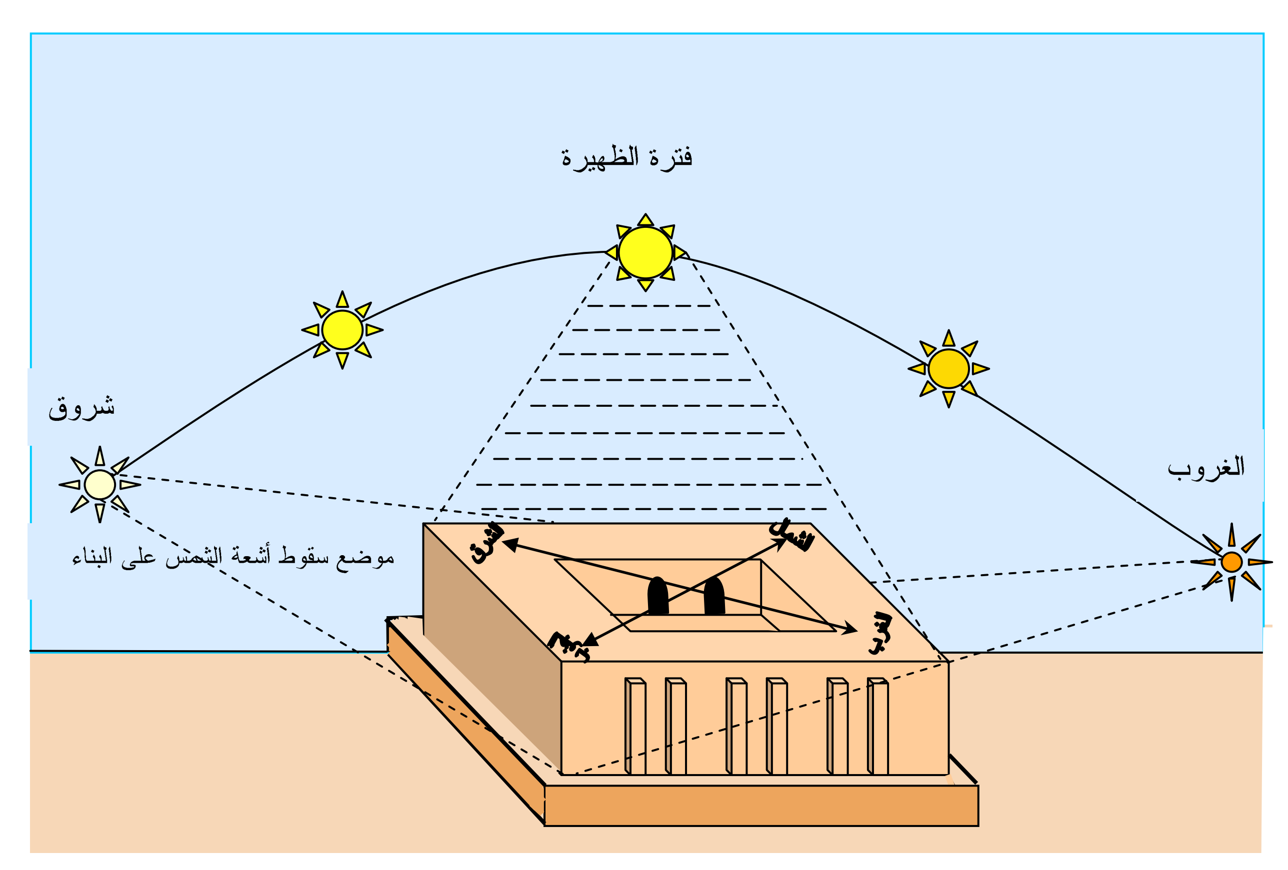
شو–سين في تل اسمر(اشنونا) والذي اتبع الطراز البابلي في تخطيطه كان انحـــراف اتجـــاه الشمال المغناطيسي في أثناء أعمال التنقيب يبلغ °٤ غرباً وبناءاً على ذلـــك أمكـــن تحديـــد متوسط اتجاه التشريق في المعبد بمقدار °٣٢٠.٣ وبالاعتماد على هذه النتـــائج قُـــدر تـــاريخ المعبد إلى ٢٣٠٠ق.م تقريباً (الشكل٨٧)[١].

أما تاريخ المبنى المعتمد على اللقى الأثرية والطرز العمارية والنصوص المســـمارية التي تذكر بأنه أنشئ من لدن اتوريا حاكم اشنونا التابع لشو–سين في أور، وإن المعبد الملحق بالقصر قد بني في فترة متأخرة عن القصر وقد أكمل بنائه الوشويا ابـــن اتوريـــا، إذ أرخـــه المنقبون إلى عام ٢٣٠٩ق.م[٢]. ويشير هذا التاريخ إلى عدم وجود فارق زمني كبيـــر بـــين التقدير الاثاري والفلكي.

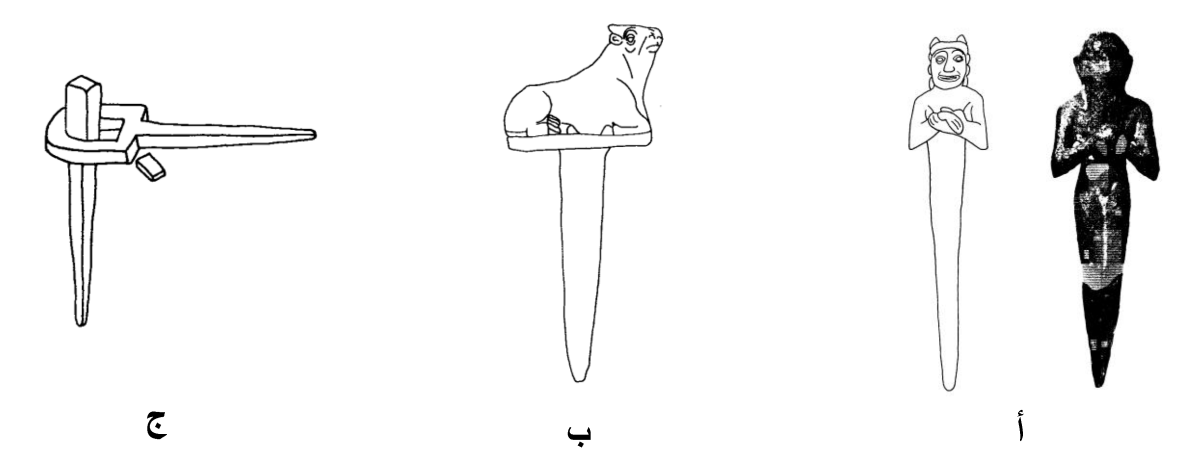
---

(1) OIP.43, P.94.

(2) Ibid, P.9.



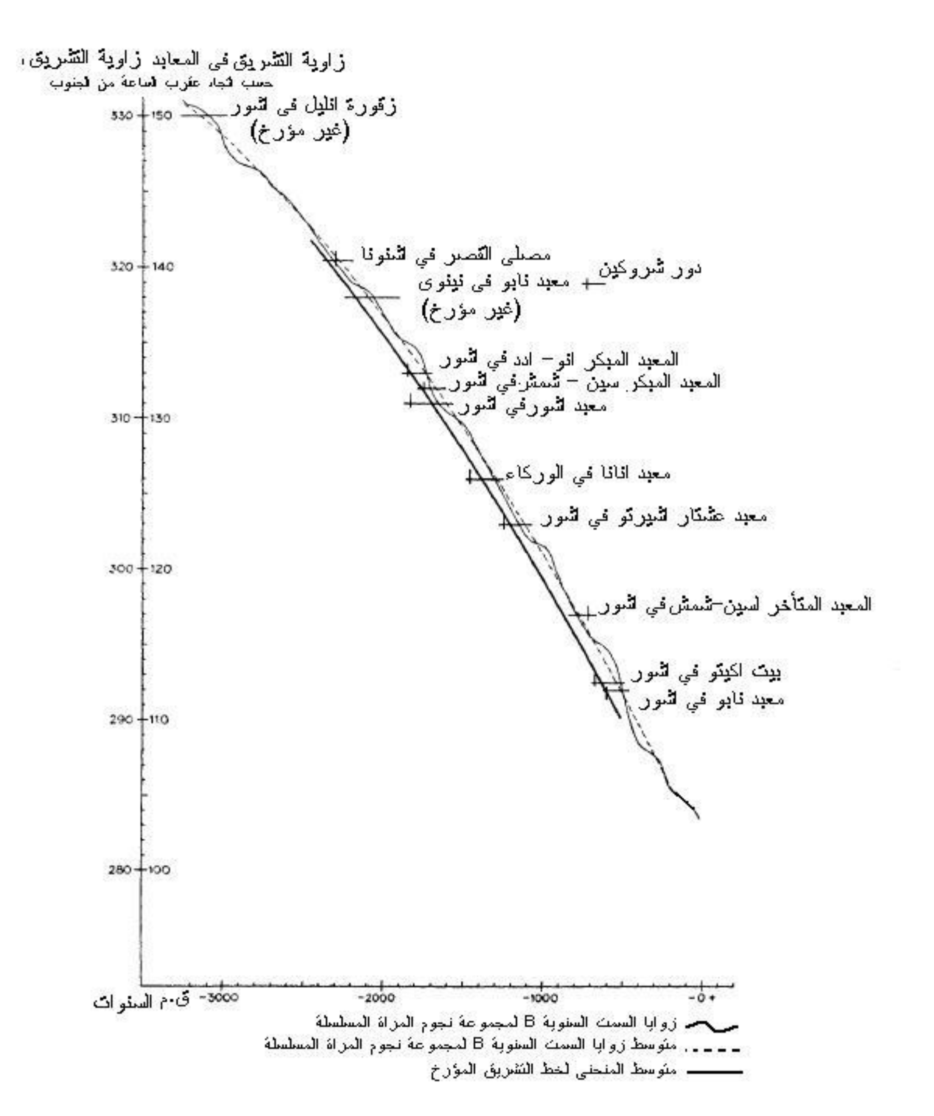
الشكل (٨٤) موضع زاوية سقوط أشعة الشمس على البناء خلال ساعات النهار(المصدر: الباحث)



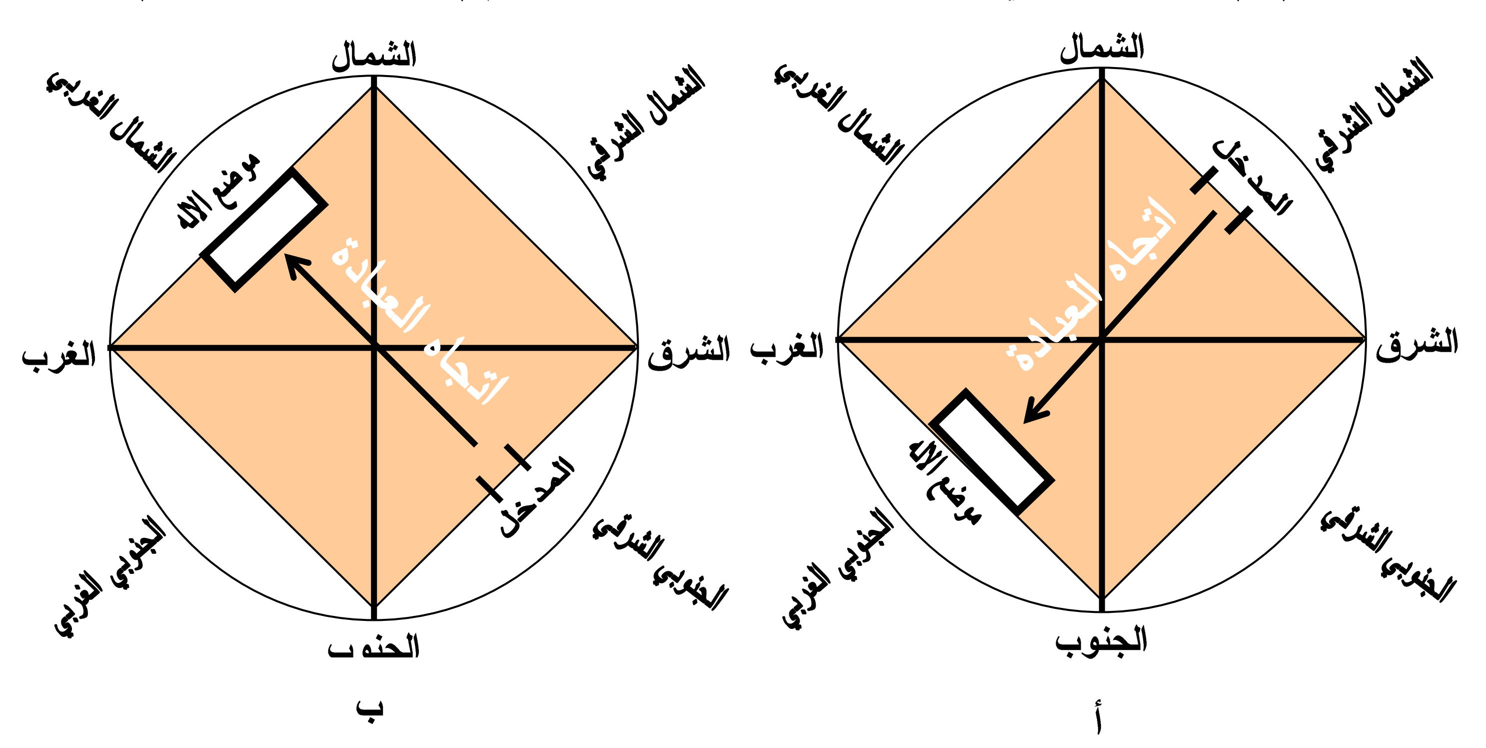
الشكل (٨٥) نماذج لتماثيل الأسس في أبنية المعابد العراقية القديمة (Ellis, 1968, Fig.8,18,2)



الشكل (٨٦) طبعة ختم تمثل ظهور الإله شمش من بين الجبال (المصدر: سعيد، ١٩٨٥أ، ص١٥٩)

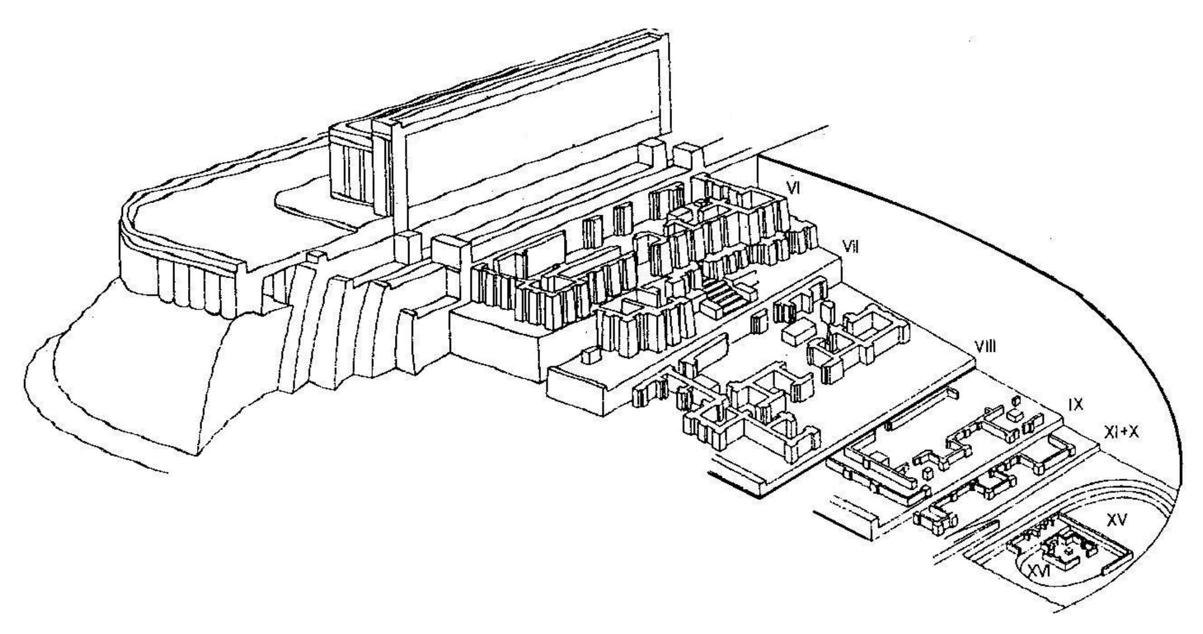


الشكل (٨٧) زوايا التشريق في المعابد الأشورية للفترة ٣٠٠٠–٥٠٠ق.م (المصدر: OIP.43, P.93)

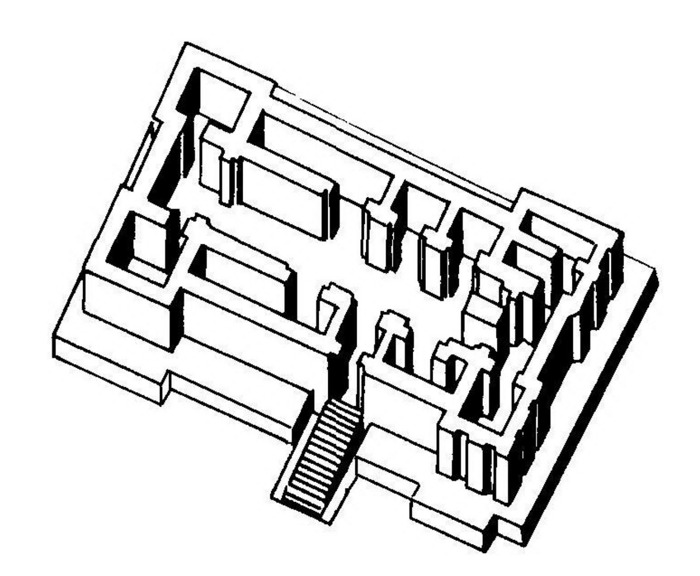


الشكل (٨٨) أ– اتجاه محور العبادة في المعابد ذات الطراز البابلي.

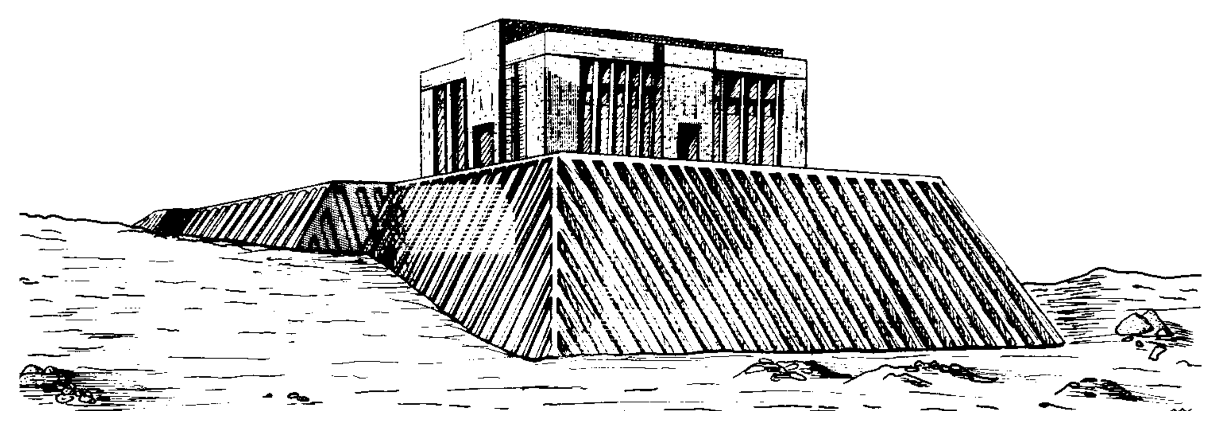
ب– اتجاه محور العبادة في المعابد ذات الطراز الأشوري (المصدر : الباحث)



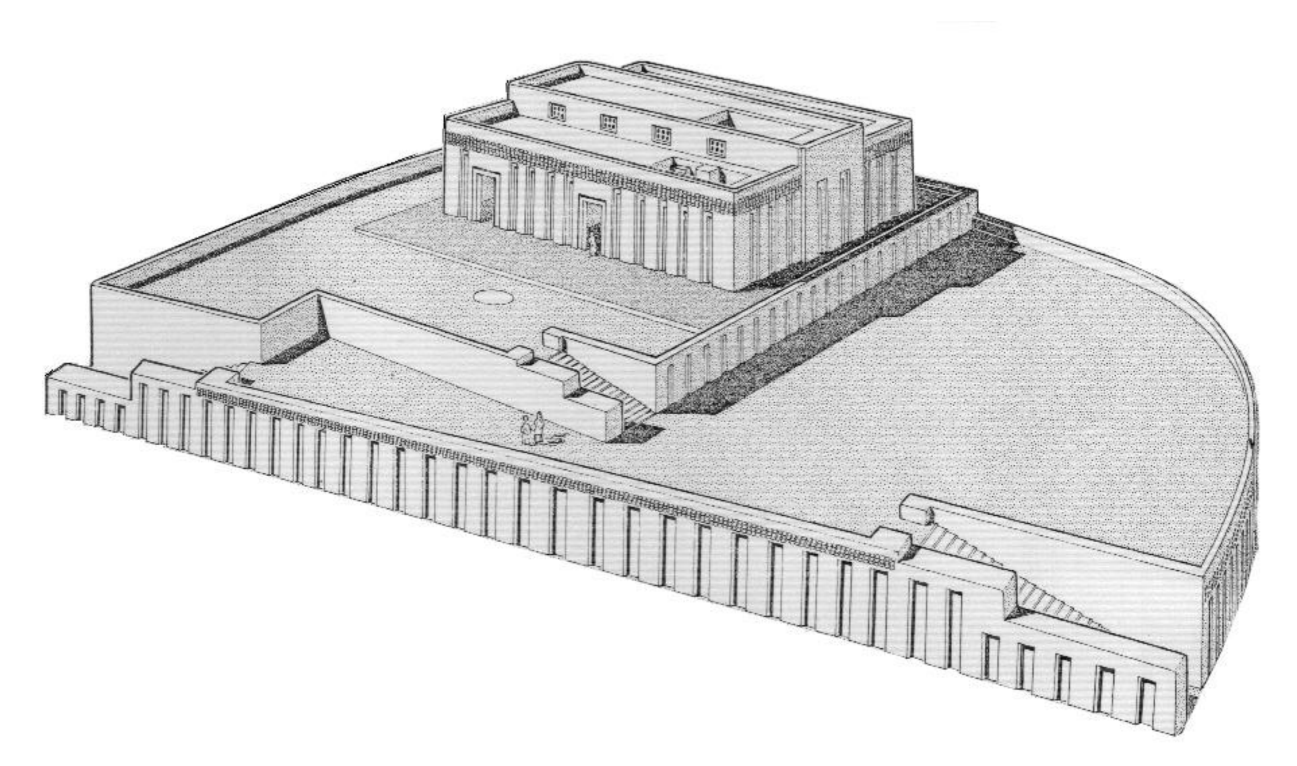
الشكل (٨٩) يوضح تشكل المصطبة نتيجة لعمليات إعادة البناء في معابد اريدو(المصدر: Postgate, 1999, P.25)



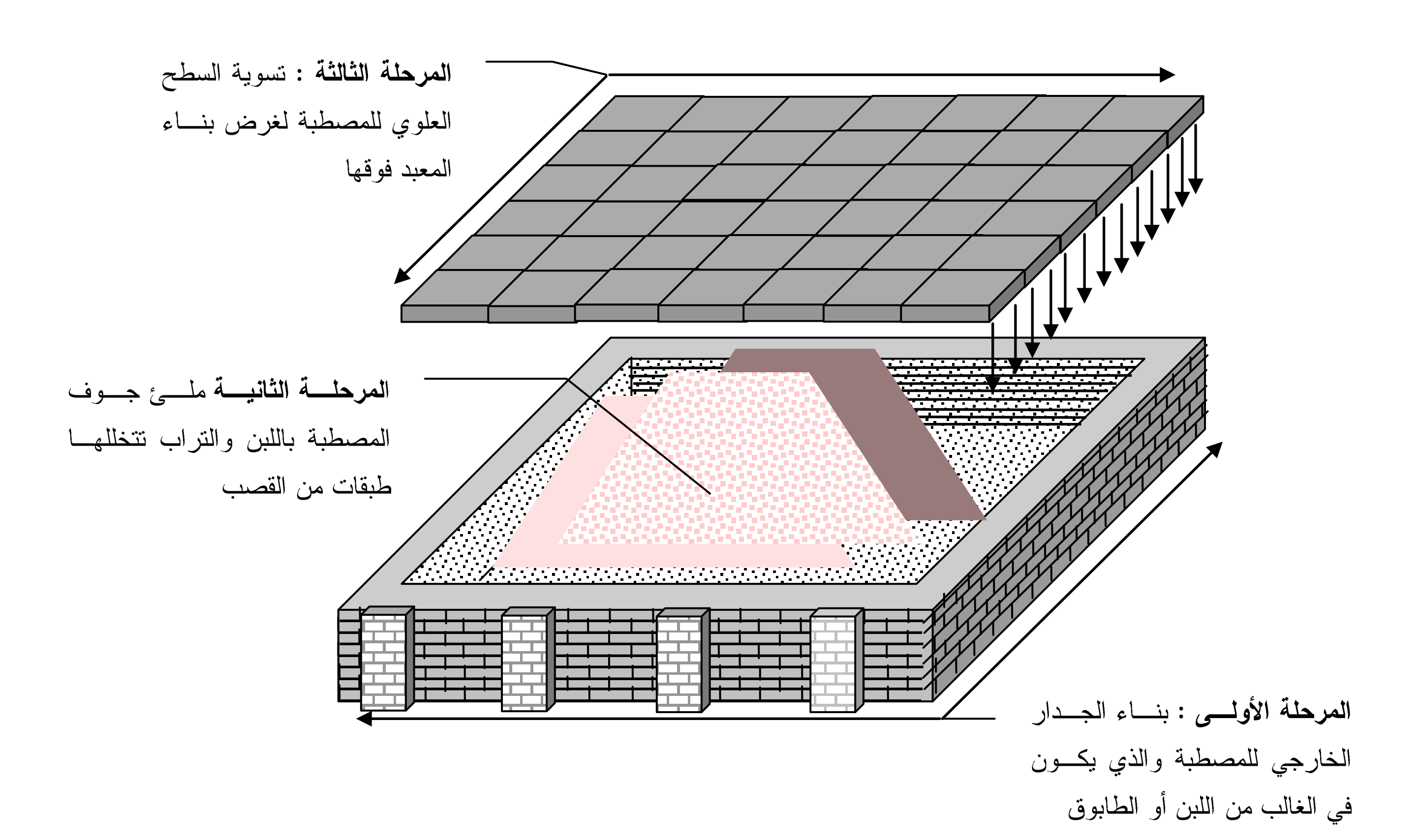
الشكل (٩٠) مسقط ايزومتري(جنوبي–شرقي) لمعبد اريدو الطبقة VII (المصدر: Amiet,1981, P.80)



الشكل (٩١) مصطبة معبد الإله انو في مدينة الوركاء (المصدر: Gates, 2003, P.34)



الشكل (٩٢) مسقط ايزومتري (شمالي-شرقي) للمعبد المصبوغ في تل العقير العائد لعصر جمدة نصر
(المصدر: Lloyd,1943, PL.XIV)



الشكل (٩٣) يوضح مراحل إنشاء المصطبة في المعابد العراقية القديمة (المصدر: الباحث)

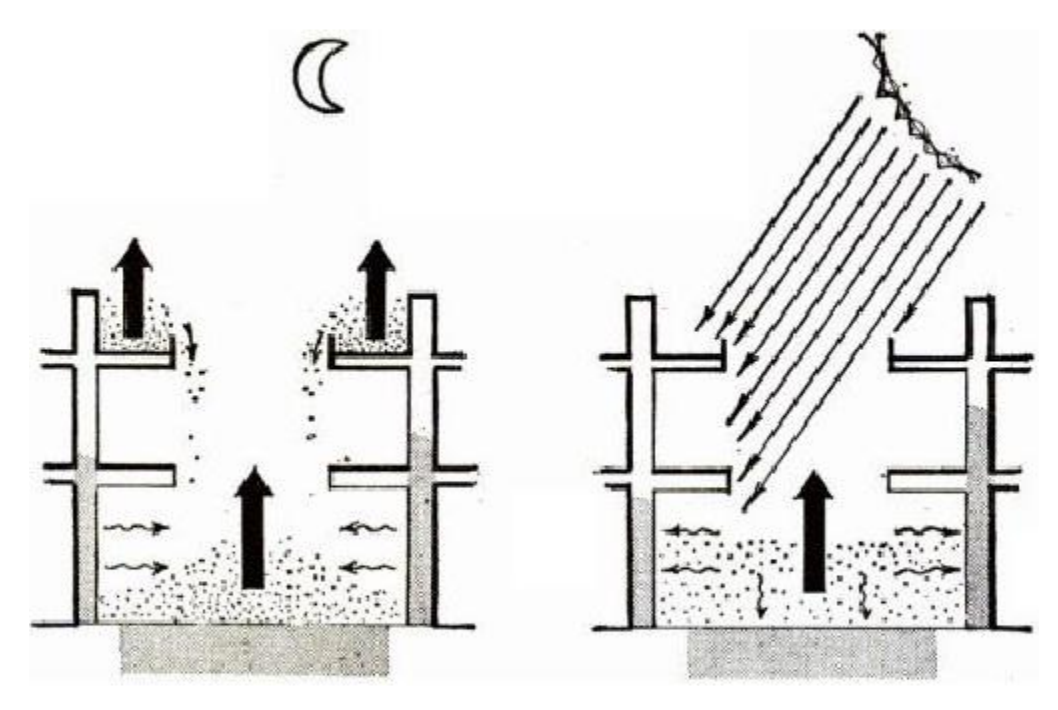
المرحلة الرابعة : تسوية السطح العلوي للمصطبة لغرض بنــاء المعبد فوقها

المرحلة الثالثة : ملئ جــوف المصــطبة بــاللبن والتــراب تتخللها طبقات من القصب

المرحلة الأولى : بنــاء الجــدار الخارجي للمصطبة والذي يكون في الغالب من اللبن أو الطابوق

المرحلة الثانية : تقسيم جوف المصطبة بواسطة جدران عرضية إلى عدة أقسام لزيادة صلابتها

الشكل (٩٤) يوضح الطريقة الثانية في إنشاء المصطبة والتي استخدمت في معبد الطبقة الثالثة في قالينج آغا (المصدر: الباحث)



الشكل (٩٥) دور الفناء الداخلي في تلطيف الأجواء الداخلية للبناء(المصدر:Dunham, 1960, P.666)

المبحث الثاني

المصطبة

تُعد المصاطب من العناصر العمارية المميزة لأبنية المعابد العراقيـــة القديمـــة، إذ ورد ذكرها في النصوص المسمارية بالصيغة السومرية GI.GUN$_4$.NA وكـــذلك GI.GÚ.NA يرادفها في اللغة الاكدية الكلمة gigunû التي استخدمت منذ العصر البابلي القـــديم، وتعنـــي الشرفة العالية التي ينشىء عليها المعبد[١]. كما تستخدم للدلالة على المعبد العالي الذي يعلـــو الزقورة[٢]. وقد وردت في النصوص الملكية العائدة للعصر ذاته كلمة اكدية أخـــرى بصـــيغة Tamlû للإشارة إلى المصطبة أيضاً[٣] وفضلاً عن هذه المصطلحات أُطلـــق علـــى بعـــض المصاطب أسماء خاصة بها، فقد حملت مصطبة إله القمر(سين) التي بناها الملك اورنمو فـــي عصر سلالة أور الثالثة تســـمية E.TEMEN.NI.GUR.RÚ وتعنـــي مثيـــرة الرهبـــة[٤]. وعرفت مصطبة الإله أيا في الوركاء باســـم KI.AGA.KÚ.GA وتعنـــي موضـــع التـــاج الطاهر، بينما أطلق على مصطبة معبد الإله انليل في المدينة ذاتها تسمية KI.AGA.ZI.DA وتعني موضع التاج الحقيقي[٥].

وبشكل عام فإن المصطبة عبارة عن تعليه اصطناعية صلدة من التراب تقـــام وســـط المنطقة السكنية ليشيد عليها المعبد[٦]. لغرض تمييزه عن بقية المباني المحيطة به، ولإعطائه صفة السمو والرفعة، ولإبقائه عالياً مهما ارتفعت مباني السكن والخدمة حولـــه[٧]، ولحمايـــة أسس البناء من التأثير السلبي للمياه الجوفية عليها[٨]. وسوف نتطرق إلى هذه الأسباب بشيء من التفصيل لاحقاً. وكانت هذه المصاطب الاصطناعية الفكرة الممهدة لظهور صنف جديد من المباني الدينية عرفت في العصور اللاحقة بالزقورات، التي تعد أقدم بناء عقائدي مهيب شيده الإنسان[٩].

---

(1) CAD,"G", P.67[b].

(2) AHw, P.284[a].

(3) CAD,"T", P.143[b].

(4) George, Op.Cit,(1993) P.149 :1090.

(5) Ibid, P.109: 583; 584.

(٦) الشيخ، عادل عبد الله،"بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق"، رسالة ماجستير غيـــر منشـــورة، جامعة بغداد، ١٩٨٥، ص١٤٩.

(٧) حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٨٦.

(٨) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢١٩.

(٩) مورتكات، المصدر السابق، ص١٩.

ويمكن أن يعزى ظهور هذا العنصر العماري واستخدامه على نطاق واسع في أبنية المعابد إلى عاملين أساسيين أولهما العامل الديني، وذلك نظراً للمكانة الكبيرة التي احتلها المعبد منذ ظهوره بوصفه بناءً ذو صفة اعتبارية في عصر العبيد الأول وحتى نهاية عصر فجر السلالات وأطلق عليها فترة سيادة المعبد[١]. والتي اتسمت بريادة المعبد في إدارة شؤون المدينة كافة، ولإعطاءه خصوصية عمارية موازية لدوره ولكونه أهم مباني المدينة، فقد بني البعض منها على مصاطب اصطناعية مما جعلها في مستوى أعلى من مستوى الأبنية الدنيوية، وذلك الارتفاع أعطى للمعبد هيبة وقدسية أكثر[٢] وجعله محط أنظار الناس وموحياً بسلطته عليهم، كما قد يستغل ذلك الارتفاع كمنصة من لدن الحاكم الذي كان يتخذ من أحد أجنحة المعبد مقراً له أو من لدن الكهنة لمخاطبة المجتمع وتوجيهه في أوقات الأزمات.

ومن المحتمل أن رغبة الإنسان الفطرية بالسمو والارتفاع بكل ما هو مقدس، وهو ما نلاحظه في كل زمان ومكان إيمانا بوجود الإله في السماء سواء كان ذلك من لدن متعبدين موحدين أو وثنيين، كانت الدافع وراء إقامة المعابد العراقية القديمة فوق مصطبة اصطناعية، وبدورها كانت المحفز الأول لظهور الزقورات بارتفاعاتها الشاهقة[٣]، وان هذا التوجه نحو الارتفاع في المباني الدينية تؤكده العديد من النصوص المسمارية التي يذكر فيها الملوك تشييدهم لزقورات تعانق قممها عنان السماء أو تشبيهها بالجبال لعلوها وشموخها، إذ تذكر إحدى كتابات الملك سمسو ايلونا (١٧٤٩-١٧١٢ق.م) أنه رمم معبد الإله شمش أي-ببار في لارسا وجعل قمة زقورته تصل إلى السماء[٤].

ومن الدوافع الدينية الأخرى لرفع أبنية المعابد فوق مصاطب عالية هي لعزلها عما يحيط بها من مباني دنيوية، وللمحافظة عليها نظيفة عن طريق منع دخول الأتربة والأوساخ إليها، ولتجنب انتهاكها وتدنيسها من قبل الحيوانات السائبة والضارة وكذلك لحمايتها من السرقة.

ويعد العامل العماري السبب الرئيس الثاني الذي يعزى إليه إنشاء المصطبة، إذ فُسرت هذه الظاهرة العمارية على إنها معالجة بنائية تؤدي دوراً هاماً في البناء إذ يعمل وجودها على منع انتقال رطوبة الأرض إلى جدران البناء والحد من أثاره المدمرة على مادة البناء الأساسية

---

[١] حول دور المعبد في فترة سيادته لإدارة شؤون المدينة الدينية والمدنية ينظر: مهدي، المصدر السابق، ص١١٧-١٨٢.

[٢] جرك، المصدر السابق، ص٦٠.

[٣] المصدر نفسه، ص٦١.

[4] RLA, Vol.2, P.183.

وهي "اللبن" المستخدم بشكل رئيس في تشييد المعابد[١] وهذا ما قد يفسر بعض العمليات العمارية التي اكتسبت طابعاً طقوسياً، كحفر الأرض المزمع إقامة المعبد عليها وملئها بالرمل النقي ومن ثم إنشاء المصطبة لعزل المعبد قدر الإمكان عن رطوبة الأرض[٢]. وهذا ما نلاحظه في المعبد البيضوي في خفاجة، إذ حفرت الأرض التي أقيم عليها المعبد بعمق ٨م وملئت برمل نقي يُظن انه من الصحراء[٣] في محاولة تجريبية على ما يبدو لعزل جدران البناء عن المياه الجوفية والرطوبة ولكن من المستبعد أن تكون هذه المحاولة قد حققت الغاية العمارية المرجوة منها بدليل ندرة استخدامها في عمليات البناء المعاصرة واللاحقة للمعبد.

كما كان يرافق عملية تشييد المعبد بعض الممارسات الطقوسية الخاصة في الموقع الذي لم يسبق تشييد معبد فيه كتطهير المنطقة المنتخبة بالنار، وربما كانت بداية هذه الممارسة أيضا معالجة عمارية تهدف إلى تجفيف الأرض لغرض البناء عليها، ونتيجة لاستمرار هذا التقليد الذي لم يحقق الغاية العمارية المطلوبة منه فقد اكتسب مع مرور الزمن صبغة طقوسية، غير أن هذا لا ينفي ظهور هذه الممارسة بدافع طقوسي بحت. لقد استدلت التنقيبات الأثرية على بعض من هذه الممارسات الطقوسية في أكثر موقع، منها على سبيل المثال عملية الحرق التي سبقت بناء المصطبة لمعبد المخاريط الحجرية في الطبقة IV-a في مدينة الوركاء والعائدة لعصر الوركاء المتأخر[٤]. وإن أسلوب بناء هذه المصطبة يرجح الدافع العماري لتلك الممارسة حيث أقيمت المصطبة داخل حفرة كبيرة بعمق ٣.٢٠م ضمت بدن المصطبة بالكامل ولم يبرز أي جزء منها خارج الحفرة، ولزيادة درجة مقاومة المصطبة لعامل الرطوبة فقد بنيت جدرانها بالأجر وبسمك كبير[٥].

ومن الأسباب العمارية الأخرى لإقامة المعابد على مصاطب مرتفعة هي لحماية تلك المباني من خطر الفيضانات[٦] وكذلك لتيسير انسيابية تصريف المياه وعدم تجمعها داخل المعبد، ويعمل وجود هذه المصطبة كتسوية أرضية للموقع المزمع إقامة المعبد عليه، كما أن إقامة المعبد على مصطبة مرتفعة يعطيه قيمة جمالية من خلال تكامل المنظور بصورة عامة للشكل الخارجي.

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص١٧.

[٢] حول الطابع الطقوسي لهذه العملية يراجع الفصل الأول، الصفحة٤٦.

[3] OIP.53, P.12.

[٤] لنزن، المصدر السابق، ص٣٣.

[5] UVB.XV, P.8ff.

[٦] الجادر، وليد محمود، "المدنية والبناء في بلاد وادي الرافدين"، مجلة كلية الآداب، عدد ٢٣، بغداد، ١٩٧٨، ١٩٧٨، ص٨١.

إن التقليد الذي رافق إنشاء المعابد منذ أول ظهور لها والمتمثل بإعادة بناء المعبد في المنطقة ذاتها وعلى أسس المعابد السابقة يرجع لقدسية موضعها[١]. ولاستغلال صلابتها في بناء الجدران الجديدة، كما أن البناء المباشر فوق صفوف الجدران المسواة لبناية قديمة تعد من أكثر الطرق اقتصاداً في عملية البناء[٢]. وكان نتيجة لتكرار عملية البناء في ذات الموقع أن أصبحت المعابد قائمة على مصطبة مرتفعة ويتم الوصول إليها عبر سلم أو منحدر؛ وإلى هذا السبب ينسب ظهور أولى أشكال المصاطب المعروفة، بينما يشير **وولي** إلى احتمال كون أولى أشكال المصاطب كانت تشيد بواسطة طبقات من القصب توضع على سطح الأرض ثم تسوى بطبقة من الملاط الطيني وبعدها يقام فوقها البناء[٣] إلا انه لم يتم العثور على نماذج لتلك المصاطب، لكون القصب من المواد العضوية سريعة التلف.

منذ نشأة المعابد ساد تقليد خاص قوامه تشييد المعابد المتعاقبة في الموقع نفسه، كما ذكر سابقاً مما خلق مصطبة اصطناعية ترتفع عن السهل المجاور، وتتوضح أقدم أمثلة هذا التقليد في معابد مدينة اريدو العائدة لعصر العبيد فقد توالت عملية إعادة بنائه لأكثر من مرة وكان نتيجة لتكرار هذه العملية أن أصبح المعبد قائماً على مصطبة عالية وغير متناسقة (شكل٨٩)[٤].

إذ يعد معبد الطبقة XI في اريدو العائد لعصر العبيد الثالث أقدم معبد معروف مشيد على مصطبة اصطناعية وقد بلغ ارتفاعها ١م وكانت مشيدة باللبن[٥]، ومن عصر العبيد الرابع وردنا أوضح مثال للمعابد المقامة فوق مصطبة عالية وهو معبد الطبقة VII من مدينة اريدو، والذي شيد على مصطبة بلغ ارتفاعها ١.٥م وكان يرقى إليها بوساطة سلم من تسع درجات يقع في ضلعها الجنوبي الشرقي وقد شيدت هذه المصطبة من اللبن. وكانت بهيئة الحرف اللاتيني (I) وهي تشبه شكل المعبد المقام عليها (شكل٩٠)[٦].

وكان العديد من معابد الطبقة IVa-b في منطقة أي-انا في الوركاء العائدة لعصر الوركاء الأخير مشيدة على مصاطب مبنية من اللبن، ومنها المعبد A من الطبقة IV-b، إذ أنشئ فوق مصطبة ترتفع بمقدار ١.٥م عن الأرض المجاورة لها وقد بنيت

---

(1) Meijer, Op.Cit, P.218 .

(٢) لايك، المصدر السابق، ص١٧.

(3) UE.IV, P.9f.

(٤) مورتكات، المصدر السابق، ص١٩.

(5) Safar, Op.Cit, P.94.

(٦) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٢٩.

جدرانها باللبن المعروف بـــ (الريميشن)[1]. بينما ملئ بدنها بمداميك من الطين غير المنتظم، وخلت أوجه جدرانها من أية حلية عمارية[2].

وكُشف في الطبقة الرابعة العائدة لعصر الوركاء الأخير من موقع قالينج اغا عن أقدم مصطبة معروفة تعود إلى ذلك العصر في شمال العراق[3]. وكانت ذات شكل خارجي غيـــر منتظم، يبلغ سمك جدارنها ٧٥سم واستخدم اللبن في بنائها وملئ البدن بالأتربة النظيفة وأحياناً أخرى كانت تمزج بكسر الفخار[4]. ولم يعثر خلال التنقيبات في هذا الموقع علـــى أي أثـــر للبناء الذي عدت المصطبة من أجله، ومن المحتمل أن هذه المصطبة كانت مهيأة لبناء معبـــد لم ينفذ نتيجة لضعف السكنى الذي يتضح من حجم المستوطن.

استمرت ظاهرة بناء المعابد فوق مصاطب مرتفعة في عصر جمدة نصر ومن معابـــد هذا العصر المشيدة على مصطبة اصطناعية المعبد الأبيض المخصص للإله آنو في منطقـــة كلاب في مدينة الوركاء، شيد هذا المعبد على مصطبة عالية مبنية باللبن، يطلق عليها أســـم زقورة آنو[5]، وهي ذات شكل غير منتظم وترتفع عن مستوى السهل المجـــاور بنحـــو ١٣م وتبلغ أبعادها قرابة ٧٠×٦٦م وواجهاتها مزينة بالطلعات والدخلات يعلوها إفريز قوامه أربعة صفوف من الجرار وضعت بشكل أفقي في لب المصطبة، والكثير من هذه الجرار مفتوحـــة من القاع لغرض التهوية وتصريف المياه المتخللة لبدن المصطبة، ويتم الارتقاء إلـــى ســـطح المصطبة عبر سلم عرضه ٢.٥م يقع بموازاة الضلع الشمالي الشرقي منها (شكل ٩١)[6].

---

[1] الريميشن: تسمية أطلقها المنقبون الألمان على نوع من اللبن صغير الحجم ذي شـــكل مســـتطيل منـــتظم ومقطع مربع تنحصر قياساته في الغالب بين ١٦×٦×٦سم و ١٢×٦×٦سم، ويرجع أول اســـتعمال لـــه فـــي الطبقة السادسة من مدينة الوركاء، وشاع استخدامه في عصر الوركاء وعصر جمدة نصر. يراجـــع: بـــاقر، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص٢٣٩. وكذلك: مورتكات، المصدر السابق، ص٢٢.

[2] مهدي، المصدر السابق، ص٨٠ وكذلك يراجع: لنزن، المصدر السابق، ص٣٤.

[3] تجدر الإشارة إلى أنه عُثر على مصطبة من موقع تل براك في الخابور إلا إنها متأخرة قليلا عـــن زمـــن مصطبة قالينج آغا إذ يعود تاريخها إلى عصر جمدة نصر، يراجع:

Emberling, Op.Cit, P.85ff.

[4] حجارة، إسماعيل،"التنقيب في قالينج آغا(اربيل)"، سومر، مجلد ٢٩، ١٩٧٣، ص١٤-١٥.

[5] أطلق المنقبون مجازاً على هذه المصطبة تسمية الزقورة، لأنها تختلف عن النمط العماري المعروف فـــي بناء الزقورات، لكن ضخامة هذه المصطبة وتطور عمارتها اكسبها تلك التسمية "الزقورة"، واليها ينسب بداية الانتقال الفعلي لقيام الزقورات التي غدت من المعالم الشامخة في مدن العراق القديم. للمزيد يراجع : لويد، المصدر السابق، ص٥٤.

[6] مهدي، المصدر السابق، ص٩٥.

ومن المعابد المهمة العائدة إلى هذا العصر المعبد المصبوغ في تل العقير، الذي أقيم على مصطبتين، الأولى (السفلى) أكبر حجما من الثانية واتخذت شكل الحرف اللاتيني (D) تقريباً، تبلغ قياساتها ٥٧×٤٥م ويقدر ارتفاعها بما يقارب ٥م ، مشيدة من لبن الريميشن على طبقة من الطين، ويوازي ضلعها المستقيم الشمالي الشرقي سلمين كل واحد في طرف يؤديان إلى سطحها[١]. وتعلو هذه المصطبة مصطبة ثانية مضلعة الشكل ترتفع بمقدار ١.٦٠م يرقى إليها بسلم منفرد عند زاويتها الشمالية[٢] وزينت جوانب المصطبة السفلى بطلعات ودخلات لارتفاع ٤.٦٠م يعلوها إفريز من خمسة صفوف من المخاريط الفخارية مثبتة بالقار، ويعلو هذا الإفريز تبليط من القار تقوم فوقه ستارة ارتفاعها غير معروف لتهدمها (شكل٩٢) [٣].

إن إقامة المعبد المصبوغ في تل العقير على مصطبتين يشير إلى أن ظهور المصاطب المدرجة قد بدأ منذ هذا العصر، وإن المصطبة الثانية لهذا المعبد تؤكد الدافع الديني المشار إليه سابقاً عند الحديث عن نشأة المصطبة، كما أن تشييد المعبد على مصطبة مرتفعة بالأبعاد نفسها يمنع رؤية معالم المعبد من لدن الشخص القريب من أرضيته فضلاً عن ذلك أن من فوائد الشكل المدرج هو الاقتصاد في الوقت والجهد والمواد المستخدمة في البناء[٤].

ومن معابد عصر جمدة نصر التي أقيمت فوق مصطبة اصطناعية هو معبد العيون في تل براك، إذ شيد على مصطبة ترتفع حوالي ٦ أمتار والتي تكونت بفعل تكرار عملية البناء لأربعة أدوار متعاقبة فقد كان كل معبد يُهدم ثم يسوى باللبن ليكون قاعدة للمعبد الذي يليه[٥]، بلغت أبعاد هذه المصطبة ٢٥×٣٠م وكانت واجهاتها الخارجية خالية من الزخارف[٦].
الزخارف[٦].

استمرت عملية تشييد المعابد على مصاطب اصطناعية خلال عصر فجر السلالات، وكانت هذه المصاطب على نوعين قليلة الارتفاع نتيجة لتعاقب عمليات البناء على ذات الموضع، ومنها الطبقات الخمس الأخيرة (VI-X) لمعبد سين في خفاجة العائدة لعصر فجر السلالات، إذ بلغ ارتفاع معبد الطبقة VII قرابة ١.٣٠م عن مستوى الشارع المجاور له

---

(1) Lloyd, S., Safar, F., "Tell Uqair", JNES, Vol.2 ,No.2(1943), P.143f.

(2) Perkins, Op.Cit, P.131.

(٣) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

(٤) جرك، المصدر السابق، ص٥٤.

(5) Mallowan, Op.Cit, (1947),P.55f.

(6) Mallowan, M.E.L., Twenty-five Years of Mesopotamia Discovery, London(1956), P.29.

(شكل١٥)[١]. وكذلك الحال في الطبقة VIIb لمعبد الإلهة عشتار في نيبور، فقد شيدت المصطبة فوق أنقاض الطبقات السابقة وبلغ ارتفاعها عن مستوى الشارع ١,٨٠م وكان يرقى إليها بواسطة سلم يتكون من خمس درجات (شكل٣)[٢].

أما النوع الثاني من المصاطب التي ظهرت في هذا العصر هي المصاطب العالية التي شيدت بأسلوب البناء المباشر على الأرض البكر ومن أهم أمثلتها مصطبة المعبد البيضوي، إذ بني المعبد بثلاث مستويات من المصاطب، مثّل المستوى الأول مصطبة بيضوية الشكل أقيمت فوق الطبقة الرملية مباشرة، وترتفع بمقدار ٧٠سم عن المنطقة المحيطة بالمعبد، ويرقى إلى هذه المصطبة بواسطة سلم من أربع درجات تؤدي إلى المدخل الوحيد للمعبد والكائن في الجانب الشمالي الغربي والذي ضم بيت الكاهن[٣]، أما المستوى الثاني فقد شيد على مصطبة بيضوية الشكل أيضا ترتفع عن الطبقة الرملية بما يقارب ١,٥٠م[٤]. وأحيط وأحيط المعبد بجدار بيضوي تبلغ أبعاده ٨٠×٦٠م، ويتم الوصول إلى هذه المصطبة عبر مدخل وحيد أقيم في الجانب الشمالي الغربي منها، ويواجه المدخل الرئيس لكن بانحراف قليل عن محوره المستقيم[٥] وقد ضم هذا المستوى فناء المعبد وغرف الخزن والإدارة. أما المصطبة الأخيرة والتي تمثل المستوى الثالث من البناء فقد أقيمت في الجزء الجنوبي الشرقي من الفناء الداخلي، وهي ذات شكل مستطيل تبلغ أبعادها ٣٠×٢٥م وترتفع بمقدار ٤م عن المستوى الثاني[٦]. يتم الارتقاء إليها عبر سلم يبرز عن ضلعها الشمالي الغربي بمقدار ٧.٧٠م ٧.٧٠م وعرضه ٢.٧٠م. وزينت واجهاتها بطلعات ودخلات ترتفع مع جدران المصطبة فوق مستوى سطحها لتشكل ستاراً يحيط بها من جميع جوانبه[٧]، وتعد هذه المصطبة الأهم من بين بين المصاطب الثلاثة إذ شيدت فوقها الحجرة المقدسة الرئيسة الخاصة بالمعبد (شكل٥)[٨].

إن إنشاء مرافق المعبد على مصاطب اصطناعية وبارتفاعات مختلفة بصورة تبدو أنها تتدرج في أهميتها الدينية من الأدنى إلى الأعلى، إذ كان مقر الكاهن في المستوى الأول الذي يرتفع عن بيوت السكنى المجاورة، بينما احتلت المرافق الإدارية وغرف العمل والخزن

---

(1) OIP.58, P.45.

(2) Zettler, Op.Cit, P.31; Hansen and Dales, Op.Cit, P.76.

(3) OIP.53, P.21.

(4) Ibid, P.19f.

(5) Ibid, P.21.

(6) Ibid, P.42.

(7) Ibid, P.42; OIC.16, P.64f.

(8) Ibid, P.66.

الخاصة بالمعبد المستوى الثاني منه، وشغلت الحجرة المقدسة –موضع سكن الإله–المستوى الثالث[١]. ويلاحظ هذا التفاوت التفضيلي بالارتفاع في عدد من المعابد منها معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي إذ تم تمييز الجناح الرئيس في المعبد برفع مستواه عن بقية أجزاء المعبد الأخرى والتي رُفعت أيضاً عن مستوى الشارع[٢]. ويمكن مقارنة هذا التصنيف بالمجمع الديني الذي يضم المعبد الأرضي قرب الزقورة، الذي كان من استخداماته فضلاً عن كونه مقرأ دينيا فهو مقر إداري وثقافي وتعليمي ومسكناً لبعض كهنة المعبد، أما المعبد المقام فوق الزقورة فقد كان محطة لاستراحة الإله ومقراً له[٣].

ومن المعابد العائدة لعصر فجر السلالات والتي أقيمت على مصطبة عالية هو المعبد البيضوي للإلهة ننخورساك في تل العبيد، إذ شُيدت المصطبة التي أقيم عليها المعبد داخل ساحة محاطة بسور بيضوي الشكل، وبنيت المصطبة باللبن المستوي المحدب، وبلغت قياساتها ٣٣×٢٦م وترتفع بمقدار ١.٦٠م، يرقى إليها بواسطة سلم يتعامد على الضلع الجنوبي الشرقي. وزينت واجهاتها بالطلعات والدخلات[٤].

بلغت عمارة المصاطب في المعابد العراقية القديمة خلال عصر سلالة أور الثالثة مرحلة متقدمة من الإتقان والمتانة بفعل تراكم خبرات المعماريين من التجارب السابقة، والتي توجت بظهور أول نموذج عماري متكامل لأبنية الزقورات وكان قد شيدها الملك اورنمو في مدينة أور. وانتشرت نماذجها بعد وقت قصير في العديد من المدن وأصبحت أحد أهم حواضر المدن العراقية القديمة، وفضلاً عن تلك المباني الشامخة شيد العديد من المعابد في هذا العصر فوق مصاطب اصطناعية ومنها بناية كيك–بار–كو في أور، إذ أقيمت فوق مصطبة مشيدة من اللبن المضغوط وترتفع بمقدار ١.٣٥م وتبلغ ابعادها٩٥×٥٠م[٥]. كما شيد معبد الإله آيا في أور على مصطبة قليلة الارتفاع تصل إلى ٣٧.٠سم[٦].

أستمر تشييد المعابد فوق مصاطب مرتفعة خلال العصر البابلي القديم، ولكن بشكل أقل من العصور السابقة، وربما يعزى ذلك لعدة أسباب أهمها أن المعمار استخدم خلال هذا العصر أسلوبا عمارياً جديداً لحماية أسس البناء وتقوية قواعد الجدران ويتمثل هذا الأسلوب

---

[١] جرك، المصدر السابق، ص٥٧.

[2] OIC.20, P.85.

[٣] جرك، المصدر السابق، ص٥٧.

[4] Forest, Op.Cit, P.41; Woolley, S. L., "Excavation at tell Obeid", AJ, Vol.4, No.4(1924), P.330.

[5] UE.VI, P.43.

[6] Ibid, P.41.

ببناء جدار ثانٍ حام يصل ارتفاعه أحيانا إلى متر واحد يحيط بقواعد البناء ويؤمن له الحماية من عوامل البيئة المؤثرة على البناء وعرف هذا الجدار بمصطلح كيسو[١]. كما أن رغبة الملوك في إدخار الوقت والجهد والمواد لعملية بناء الزقورات والتي تتطلب قدراً كبيراً من الأيدي العاملة، فضلاً عن حاجتها لكميات كبيرة من مواد البناء ذاتها المستخدمة في إنشاء المصاطب، لذلك انحسر استخدام المصاطب على إجراء التسوية الأرضية لموقع بناء المعبد وتسهيل انسيابية تصريف المياه إلى الخارج وهذا ما يبرر قلة ارتفاع هذه المصاطب مقارنة مع نظيراتها في العصور السابقة.

يعد معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي من أبرز المعابد التي شيدت على مصطبة اصطناعية في هذا العصر، إذ أقيم المعبد بالكامل على مصطبة اتخذت شكلاً مستطيلاً وهي تشابه البناء الذي يعلوها وبأبعاد تبلغ ١٠٠×٦٥م ويصل ارتفاعها إلى ١م بينما يرتفع الجزء الغربي الذي يضم الجناح الرئيس للمعبد، قرابة ٣م عن مستوى الأرض و١,٩٧م عن بقية أرجاء المعبد الأخرى، ويرقى إلى هذا الجزء عبر سلم من درجات عدة تقع في الجانب الغربي من الضلع الجنوبي للمعبد، ويمكن الوصول إليه أيضا عبر سلم من الفناء (A)[٢].وقد زينت الأوجه الخارجية للمصطبة بالطلعات والدخلات(شكل٦)[٣].

وشيد معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل على مصطبة ترتفع بمقدار ١م تقريباً عن مستوى الشارع ويصل إليها عبر سلم يقع في الضلع القصير الشمالي الشرقي، وشيدت المصطبة بأبعاد مطابقة للبناء، إذ بلغت ٢٨×١٨م .وأقتصر تزيين واجهتها الخارجية بالطلعات والدخلات على الضلع الجنوبي الشرقي المطل على الشارع الرئيس، إذ تمثل جزء من الشكل العام لهذا الجدار(شكل٧)[٤].

في ضوء ما تقدم يمكننا عرض السمات الموضعية والتخطيطية والعمارية لهذه المصاطب، فقد كان موضع هذه المصاطب في المعابد محدد باعتبار دورها كقاعدة يشيد عليها البناء، فشمل موضعها في معظم النماذج مرافق البناء جميعها. كما في معبد اريدو الطبقة VII

---

[١] للمزيد عن وظيفة هذا الجدار يراجع: الجادر، وليد، "جدران المعابد العراقية القديمة المشيدة من الطابوق الكيسو"، سومر، مجلد ٤٩، ٩٧-١٩٩٨، ص١٢٢-١٣٤.

[٢] أكتشف من هذا السلم خمس درجات بلغ ارتفاع الواحدة منها ١٦,٧سم وقدر المنقبون الارتفاع الكلي لهذا السلم بـ١,٩٧م وذلك باعتمادهم على آثار القار المستخدمة في تثبيت العتبة عند أسفل جدران المدخل.
OIP.98, P.20.

[3] Ibid, P.20.

[٤] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٩ وكذلك . Baqir, Op.Cit, P.24

العائد لعصر العبيد الرابع[١] وكذلك في معبد سين في خفاجة الطبقة VII [٢] والمعبد البيضوي في المدينة ذاتها[٣] العائدين لعصر فجر السلالات. وفي بعض النماذج زادت مساحة المصطبة بكثير عن حجم البناء الذي شيد فوقها، إذ بلغت أبعاد المصطبة التي شيد عليها المعبد المصبوغ في العقير ما يقارب ٤٥×٥٧م بينما بلغت أبعاد المعبد المقام عليها ١٩×٢٢م[٤]. وهو ما نسبته ١٦% من مساحة المصطبة. ومن العصر ذاته شيد المعبد الأبيض للإله آنو من الطبقة IV-c في الوركاء، بأبعاد ١٧,٥×٢٢م بينما بلغت أبعاد المصطبة التي شيد عليها المعبد ما يقارب ٧٠×٦٦م أي أن بناء المعبد أحتل نسبة ٨% فقط من مساحة المصطبة الكلية[٥].

وفي نماذج أخرى أقتصر موضع المصطبة على الجزء الأهم في المعبد وهو موضع الحجرة المقدسة، كما نلاحظه في معبد الإلهة ننخورساك العائد لعصر فجر السلالات إذ شيدت المصطبة داخل الساحة التي يحفها سور بيضوي الشكل[٦].

أما تخطيط المصطبة فقد كان في الغالب يماثل شكل البناء الذي أقيم فوقها، كما في مصطبة معبد اريدو الطبقة VII العائدة لعصر العبيد الرابع فقد اتخذ شكلها الحرف اللاتيني I (شكل٩٠)[٧]. وشيد معبد العيون في تل براك العائد لعصر جمدة نصر على مصطبة تطابق شكله المستطيل[٨] وكذلك اتخذت مصطبة معبد الإله سين الطبقة VII العائدة لعصر فجر السلالات الشكل اللانظامي للمعبد الذي شيد عليها (شكل١٥)[٩]. ونلاحظ أيضا هذا التطابق بين تخطيط المصطبة والبناء المقام عليها في المعبد البيضوي في خفاجة العائد لعصر فجر السلالات إذ شيد المستويين الأول والثاني على مصطبة بيضوية تعلوها أسوار بذات الشكل، بينما يقترح المنقب **ديوغلاس** تخطيطاً مستطيلاً للحجرة المقدسة بالاعتماد على شكل مصطبة المستوى الثالث من المعبد (شكل٥)[١٠].

---

(1) Safar, et.al, Op.Cit, P.103.

(2) OIP.58, P.45.

(3) OIP.53, P.19;27;66.

(4) Lloyd and Safar, Op.Cit, P.143.

(٥) مهدي، المصدر السابق، ص٩٣.

(6) Delougaz, Op.Cit(1938), P.4.

(٧) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص ٢٢٩. وكذلك Perkins, Op.Cit, P.88

(8) Mallowan, Op.Cit(1947), P.55.

(9) OIP.58, P.46.

(10) OIP.53, P.19; 27; 66.

وبصفة عامة اتسم تخطيط المصاطب بدرجة عالية من التنظيم المتقن ودقة القياسات، وهي بذلك تعكس جانباً مهماً من التنظيم العام للبناء باعتبارها الجزء العماري الأول الذي ينشئ من المعبد، وأن أي خلل في توجيه أضلاعه يؤثر على هيئة البناء بشكل عام، مما قد يثير سخط الآلهة عليهم. وقد رافق دقة التنظيم هذا أشكال المصاطب جميعها سواء كانت مستطيلة أو مربعة أو بيضوية وغيرها.

أما فيما يتعلق بعمارة المصطبة فيمكن إيجاز خصائصها بثلاثة عناصر أساسية أولاً طبيعة المواد المستخدمة في بنائها وثانياً أسلوب عمارتها وثالثاً شكلها الخارجي.

إن المواد الداخلة في عملية إنشاء هذه المصاطب هي ذاتها المستخدمة في بناء المعابد وغيرها من المباني، فقد شيدت الجدران الخارجية المحددة لبدن المصطبة من اللبن بمختلف أشكاله، إذ أستخدم اللبن غير المنتظم في تغليف جدار مصطبة معبد اريدو الطبقة VII من عصر العبيد الرابع[١]، واللبن الريميشن في بناء مصطبة المعبد A من الطبقة IV-b في الوركاء العائدة لعصر الوركاء الأخير[٢]. وكذلك أستخدم في بناء مصطبة المعبد المصبوغ في في العقير العائد لعصر جمدة نصر[٣]. وفي عصر فجر السلالات أستخدم اللبن المستوي المحدب في بناء المصاطب كما في مصطبة معبد سين الطبقة VII[٤] والمصاطب الثلاث للمعبد البيضوي في خفاجة[٥] ومصطبة معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد[٦]. كما أستخدم الأجر والحجر الكلسي في تشييد جدران المصاطب أو أجزاء منها مثل مصطبة معبد المخاريط الحجرية في الوركاء[٧].

أما بدن المصطبة فكان ينشئ أحياناً المادة المستخدمة نفسها في بناء جدرانها كما في المصطبة المقامة للمعبد المصبوغ في العقير المشيدة من كتلة مرصوصة من اللبن[٨]. أو يستخدم التراب النقي في ملئ بدن المصطبة كما في معبد المخاريط الحجرية من الطبقة IV-c في الوركاء[٩]. أو تملئ بمداميك من الطين غير المنتظم الخالي من الشوائب أو

---

(1) Perkins, Op.Cit, P.88.

(٢) مهدي، المصدر السابق، ص٨٠.

(٣) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

(4) OIP.58, P.44.

(5) OIP.53, P.19;26;66.

(6) Delougaz, Op.Cit(1938), P.4.

(٧) لنزن، المصدر السابق، ص٣٤.

(٨) سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٨.

(٩) لنزن، المصدر السابق، ص٣٥.

الممزوج بالتبن وكسر الفخار والحجر لغرض زيادة صلابة المصطبة وتحملها لضغط البنـــاء كما في بعض أجزاء مصطبة قالينج آغا وكذلك مصطبة معبد الحجر الكلسي في الوركاء.

ودخل القصب في عمارة بدن المصطبة، إذ وضع على شكل طبقات بـــين مكونـــات البناء لمنع تأثير الرطوبة والأملاح عليها ولزيادة تماسك أجزاء البناء من جهة أخرى[1]. ولهذا ولهذا الغرض أيضاً استخدمت الأعمدة الخشبية لربط الجدار الخارجي مع بدن المصطبة لمنع تشققه وانفصاله عنها[2] واستعمل القار أيضاً في بناء المصاطب فقد غُطي به السطح العلــوي للمصطبة وبطنت فيه مجارير تصريف المياه من أعلى المصطبة لمنع تسربها إلى البدن، كما أستخدم في بعض الأحيان كمونة بين قطع اللبن المكونة للجدار الخــارجي، أو فـــي تثبيــت العناصر التزيينية عليه.

اتسمت عملية بناء المصاطب بنظام عماري متقن راعى فيه المعمار عــاملي المتانـــة والجمال، وأستخدم في إنشائها أسلوبين أساسيين أمكن ملاحظتهما من خلال النماذج المذكورة مسبقاً، فيتمثل الأسلوب الأول في أنه يعتمد على استغلال الارتفاع المتكون نتيجـــة لتكــرار عمليات الهدم والبناء لأكثر من مرة في الموضع نفسه، لذلك يكتفي المعمار بعمليـــة تغليــف جوانب المصطبة بالجدران، ومن ثم تسوية السطح العلــوي لإقامـــة المعبــد عليهــا. ومـــن المصاطب التي أنشئت وفق هذا الأسلوب مصطبة معبد اريدو فـــي الطبقـــة VII(شـــكل٨٩) وكذلك مصطبة معبد سين في الطبقة VII في خفاجة.

أما الأسلوب الثاني في إنشاء المصاطب فيقوم على أساس حفر الأرض المزمع إقامة المصطبة عليها ثم تملأ بالرمل النقي، غير أن هذا الإجراء لم تتبعه المعابــد جميعهـــا التـــي أنشئت وفق هذا الأسلوب، وبعد ملء الحفرة بالرمال يشيد الجدار الخارجي بالهيئة المطلوبـــة وغالبا ما يكون سميكاً لكي تشكل إطارا صلداً مقاوماً للمـــؤثرات الخارجيـــة وداعمـــاً لبـــدن المصطبة وبعد ذلك يملئ بدن المصطبة بواسطة مواد البناء المذكورة سابقاً ومن ثـــم يســـوى سطحها العلوي بعناية وتهيئ لإقامة المعبد فوقها (شكل٩٣) ومن النماذج المشيدة وفـــق هـــذا الأسلوب مصطبة معبد المخاريط الحجرية في الوركاء، ومصاطب المعبـــد البيضـــوي فـــي خفاجة. وفي موقع قالينج آغا أستخدم الأسلوب ذاته في بناء المصطبة مـــع إضـــافة جـــدران متقاطعة في الفراغ الموجود بين الجدران الخارجية للمصطبة تقسمها إلى أجزاء عدة، تُمـــلأ بعد ذلك بالأتربة النظيفة ويسوى سطحها العلوي (شكل٩٤)[3].

---

[1] Woolley, Op.Cit(1955), P.9f.

[2] UE.V, P.73.

[3] حجارة، المصدر السابق، ص١٤.

أما فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للمصطبة فقد أضفى المعمار لمسة جمالية على بنائها وذلك لإبعاد طابع الرتابة عنها باعتبارها جزءاً من الشكل الخارجي العام للمعبد. فعمد المعمار إلى تلطيف واجهات جدرانها الخارجية بعناصر عمارية ذات طبيعة جمالية تكسبها رونقاً وحيوية وتميزها عن الأرض المشيدة عليها، ويعد عنصري الطلعات والدخلات من أكثر العناصر استخداماً في تزيين واجهات المصاطب فقد زينت الجدران الخارجية لمصطبة معبد الإله آنو في الوركاء وكذلك استخدمت في تزيين جدران مصطبة المعبد المصبوغ في تل العقير العائدين لعصر جمدة نصر وأيضاً في مصطبة معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد من عصر فجر السلالات ومصطبة معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي من العصر البابلي القديم. ودخلت عناصر أخرى في تزيين واجهات المصاطب كالمخاريط الفخارية التي كانت توضع بشكل أفاريز تعلو الطلعات والدخلات وتحف بالمصطبة من الجوانب جميعها.

المبحث الثالث

الفِنَاء الداخلي

يُعد الفِنَاء[١] من العناصر الأساسية المميزة لعمارة المعابد العراقية القديمة، وهو عبارة عن فضاء عماري مكشوف في الأغلب تحيطه الجدران من جوانبه جميعها وتتوزع حوله الوحدات العمارية وقد أشارت إليه النصوص المسمارية العائدة للعصر البابلي القديم بصيغة kisal وهي مفردة مشتقة من الكلمة السومرية KISAL وتعني الفِنَاء ذو الفضاء العماري الواسع المستخدم في البيوت السكنية والقصور والمعابد[٢]. كما أُطلق المصطلح الاكدي tarbasu على الحظيرة المحاطة بالجدران وكذلك على الفِنَاء المسقف بشكل جزئي[٣].

وأُستخدم المصطلح الاكدي kisal mahu لتمييز الفِنَاء الرئيس للمعبد عن بقية الأفنية التي يضمها بناء المعبد، مثل الفِنَاء الرئيس لمعبد الإله سين É ^{d}EN.ZU kisal mahu[٤].

كما ميزت اللغة الاكدية في المصطلحات بين الفِنَاء الخارجي والداخلي حيث أطلقوا على الأول مصطلح kisal barakku[٥]. وعلى الثاني مصطلح ubšukkinnakku[٦]. فضلاً عن ذلك أن بعض أفنية المعابد حملت أسماء ذات معانٍ خاصة ومنها فِنَاء مجمع معبد الايكور المخصص للإله انليل في نيبور، إذ حمل اسم kisal sidir manzaz Igigi ويعني طريق أقدام الايجيجي[٧]. وكذلك أُطلق على فِنَاء معبد أي-سو-ليم-آنا في كيش أسم É.ŠU.LUH.BI.KÚ.GA ويعني بيت شعائر التنظيف[٨].

---

[١] الفِنَاء بكسر الفاء وفتح النون هي الساحات عند أبواب الدور وفِنَاء الدار ما امتد من جوانبها وجمعها أفنية، فضلاً عن هذه التسمية فقد أوردت المعاجم اللغوية تسميات أخرى ذات دلالات خاصة على هذه الفسحة من البناء منها ساحة وصالة وصحن وباحة وعرصة للمزيد يراجع : أبن منظور، لسان العرب، مجلد٢٠، بيروت، ١٩٥٦، ص٢٤. وكذلك: الرازي، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩، ص٥١٣. وكذلك: ابن سيده، المخصص، السفر الخامس، مصر، ١٣١٨هـ، ص١١٧.

(2) CAD,"K", P.416[b].

(3) CAD,"T", P.

(4) CAD,"K", P.419[b].

(5) Ibid, P.416[b].

(6) CDA, P.418[a].

(7) CAD,"K", P.418[a].

(8) George, Op.Cit(1993), P.147.

يُعد الفِنَاء عنصراً أساسياً وجزءً متمماً لأي صنف من المباني في المناطق التي يكون فيها الصيف حاراً جداً[١]. لكونه يلطف المناخ الداخلي للبناء، إذ يرتفع الهواء الساخن من الفِنَاء المعرض لأشعة الشمس عند المساء ليحل محله هواء الليل البارد ويتسلل تدريجياً إلى الغرف المحيطة بالفِنَاء وينتج عن هذا هبوط درجة الحرارة في البناء من ١٠-٢٠° درجة مئوية، وبما أن الهواء البارد أثقل من الساخن فإن الفِنَاء سيحتفظ بهذا الخزين من البرودة أغلب ساعات النهار مما ينتج جوا لطيفاً داخل البناء(شكل٩٥)[٢]. وبهذه الخاصية أيضاً يؤمن الفِنَاء تهوية متجددة لوحدات البناء من خلال تبدل تيارات الحمل الهوائية الباردة والحارة فيه[٣]. كما أستخدم هذا الفضاء المفتوح كمنظم للإضاءة الطبيعية في النهار المعتمدة على أشعة الشمس المباشرة أو المنعكسة من قبة السماء وتوزيعها بشكل مخفف على الوحدات العمارية المطلة عليه[٤]، ويعمل الفِنَاء الداخلي أيضاً على حماية الوحدات العمارية المطلة عليه من الرياح والأتربة الخارجية لكون أغلب هذه الوحدات تنفتح للداخل ولا تملك نوافذ نحو الخارج[٥].

فضلاً عن وظيفته البيئية فإن الفِنَاء الداخلي يُعد عنصراً مهماً وأساسياً لتوزيع الحركة والانتقال والاتصال بين خارج المبنى وبين ما بداخله من الوحدات الرئيسة والفرعية[٦]. ويتم من خلاله تصريف المياه القذرة عبر بالوعة أو بئر عميق يحفر وسط الفِنَاء لتتسرب بعد ذلك إلى باطن الأرض أو خارج البناء[٧]، وقد يحتوي في بعض الأحيان على بئر للتزود بالمياه.

فضلاً على أن هذا النظام العماري الذي يتخذ من الفِنَاء الداخلي نواة مركزية للبناء يعد حلاً اجتماعياً ناجحاً يوفر بيئة داخلية فيها مطلق الخصوصية للمقيمين فيه ويُمكنهم من

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص٢٤٣.

[2] Dunham, D. ,"the Courtyard house as a temperature regulator", New Scientist, Vol.Sep.8, No.199, London(1960), P.665f.

[٣] كمونة، حيدر عبد الرزاق،"الفِنَاء الداخلي وتصميم المسكن العربي التقليدي"، أفاق عربية، العدد٧-٨، ٢٠٠١، ص٥٨.

[٤] للمزيد يراجع: كمونة، حيدر عبد الرزاق،"تأثير الأشعة الشمسية على تخطيط وتصميم المناطق السكنية"، افاق عربية، العدد٣، ١٩٧٩، ص١٠٥. وكذلك يراجع: حماد، رزق شعبان والعمايرة، علي،"أنماط البناء المناسب للبيئة الصحراوية الفِنَاء الداخلي كمنظم للإضاءة النهارية"، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، www.m3mare.com/up/downlod-5da4160d76.rar.html.

[٥] محمد، غازي رجب،"ملاقف الهواء (البادكير) معالجة بيئية في البيوت التراثية"، في: ندوة العمارة والبيئة، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص٢٢.

[٦] الياور، المصدر السابق، ص١٣.

[٧] كمونة، المصدر السابق، ٢٠٠١، ص٥٨.

العيش والعمل بحرية تامة مع تأمين دخول الضياء والهواء إلى جميع أقسام البنـــاء[١]. وفـــي الوقت ذاته يحجب عن الساكنين كل ما هو في الخارج ويحقق لهم التواصل مع الطبيعة عبـــر الفِنَاء المفتوح من الأعلى والذي يؤمن منظوراً غير متناهي للكـــون ممـــا يكســـب الســـاكنين الإحساس بالحرية والهدوء والطمأنينة[٢] وبذلك كان الفِنَاء الداخلي في البيوت الســـكنية يمثـــل المحور الذي تدور عنده وحوله النشاطات اليومية المختلفـــة، كمـــا أســـتخدم مكانـــاً لإيـــواء الحيوانات الداجنة في بعض الأحيان[٣].

فضلاً عما تقدم فقد كان لاستخدام الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد وظائف أخـــرى، إذ يساعد وجوده على استيعاب أكبر قدر من الوافدين للمعبد سواء للتعبد أو لإغـــراض أخـــرى تضطلع بها مؤسسة المعبد، إذ كانت تمارس فيه بعض الطقوس الدينية وهذا ما دلـــت عليـــه التنقيبات الأثرية فقد تم الكشف عن العديد من دكاك الإلهة في الأفنية الداخلية للمعابد[٤] كمـــا في الدكة المكتشفة عند الطرف الشمالي الغربي من الفِنَاء الداخلي لمعبد الإله سين في خفاجـــة الطبقة VII-X(مخططات٣٦-٣٩)[٥] والدكة المكتشفة في الجانب الجنوبي الغربي من الفِنَـــاء الداخلي للمعبد نفسه في الطبقتين VIII-IX (مخططات٣٧-٣٨)[٦] وكـــذلك أحتـــوى الفِنَـــاء الداخلي للمعبد البيضوي على دكة ملاصقة للجدار الشمالي الغربي من المصطبة التي أُقيمـــت عليها الحجرة المقدسة(شكل٥)[٧].

لقد ضَم الفِنَاء كذلك دكاك خاصة بتقديم القرابين ويلاحظ أنها استخدمت فـــي الفِنَـــاء بشكل أكثر مقارنة مع نظيرتها دكاك الآلهة، وربما يعزى ذلك إلى الرغبة في تقليـــل الـــزخم على الحجرة المقدسة أو قد يكون الدخول إلى هذه الحجرة مقتصراً على فئة مـــن الأشـــخاص وربما الأغنياء الذين يتمكنون من تقديم القرابين الثمينة، وهذا ما يفسر أيضاً وجود دكة للإلـــه في الفِنَاء الداخلي، وكذلك يعمل وجود هذه الدكاك على تسهيل وتنظيم عملية تقديم القـــرابين، ومن أبرز الأمثلة على هذه الدكاك هي مجموعة الدكاك التي تم الكشف عنها في معبد الإلـــه

---

[١] القيسي، كهلان خلف متعب،"البيت العراقي في العصر البابلي القديم في ضوء تنقيبـــات ســـبار"، رســـالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٩،ص١٧٦.

[٢] كمونة، المصدر السابق، ٢٠٠١، ص٥٨.

[٣] الاعظمي، محمد طه،"البيئة وأثرها على العمارة العراقية القديمة(المشاكل والحلول)"، في: نـــدوة العمـــارة والبيئة، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص٥٦.

[٤] باقر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٦.

[5] OIP.58, P.45,55,63,77.

[6] Ibid, P.56,64.

[7] OIP.53, P.40.

سين في خفاجة الطبقة IX والعائدة لعصر فجر السلالات والتي بلغ عددها ثمانية دكاك كانت موزعة بشكل عشوائي حول دكة الإله(شكل٦٠)[١] كما انتشرت في أرجـاء الفِنَـاء الـداخلي للمعبد البيضوي في خفاجة مجموعة من دكاك القرابين(مخطط٢٧)[٢] وكشف عنـد الطـرف الجنوبي الشرقي من الفِنَاء الداخلي الرئيس المرقم(١٢) لمعبد الإله ننتو في خفاجة الطبقة VI العائد لعصر فجر السلالات على مجموعة من دكاك القرابين صـغيرة الحجـم[٣]، وأسـتمر استخدام كلا النوعين من الدكاك في العصور اللاحقة ولكن بشكل أقل من السابق، فقد أظهرت التنقيبات في المعبد المحلق بقصر شو–سين العائد إلى عصر سلالة أور الثالثة دكة قرابين في فِنَائه الداخلي ومواجهة لمدخل الحجرة المقدسة(مخطط٢٩)[٤] كما أحتوى الفِنَاء الداخلي (C7) (C7) في الجزء الجنوبي الغربي من بناية كيك–بار–كو في مدينة أور والعائد لعصر سـلالة أور الثالثة على دكتي قرابين كبيرتين(مخطط٣١)[٥]كما عُثر في الفِنَاء الداخلي الـرئيس (A) لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي والعائد للعصر البابلي القديم على دكـة قـرابين فـي الجانب المقابل للمدخل المؤدي إلى الفِنَاء الثاني (مخطط٤٠)[٦].

ومن الآثار المادية الأخرى ذات الطبيعة الطقوسية التي أقيمت فـي الفِنَـاء الـداخلي أحواض الماء التي كانت تستخدم لإغراض التطهير، إذ عثر على نماذج منهـا فـي الفِنَـاء الداخلي للمعبد البيضوي في خفاجة(شكل٥)[٧] وكذلك في فِنَاء معبد الإله سين الطبقة VII-X (مخططات٣٦-٣٩)[٨] كما عُثر أيضاً في المعبد المربع للإله آبو في تل اسمر العائد لعصـر

---

[1] OIP.58, P.64.

[2] OIP.53, P.40.

[3] OIP.58, P.84.

[4] OIP.43, P.25.

[5] UE.VII, P.41.

[6] OIP.98,P.54.

[٧] أكتشف في هذا الفِنَاء حوضان دائريان شُيدا باللبن المفخور المستوي المحدب يقع الأول في منتصف الفِنَاء الفِنَاء وقد بلغ قطره ٧٠سم وبعمق ٣٠سم، أما الحوض الثاني فيقع في الجانب الشمالي الشرقي من الفِنَاء وبلغ قياس قطره ٣.٢٠م .OIP.53, P.39 .

[٨] بُني هذا الحوض من اللبن المستوي المحدب المفخور، وهو دائري الشكل بلغ قياس نصف قطـره ٢.٧٠م وعمقه ٩٠سم، واستبدل هذا الحوض في عمليات البناء اللاحقة بحوض أخر قليل الارتفاع مربع الشكل مطلي بالقار حيث كان يتصل عبر بالوعة بمجاري فخارية مكسوة بالقار أيضاً ويؤدي إلى الجدار الخارجي للمعبـد من جهة الشمال. وفي الطبقة IX تم تحويل مجرى تصريف المياه إلى جهة الشرق إذ يمر من خلال حجـرة المدخل وصولاً إلى الجدار الشرقي للمعبد .OIP.58, P.45,50,74 .

فجر السلالات على بقايا حوض دائري مهدم يتوسط فنائه الداخلي(مخطط٦١)[١]. هـذا مـن جانب ومن جانب أخر فقد شكل هذا الفضاء الواسع المكان المناسب لعقد الاجتماعات الخاصة بمجالس المدن منذ عصر الوركاء وحتى عصر فجر السلالات، إذ كان الإنسي الـذي يتـولى إدارة شؤون المدينة يتخذ من أحد أجنحة المعبد مقراً له[٢].

كما يتم فيه إجراء المعاملات اليومية الخاصة بالمعبد وإبرام العقود القانونية الخاصـة بأملاك المعبد والنظر في الدعاوى القضائية والبت بها. وبذلك كان هذا العنصر العماري مـن أهم المعالجات المناخية والعمارية والاجتماعية التي استخدمها المعمار العراقي القديم في جميع أنواع المباني التي شيدها عبر مختلف العصور.

من خلال ما تقدم يمكن أن يعزى سبب استخدام الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابـد إلـى عدة عوامل أساسية أهمها تطور الأسلوب العماري في التعبير عن الفكر الديني والذي رافقته تغيرات جمة في التصميم الداخلي للوحدات العمارية التي ترجمها المعمار بفصـل الحجـرة المقدسة عن القاعة المركزية في المعابد المشيدة وفق التخطيط الثلاثي، مما أدى إلـى تحـرر هذه الوحدة العمارية أي القاعة المركزية من الخصوصية الدينية المميزة لها، وهذا مـا حـدا بالمعمار إلى الانتقال بمخططات المعابد من تخطيط ملتزم بتوفير مساحة واسعة لموضع الإله كما في التخطيط الثلاثي إلى اعتماد مخططات أخرى كانت مستخدمة أصلاً في تخطيط الدور السكنية إذ شكل الفِنَاء الداخلي نقطة مركزية للبناء.

وبذلك فإن انتقال الفِنَاء الداخلي من الاستخدام في البيوت السكنية إلى أبنية المعابد جاء نتيجة سلسلة من التطورات على الصعيد العماري والسياسي والاقتصادي ولم يكـن مقتصـراً على معالجة الظروف المناخية فقط، إذ نجح المعمار في تحقيق الظروف المناخية الملائمة في المعابد التي اتبعت التخطيط الثلاثي والتي يرجح كون قاعاتها المركزية مسـقفة وهـذا مـا سنوضحه لاحقاً.

إن النظام العماري الذي يتخذ من الفِنَاء الداخلي نواة مركزية في البناء عُـرف فـي العراق منذ عصور مبكرة ترجع أولى نماذجه إلى عصر حسونة في الألـف الخـامس قبـل الميلاد فقد كشفت التنقيبات الأثرية في الطبقة IV من موقع حسونة على بيت يتكون من أربع حجرات من ناحية الجنوب وتطل جميعها على فِنَاء داخلي مكشوف[٣] واستخدم الفِنَاء الداخلي

---

[1] OIP.58, P.177.

[٢] غولايف، المصدر السابق، ص٥٥.

[٣] مهدي، علي محمد،"نظرة في دراسة مراحل ما قبل التـاريخ ومفهـوم التـراث الثقـافي والحضـارة"، أفاق عربية، بغداد، العدد٦، ١٩٨٢، ص١٠٩.

المكشوف (أو المسقف أحياناً) في الدور السكنية العائدة لعصر العبيد (٤٥٠٠ق.م) وكانت هذه الأفنية على هيئة صليب تتوزع على جانبيه الغرف بامتدادات ومساحات مختلفة كما في الدور السكنية المكتشفة في تل مظهور وتل عبادة الواقعين في حوض حمرين في ديالى وكذلك في تبة كاورا(مخطط٤)[١] وبقي الفِنَاء مستخدماً في الدور السكنية في العصور اللاحقة، إذ كُشف عن العديد من النماذج في أغلب المدن العراقية القديمة وعبر مختلف العصور[٢]، وكان الفِنَاء الداخلي العنصر الأساس في تصميم الدور السكنية في العراق القديم وأستمر كذلك حتى الوقت الحاضر[٣].

أما في أبنية المعابد فمن الصعب تحديد الفترة الزمنية التي أستخدم فيها الفِنَاء، إذ أشار **فرانكفورت** إلى أن مخططات المعابد الأولى كان يرافقها بعض التنظيم للمنطقة الخارجية المتاخمة لها وخصوصاً عند المدخل، وإن هذا التنظيم كان ضرورياً لغرض استغلال هذه المساحات للقيام بنشاطات عديدة تتعلق بالخدمة الدينية، وهذا ما دلت عليه الساحات المكتشفة قرب المعبد الأبيض للإله آنو في الوركاء العائد إلى عصر جمدة نصر حيث عُثر فيها على مجموعة من الحلقات كانت تستخدم لربط الحيوانات المقدمة كأضاحي إلى المعبد[٤]. كما أن إنشاء المعابد وسط الدور السكنية وضيق مساحة البناء أوجب على المعمار إيجاد مساحة مفتوحة لغرض القيام بهذه النشاطات، وهذا ما نلاحظه في الطبقة I من معبد الإله سين في خفاجة العائدة إلى عصر جمدة نصر، إذ ألحقت به قطعة الأرض المجاورة للمدخل[٥] واستمرت على ذلك في الطبقات الأربع التالية مع زيادة في عدد الأفنية إلى ثلاث منذ الطبقة IV وكذلك زيادة مساحة الفِنَاء نفسه(مخططات١٤-١٥، ٢٢-٢٤)[٦]. واعتماداً على ما أورده **فرانكفورت** فمن المحتمل أن استغلال الأراضي المجاورة للمعبد كفِنَاء أمامي تابع له قد أُستخدم في عصور أقدم من عصر جمدة نصر، غير أن التنقيبات الأثرية لم تتمكن من استظهارها فعلياً، وذلك نتيجة لتكرار عملية البناء واتساع رقعة البناء نفسه، وهذا ما حدث في معبد سين أيضاً، إذ تحول الفِنَاء من خارج البناء إلى داخله في الطبقة VI العائدة لعصر فجر

---

(1) Roaf, Op.Cit(1984) P.80f.

(2) Muller, V.,"Types of Mesopotamia Houses", JAOS, Vol.60, No.2, (1940), P.151ff.

(٣) للمزيد يراجع: عبد الرسول، سليمة،"الفِنَاء الداخلي معالجة مناخية متواصلة في عمارة السكن العراقية"، في: ندوة العمارة والبيئة، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص٧٣-٨٠.

(4) Frankfort, Op.Cit(1956),P.8.

(5) OIP.58, P.14.

(6) Ibid, P.23.

السلالات الأول (مخطط٣٥) وإلى هذا العصر ينسب أول ظهور فعلي للفِنَــاء الــداخلي فــي المعابد العراقية القديمة.

لكن هناك نظرية أخرى تتعلق بالقاعة المركزية في المعابد التــي اتبعــت التخطــيط الثلاثي، إذ تشير إلى كون هذه القاعات تمثل البدايات الأولى للفِنَاء الداخلي في المعابد العراقية القديمة والتي ترجع أقدم نماذج مخططاتها إلى عصر العبيد الرابع كما في معابد اريدو الطبقة VII-VI(مخطط١٧-١٨) ومعبدي الوركاء الأول والثاني(مخطط٨-٩) على اعتبار إنها لــم تكن مسقفة؛ وذلك بسبب سعة هذه الفضاءات في بعض المعابد والتي بلغت في معبد الحجــر الكلسي ١١.٥م عرضاً و٦٢م طولاً، وكذلك افتقار مناطق الجنوب التي أقيمت فيها هذه المعابد إلى الأنواع الجيدة من الأخشاب التي تستخدم كرواصد ودعائم للسقف، وفضــلاً عــن ذلــك استخدام عنصر الطلعات والدخلات في الجدران المطلة عليها والتي تشير الأدلة الأثرية إلــى أن استخدامها كان مقتصراً على الواجهات الخارجية للجدران[١]

غير أن هناك رأي آخر يُشير إلى العكس مــن ذلــك، إذ يعتقــد **هــاينرش** أن هــذه الفضاءات كانت مسقفة على الأرجح وقد تَوصل إلى هذا الاعتقاد من خلال عمله في مدينــة الوركاء، إذ كَشفتْ التنقيبات الأثرية التي أُجريت في القاعة المركزية من معبد الحجر الكلسي الطبقة IVb العائدة إلى عصر الوركاء عن بقايا مخلفات تعود لسقف هذه القاعــة[٢]، وكــذلك بالدراسة المقارنة مع ما جاء على بعض طبعات الأختام الاسطوانية من رسوم لواجهات أبنية كانت تمثل في الغالب واجهات معابد، إذ تشير تلك الرسوم إلى ارتفاع الواجهة الوسطية وفي بعض الأحيان الجانبين، وكذلك تشير إلى تخطيطات الرواصــد التــي كانــت تســتخدم فــي التسقيف(شكل٦٣)[٣].

إن ما يؤيد هذا الرأي هو زيادة عدد المداخل وجعلها بصورة متقابلة في أبنية المعابــد المقامة وفق التخطيط الثلاثي، إذ سهل وجودها انسيابية التيارات الهوائية عبر البناء وإدخــال الضوء إلى قلب المعبد وبهذا فقد نجح المعمار في تحقيق الظروف المناخية الملائمــة كافــة لجعل القاعة المركزية في هذه المعابد مسقفة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك القاعات المركزيــة في معبد الحجر الكلسي والمعبد A والمعبد F في الطبقة IVb (مخطط١١ أ،ب،و) والمعبد C في الطبقة IVa في الوركاء(مخطط١٩-أ) وفي حال كون المداخل غير متقابلــة فقــد عمــد المعمار إلى رفع الجدران الجانبية للقاعة المركزية فوق مستوى الحجرات الجانبية لكي تسمح

---

[١] حول موضع الطلعات والدخلات في جدران المعابد العراقية القديمة يراجع الصفحة١٨٢ وما بعدها.

[٢] مورتكات، المصدر السابق، ص٢١. وكذلك: UVB.XXI, P.16f.

[3] Heinrich, Op.Cit, P.44ff.

بوجود نوافذ تؤمن دخول الهواء وتبدل التيارات الهوائية في البناء وهو ما يرجح احتمالية التسقيف لهذه القاعات كما في المعبد المصبوغ في تل العقير(شكل٩٢).

ومما يرجح أيضاً كون هذه القاعات لم تكن فِنَاءً مفتوح السقف هو إن هناك عدد من الساحات الخارجية التي استخدمت لإغراض الخدمة الدينية كما في الساحة الخارجية المكتشفة بالقرب من المعبد الأبيض للإله آنو في الوركاء أو لإغراض الاجتماعات الرسمية والشعبية كما في ساحة المصطبة الوسطية في الطبقة IVb في الوركاء التي تتوسط مجمع المعابد والبالغ قياسها ٦٠٠م تقريباً(تخطيط١١-د).

واعتماداً على كلا الرأيين يمكن القول بأن القاعة المركزية في معابد التخطيط الثلاثي كانت عبارة عن فِنَاء داخلي مغلق وهو ما يعرف (بالاتريوم)[١]، وكان يؤدي وظائف الفِنَاء المفتوح جميعها من خلال إيفائه بالمتطلبات المناخية وكذلك انفتاح الوحدات العمارية عليه.

وأستمر استخدام الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد خلال عصر فجر السلالات، إذ أستقر المعمار على النمط التخطيطي الذي يعتمد على وجود هذا العنصر بوصفه موزعاً لباقي وحدات البناء وغدا استخدامه أكثر انتشارا على الرغم من أن تخطيطه كان غير منتظم في معظم الأحيان؛ وذلك لضيق الفضاء المتاح للبناء وحرص المعمار على انتظام تخطيط الحجرات المطلة عليه، فضلاً عن التزام المعمار بمخططات الطبقات السابقة عند إعادة الأعمار[٢]، وهذا ما نلاحظه في معبد الإله سين الطبقات VI-X(مخططات ٣٥-٣٩)[٣] ومبعد ننتو الطبقة VI(مخطط٤٧)[٤] في خفاجة وكذلك في المعبد الشمالي في نيبور الطبقات IX-III (مخطط٢٦ أ-ز)[٥]. وبدأ تخطيط الفِنَاء الداخلي بالانتظام خلال عصر فجر السلالات الثالث كما في أفنية معبد شارة في تل اجرب(مخطط٤٨)[٦] والمعبد البيضوي في خفاجة(مخطط٢٧)[٧] والمعبد المربع للإله آبو في تل اسمر(مخطط٦١)[٨].

---

[١] الاتريوم: مصطلح لاتيني مأخوذ من كلمة Atra وتعني الظلام، يستخدم للإشارة إلى القاعة الوسطية أو الفِنَاء بالمنزل الروماني أو في الكنيسة وعموما يعرف بأنه فِنَاء مغطى يتوسط المبنى وتنفتح عليه الوحدات العمارية ويضاء من أعلى أو عبر نوافذ عريضة من الجدران الجانبية، وبذلك يمكن أن يُعد هذا العنصر من ابتكارات العمارة العراقية القديمة التي سبقت ظهور أولى نماذجه في بلاد الإغريق بما يزيد عن ألفي سنة. للمزيد يراجع: بقاعين، حنا، المصدر السابق، ص٨٤. وكذلك: وزيري، يحيى، تطبيقات على عمارة البيئة "التصميم الشمسي للفِنَاء الداخلي"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٦٣. وكذلك: حسن، محمد نوبي، "مبادئ التصميم المعماري لنمط المباني ذات الأفنية الداخلية"، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٣، ص١٠٤

[2] Ujam, F., Courtyard Housing Past, Present, Future, New York(2006), P.102.

[3] OIP.58, P.40,45,55,63,77.

[4] Ibid, P.84.

[5] OIP.97, P.5ff.

[6] OIP.58, P.227,255,264.

[7] OIP.53, P.37f.

[٨] يشير لويد إلى أن الجزء المركزي من المعبد المربع (D17:7) كان عبارة عن حجرة وسطية ولم يكن فِنَاءً مفتوحاً نحو السماء OIP.58, P.176 .

ظل الفِنَاء الداخلي مستخدماً في عمارة المعابد خلال العصر الاكدي على الرغم من قلة نماذج المعابد المكتشفة العائدة لهذا العصر والتي كان أغلبها يشكل استمراراً لعصر فجر السلالات، لذلك من العسير تحديد طبيعة التغيرات التي طرأت على موضعه وتخطيطه وعمارته خلال هذا العصر، ولكن من خلال مقارنة مخططات المباني العائدة للعصر الاكدي وخصوصاً المباني الملكية كحصن نرام سين في تل براك يلاحظ أنه أنشئ وفق تخطيط دقيق وقد شغل الفِنَاء المركزي فيه الجزء الوسطي من المبنى وكان ذا شكل منتظم وقياس متساوٍ[١] ولابد أن هذا التنظيم انسحب على مخططات المعابد وفِنَائها.

أتسم تخطيط الفِنَاء الداخلي خلال عصر سلالة أور الثالثة بدرجة كبيرة من الدقة والتي هي جزء من التنظيم العام المرافق لمخططات المعابد في هذا العصر، وبدا جلياً مقدار التأثير الذي حدث في ميدان العمارة خلال العصر الاكدي وظهرت نتائجه في هذا العصر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك معبد الإله انكي إذ كان فِنَائه الداخلي ذا تخطيط متقن يتوسط البناء(مخطط٣٠)[٢] وكذلك احتوت بناية كيك-بار-كو على ثلاث أفنية موزعة على أرجاء البناء وجميعها ذات تخطيط منتظم(مخطط٣١)[٣]، كما ضم المعبد الملحق بقصر شو-سين فِنَاءً فِنَاءً داخلياً منتظماً أيضاً(مخطط٢٩).

أصبح وجود الفِنَاء الداخلي في مخططات المعابد التي أُنشئت وفق الطراز البابلي خلال العصر البابلي القديم جزءً أساسياً ضمن هذا الطراز، إذ يُعد الفِنَاء محوراً مكملاً لنظام الدخول إلى المعبد وحلقة وصل بين المدخل والجناح المقدس، وقد حافظ تخطيط الفِنَاء في هذا العصر على انتظامه ودقة قياساته إذ غدت مساحته أكثر اتساعاً من السابق وذلك ليتلائم مع حجم البناء وليعطي انطباعاً لدى المتعبدين بالرهبة. ويؤيد ذلك تعدد وسعة مساحة الأفنية في معبد الإله شمش أي ببار في لارسا إذ بلغ قياس الفِنَاء (I) فيه ١٣.٧٠×١٥م(مخطط٣٣)[٤]. وكذلك في معبد الإلهة عشتار كيتيتوم إذ شغل الفِنَاء الرئيس الرئيس (A) مساحة تقدر بـ ٤٦×٣١م فضلاً عن هذا الفِنَاء فقد أحتوى المعبد على ثلاث أفنية أخرى أصغر حجماً(مخطط٤٠)[٥]. كما ضم معبد الإلهة نيساباً فِنَاءً داخلياً واسعاً يتوسط البناء(مخطط٣٢)[٦]. وأستخدم الفِنَاء الداخلي كذلك في المعابد العائدة للعصر الأشوري القديم

---

[1] Mallowan, Op.Cit,(1947), P.63.

[2] UE.VII, P.66.

[3] Ibid, P.46,53.

[4] Hout, Op.Cit(1980), P.6.

[5] OIP.98, P.54f.

[6] Baqir, Op.Cit, P.25.

كما في معبد الإله أشور في مدينة أشور(مخطط٣٤)[١]. وكذلك ضم معبد تل الرماح فِنَاءً واسعاً ذا تخطيط دقيق تبلغ أبعاده ٢٠×١٧م(مخطط٥٨)[٢].

احتوت بعض أبنية المعابد على أكثر من فِنَاء واحد ضمن مخططاتها وإن هذا التعدد في الأفنية الداخلية يمكن إرجاعه إلى بداية ظهور الفِنَاء في أبنية المعابد خلال عصر جمدة نصر، إذ ضم معبد الإله سين في خفاجة الطبقة IV ثلاث أفنية تتقدم الجناح المقدس يقع الفِنَاء الأول المرقم(٢٢) في الجزء الجنوبي من المعبد وكانت تطل عليه غرف الإدارة والخزن، أما الفِنَاء الثاني المرقم(٢١) الواقع إلى الشمال من الفِنَاء الأول فقد أحتوى على فرنين لإعداد الخبزْ، بينما كان الفِنَاء الثالث المرقم(١٦) يطل على الجناح المقدس ويحتوي على سلم أقيم عند الطرف الشمالي الغربي منه ودكة قرابين وضعت أمام مدخل الجناح المقدس(مخطط٢٣)[٣] ويبدو أن سبب تعدد الأفنية في هذا المعبد كان قائماً على أساس التخصص الوظيفي إذ أختص كل فِنَاء بأداء وظيفة محددة.

غير أن انتقال الفِنَاء نحو الداخل وزيادة عدد الوحدات العمارية في المعابد، نتيجة لتنامي دورها في مختلف مجالات الحياة، جعل من الصعب تأمين الظروف المناخية الملائمة لتلك الوحدات جميعها عبر فِنَاء واحد مما تطلب من المعمار زيادة عدد الأفنية داخلها لتلبية تلك المتطلبات، فضلاً عن استمرارية التخصص الوظيفي من خلال جعل الفِنَاء والحجرات المطلة عليه وحدة عمارية مستقلة. ومن المعابد العائدة لعصر فجر السلالات التي استخدمت أكثر من فِنَاء ضمن مخططها معبد شارة، إذ أحتوى هذا المعبد على خمس أفنية توزعت بشكل يوحي إلى استقلالية كل فِنَاء بوحداته العمارية(مخطط٤٨)[٤] كما أحتوى المعبد البيضوي في خفاجة على ثلاث أفنية احدهم كان يتوسط بيت الكاهن (D) أما الفِنَاء الثاني فيتقدم السور البيضوي الثاني للمعبد، وشغل الفِنَاء الثالث الأوسع حجماً الفضاء الوسطي للمعبد إذ وزعت حوله الحجرات وأقيمت في جانبه الجنوبي الغربي المصطبة التي شُيدت عليها الحجرة المقدسة(مخطط٢٧)[٥]، وكان تخطيط بناية كيك-بار-كو العائدة لعصر سلالة أور الثالثة يضم ثلاث أفنية أحتل الفِنَاء الأول (C7) الجزء الجنوبي الشرقي من البناء، بينما كان الفِنَاء الثاني (A6) يشغل الجانب الشمالي الشرقي، أما الفِنَاء الثالث (A11) فقد كان في

---

[١] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص٢٦.

[2] Oates, Op.Cit,(1967), P.74f.

[3] OIP.58, P.23.

[4] Ibid, P.228.

[5] OIP.53, P.37f.

الجانب الشمالي الغربي من البناء(مخطط٣١)[١]. كما ضم معبد الإلهة عشتار كيتيتوم العائد للعصر البابلي القديم أربع أفنية(مخطط٤٠)[٢] وكذلك أحتوى مبعد الإلهة گولا في آيسن على ثلاث أفنية داخلية(مخطط٥٧).

من خلال ما تقدم يمكن إيجاز الخصائص الموضعية والتخطيطية والعمارية للفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد، فيلاحظ على موضع الفِنَاء انتقاله التدريجي من كونه عنصراً خارجياً ملحق بالبناء كما في طبقاتI-V لمعبد سين في خفاجة(مخططات١٤-١٥، ٢٢-٢٤)، إلى استقرار موضعه وسط البناء واتخاذه نقطة مركزية لتوزيع الحركة والانتقال بين الداخل والخارج وبين الوحدات الداخلية للمعبد، وإن تحديد موضع الفِنَاء الداخلي ضمن البناء يعد أمراً أساسياً في تنظيم المخطط وتوزيع الوحدات العمارية حوله وهذا ما يفسر أيضاً استخدام عدداً من الأفنية ضمن البناء الواحد.

كان موضع الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد التي أُنشئت وفق الطراز البابلي أكثر التزاماً في اتخاذ الجزء الوسطي من المعبد لكونه يُعد جزءاً رئيساً لنظام الدخول الذي اتبعته هذه المعابد وحلقة وصل ما بين المدخل والجناح المقدس، كما في معبد الإله انكي في أور (مخطط٣٠) ومعبد الإله شمش أي ببار في لارسا(مخطط٣٣) ومعبد الإلهة نيسابا في تل حرمل(مخطط٣٢-أ)، ومما يؤكد أهمية موضع الفِنَاء الداخلي في هذا الطراز أنه توسط الجناح الرئيس لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي المُصمم وفق هذا الطراز وأُتبع الأسلوب ذاته في الحجرة المقدسة الثانية في الجزء الشمالي الشرقي من المعبد نفسه(مخطط٤٠).

بيد أن هذا لا يعني كون الأفنية جميعها شغلت الجزء الوسطي من المعابد إذ أقيم الفِنَاء الداخلي في المصلى القديم للإله آبو في تل اسمر الطبقة I-IV عند الجزء الجنوبي الغربي من المعبد(مخططات٥٠-٥٣)[٣].

أما المعابد التي احتوت مخططاتها أكثر من فِنَاء واحد فقد راعى المعمار في انتخاب موضع كل واحد منها الضرورة العمارية، إذ وزعت هذه الأفنية على أرجاء المعبد كما في معبد شارة في تل اجرب(مخطط٤٨) ومعبد الإلهة إنانا في نيبور الطبقة VIIb(مخطط٢٥-أ) العائدين لعصر فجر السلالات. وبناية كيك-بار-كو في أور العائدة لعصر سلالة أور الثالثة(مخطط٣١) وفي أحيان أخرى حرص المعمار على توفير فِنَاء مركزي يتوسط المعبد

---

(1) UE.VII, P.46,53.

(2) OIP.98, P.42,47ff.

(3) OIP.58, P.162ff.

ومن أمثلته الفِنَاء (A) في معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي(مخطط٤٠) والفِنَاء (B) في معبد الإلهة كَولا في آيسن (مخطط٥٧).

ظهر في تخطيط الفِنَاء الداخلي أشكال عدة منها الشكل غير المنتظم والذي أنتشر خلال عصر فجر السلالات ومن نماذجه فِنَاء معبد الإله سين الطبقات VI-VII إذ عانى تخطيط هذا الفِنَاء انحرافاً في ضلعيه الجنوبي والشرقي، بينما كان الضلع الشمالي أكثر استقامة من سابقيه رغم انحراف جزءه الشمالي الشرقي نحو الخارج، وقد شابه الضلع الغربي المطل على الجناح المقدس الضلع الشمالي من حيث الاستقامة، وفي الطبقتين VIII-IX أنتظم الفِنَاء الداخلي نوعاً ما؛ بفعل إضافة وحدات عمارية في الجهتين الجنوبية والشرقية ولكن الانحراف عاد إليه في الطبقة X عند الضلع الشرقي نتيجة لانتقال موضع المدخل إلى الجهة الشمالية من المبنى وإضافة حجرة مدخل إليه (مخططات٣٥-٣٩). كما كان تخطيط فنائي معبد الإله ننتو المرقمين(١٢) و(٥٣) من الطبقة VI في خفاجة غير منتظم أيضاً(مخطط٤٧) وكذلك الحال مع الفِنَاء الداخلي للمعبد الشمالي في نيبور الطبقات IX-III (مخطط٢٦)

ويمكن أن يعزى سبب عدم انتظام تخطيط الفِنَاء الداخلي في هذه المعابد إلى صغر حجم المساحة المتاحة لتلبية متطلبات التخطيط المتقن للفِنَاء الداخلي مما دفع المعمار في التركيز على تخطيط الحجرات المطلة بشكل منتظم وإظهارها بهيئة تليق بمقام الإله، وبذلك كان الفِنَاء الداخلي أكثر الوحدات العمارية مرونة في اتخاذ التخطيط المناسب والذي يتيح المجال أمام المعمار في تنظيم الوحدات المطلة عليه عبر اقتطاع أجزاءً منه.

يمثل التخطيط المنتظم الشكل الثاني المتبع في تخطيط الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد والذي تنوع بين التخطيط المربع كما في المعبد المربع للإله آبو في تل اسمر(مخطط٦١) وأستخدم التخطيط المربع أيضاً في الفِنَاء (C) من معبد شارة في تل اجرب العائدين لعصر فجر السلالات (مخطط٤٨) وفي الفِنَاءين (A6) و (A11) في بناية كيك-بار-كو(مخطط٣١) وكذلك في فِنَاء المعبد الملحق بقصر شو-سين(مخطط٢٩) العائدين لعصر سلالة أور الثالثة. كما أستخدم التخطيط المربع في الفِنَاء الرئيس لمعبد الإله أشور في مدينة أشور(مخطط٣٤) وكذلك في فِنَاء معبد تل الرماح(مخطط٥٨).

ويشكل التخطيط المستطيل النوع الثاني من التخطيط المنتظم للفناء الداخلي والذي كان أكثر انتشاراً، إذ نجد نماذجه في المعبد البيضوي في خفاجة(مخطط٢٧) ومعبد الإلهة عشتار الطبقة H في أشور(مخطط٤١) العائدين لعصر فجر السلالات. والفِنَاء (C7) الكائن في الجزء الجنوبي لبناية كيك-بار-كو في أور العائدة لعصر سلالة أور الثالثة(مخطط٣١)، وكذلك في الفِنَاء الرئيس (A) لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي (مخطط٤٠) وأستخدم التخطيط المستطيل المنتظم في المعابد جميعها التي أتبعت الطراز البابلي ومنها على سبيل

المثال الفِنَاء الداخلي لمعبد الإله انكي في أور والعائد لعصر سـلالة أور الثالثـة(مخطط٣٠)، وكذلك في فِنَاء معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل(مخطط٣٢) العائد للعصر البابلي القديم.

أتسم تخطيط الفِنَاء الداخلي في أبنية المعابد بسعة مساحته، إذ تشـكل مسـاحته ثُلـثَ مساحة البناء في أغلب الأحيان فقد بلغ قياس الفِنَاء الداخلي للمعبـد البيضـوي فـي خفاجـة ٣٨×٥٦م وهذا ما نسبته ٣٥% من مساحة البناء[١]. كما بلغت مساحة الفِنَاء في معبد انكي في أور ١٠×١٣م ويعادل ١٢% من مساحة المعبد[٢]. وبلغ مجموع مساحة الأفنية الداخلية لمعبد الإلهة عشتار كيتيتوم ٢٠٩٦م^{2} من مساحة المعبد البالغـة ٦٥٠٠م^{2} أي بمقـدار ٢٩% مـن مساحة البناء الكلية[٣].

وفيما يتعلق بالجانب العماري فقد أبدى المعمار اهتماماً وعناية ملحوظة في عمارتـه بوصفه الوحدة العمارية الأوسع مساحة في البناء والأكثر عرضة لتأثيرات المناخ فضلاً عـن تأثير النشاطات اليومية التي تدور فيه، وقد شمل الاهتمام به تهيئة الأرضيات، إذ مدت قنوات لتصريف المياه المتجمعة في الفِنَاء إلى الخارج عبر مجاري فخارية دفنت في باطن الأرض، ومن ثم رصفت أرضية الفِنَاء بعناية وغالباً ما اتبعت طريقة الرصف ذاتها المتبعة في رصف أرضيات المعبد، إذ دكت أرضية الفِنَاء في معبد سين ومعبد ننتو في خفاجة ومعبد آبو في تل اسمر العائدة لعصر فجر السلالات[٤]. بينما رصفت أرضية الفِنَاء الداخلي فـي العديـد مـن المعابد بوساطة قوالب من اللبن صُفت جنبا إلى جنب وذلك لكونها أكثر صلابة ومقاومة مـن طريقة الرصف الأولى، ومن أمثلة المعابد التي رصفت أفنيتها باللبن معبد شو–سين في تـل اسمر[٥] ومعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي[٦].

وأستخدم عنصر الطلعات والدخلات في تزيين واجهات الجدران المطلة على الفِنَـاء الداخلي، وذلك لإبعاد الرتابة التي تخلفها سعة هذا الفضاء وكذلك المحافظة على جدرانه مـن عوامل المناخ المتنوعة والتي تؤثر سلباً على جدرانه، كما انتشرت في أرجاء الفِنَاء العديد من الأشكال العمارية كالدكاك المقدسة وأحواض وآبار الماء ومصاطب الجلوس.

---

(1) OIP.53, P.37.

(2) UE.VII, P.66.

(3) OIP.98, 41f.

(4) OIP.58, P.45.52.84,162,165.

(5) OIP.43, P.22.

(٦) بلغ قياس الطابوق المستخدم في رصف الفِنَاء الرئيس (A) ٤٠×٤٠×٩.٥سم OIP.98, P.42

الفصل الخامس

التزيين في أبنية المعابد

إن مفهوم وأساليب التزيين في العمارة العراقية القديمة وتحديداً عمارة المعابد يمتد على مدى أكثر من ثلاثة ألاف عام، رغم أن عناصر التزيين هذه لم تكن هي الهدف الرئيس لدى المعمار في بادئ الأمر وبمرور الوقت برز فيها هذا المفهوم بشكل واضح كوسيلة أساسية لتحقيق أعلى مستويات الجمال الممكنة في الشكل العماري مستغلاً في ذلك جميع العناصر العمارية والفنية، فعندها تعمل هذه العناصر جميعها معاً بتناسق وعندما تتكامل الأجزاء في تصميم موحد. هذا من جانب ومن جانب أخر فإن التزيين المتبع في العمارة ومنذ بداياتها المبكرة قد أرتبط بمفاهيم دينية وطقوسية وسحرية لذلك كان التزيين ذا وظيفة رمزية تسمو فوق الوجود المادي ويُظهر مدى معرفة المعمار لدور الطبيعة من حوله، مكتسباً في ذلك أهميته التاريخية والحضارية من خلال اقترانه بالنتاج الفكري والمادي وتطورهما في كل عصر من عصور الحضارة العراقية القديمة.

إن الأساليب المتبعة في تزيين الجدران الخارجية والداخلية لأبنية المعابد ذات أهمية بالغة، كونها تعكس عدداً من القيم الدينية السائدة في المجتمع العراقي القديم من خلال ما تصوره الأعمال الفنية المزينة لجدران المعابد من مشاهد تتعلق بالخدمة الدينية وإقامة بعض الطقوس والشعائر، فضلاً عن استخدام عدد من التماثيل ذات الطابع الطقوسي، كتماثيل الحيوانات الحارسة عند المداخل والتي أكسبت البناء صفة جمالية من خلال شكلها وأماكن وضعها في المعبد، كما تُظهر هذه الأساليب مقدرة المعمار على تطويع المواد الإنشائية ذات الهيئة غير الجذابة وصياغتها بأشكال متعددة تلائم المكانة المميزة آنذاك التي يتمتع بها المعبد، وان توظيفه لعدد من العناصر البنائية كمعالجات عمارية أخذت طابعاً جمالياً يُظهر مرة أخرى مدى معرفة المعمار بطبيعة هذه المواد ومجالات استخدامها، وبصورة تضمن تحقيق كلا الغرضين الوظيفي والجمالي معاً.

إن صيغ التزيين في العمارة تتمثل في مجموعة الوسائل أو الإمكانيات التي يوظفها المعمار ويلجأ إليها للوصول إلى الشكل المطلوب، ومن خلال دراسة ومقارنة الأساليب التصميمية لواجهات المباني الدينية الخارجية والداخلية والعناصر المنفذة منها هذه الواجهات يتبين أن صيغ تحقيق التزيين في العمارة العراقية القديمة بشكل عام والدينية بشكل خاص قد أرتبط بعدة عوامل هي:

١- التزيين المرتبط بالوحدات العمارية والذي انحصرت مفاهيمهُ الأساسية ما بين طبيعة تنظيمه وارتفاعه وسعة مساحته وإمكانية تنفيذ التفاصيل العمارية والفنية عليه.

٢- التزيين المرتبط بالمواد البنائية والذي اعتمدت عناصره الأساسية علـــى الخصـــائص المظهرية للمواد البنائية والخصائص التكوينية والإنشائية لها كطرق الربط وأســـاليب التصميم.

٣- التزيين المرتبط بالعناصر الفنية والتي تعد عناصر تكميلية للعناصر العمارية المنفذة.

المبحث الأول
عناصر التزيين في أبنية المعابد

تقسم عناصر التزيين التي استخدمها المعمار في تلطيف الواجهات الخارجية والداخلية للمباني الدينية والمدنية على قسمين رئيسين يشمل الأول منها العناصر العمارية ويشمل القسم الثاني العناصر الفنية. وعناصر كل قسم تتوزع على مجاميع تشكل كل منها صنفا من عناصر التزيين. فقد ضم القسم الأول العناصر العمارية وهي على أربعة أنواع:

١- الطلعات والدخلات

٢- المداخل

٣- النوافذ

٤- الشرفات

أما الأنواع الثلاثة التي تعود إلى القسم الثاني من العناصر الفنية فتشمل:

١- الرسوم الجدارية

٢- المخاريط الجدارية

٣- التماثيل والمنحوتات

أولاً: العناصر العمارية

هي تلك العناصر التي تؤدي دوراً وظيفياً في البناء وتُشيد بمواد البناء ذاتها المستخدمة في عمارة المعابد وقد أكسبها المعمار صفة جمالية من خلال أسلوب تشييدها أو موضعها من البناء وهيئتها العمارية، ومن خلال دراسة ومقارنة النماذج المستظهرة أثناء عمليات التنقيب، فقد أمكن تمييز أربعة أشكال أساسية للعناصر العمارية المستخدمة في تصميم وتزيين المباني العراقية القديمة وهي الطلعات والدخلات والمداخل والنوافذ والشرُفات.

١- الطلعات والدخلات

تعد الطلعات والدخلات من العناصر العمارية البارزة في عمارة المعابد العراقية القديمة وسمة أساسية لها، إذ لازمت عمارتها منذ نشأتها فصاعداً[1]. والطلعات عبارة عن عنصر بنائي ذو مقطع عمودي مسطح يبرز عن سُمك الجدار الخارجي وتنتظم بشكل متناسق

---

[1] الجادر، المصدر السابق، ١٩٧٨، ص٨٢.

تفصل بين كل منها مسافة معينة[١]، ووردت الإشارة إلى الطلعات في اللغة السومرية بالمصطلح $BAN_3.DA$ أو $BAN.DA_4$ يقابله في اللغة الاكدية المصطلح imdu ويعني العمود أو الدعامة البارزة عن الجدار[٢] كما أستخدم المصطلح sippu للإشارة إلى الطلعات البارزة عن أسوار المدن[٣].

أما الدخلات فهي الجزء الغائر داخل سطح الجدار وكانت بشكل تجاويف عمودية ذات مقطع جانبي مقوس أو مستطيل، وتتناوب هذه الدخلات مع الطلعات لتنتج سطحاً متناسق التنظيم كما أُستخدمت الدخلات المركبة في إضفاء نمط مسنن الشكل للسطح الخارجي للجدار[٤]، عُرفت الدخلات في اللغة السومرية بالمصطلح $A.UR_2$ ويقابله بالاكدية puzru ويعني الجزء الغائر إلى الداخل من الجدار[٥] وكذلك أُطلق عليها المصطلح الاكدي hibšu ويعني الكوة[٦]. كما أستخدم المصطلح السومري IB.BI ويقابله بالاكدية tubqu للإشارة إلى الزاوية أو الدخلة ويبدو أنه أستخدم بصورة قليلة للدلالة على الكوة التي يوضع في كنفها تمثال الإله في الحجرة المقدسة[٧].

يمكن أن يعزى ظهور عنصر الطلعات والدخلات واستخدامه على نطاق واسع في أبنية المعابد إلى عاملين أساسيين، الأول هو العامل الوظيفي العماري إذ يهدف وجودها إلى دعم وإسناد الجدران وزيادة متانتها ومقاومتها للظروف البيئية كالرياح والرطوبة والأمطار والتي قد تؤدي إلى تآكل الجدران الخارجية وضعفها وبالتالي تشققها وانهيارها بعد فترة قصيرة من تشييدها[٨] الأمر الذي حمل المعمار إلى استخدام هذا العنصر على طول الجدران لتقويتها ولتخفيف أثر العوامل البيئية عليها، فضلاً عن تخفيف حدة سقوط أشعة الشمس عليها في فصل الصيف[٩].

---

(١) لايك، المصدر السابق، ص١٨٤.

(2) CDA, P.128[a].

(3) Ibid, P.324[b], CAD,"S", P.300[b].

(٤) لايك، المصدر السابق، ص١٤٧.

(5) CAD,"P", P.556[a].

(6) CDA, P.115[b].

(7) CAD,"T", P.447[b].

(٨) مظلوم ، طارق عبد الوهاب،"البيئة والمعمار في بلاد وادي الرافدين واستعمال مادة اللبن"، بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، بغداد، ١٩٨٧، ص٣٢٥.

(٩) المنمي، المصدر السابق، ص٧٦.

كما يعمل وجودها كمسند مانع ضد الضغط الجانبي للجـدران الكبيـرة، إذ أن بنـاء الجدران بصورة مستوية يؤدي إلى زيادة ضغط الأجزاء العلوية من الجـدار علـى القاعـدة وبمساعدة العوامل البيئية المؤثرة على مادتها البنائية كالرطوبة والأمطار ينتج عنه تبطن هذه الجدران من الأسفل وبالتالي تداعيها نتيجة لاستمرار الضغط[١] إذ أن أضعف نقـاط الجـدار سوف تكون عند أسفل وجه الجدار الخارجي، لكون الوجه الداخلي مدعوم بالجدران العرضية التي تشكل الوحدات الداخلية للبناء (شكل٩٦) وهذا السبب يعد من العوامل المهمة التي دفعت المعمار على التركيز في استخدام نظام الطلعـات والـدخلات عنـد الواجهـات الخارجيـة للجدران[٢] وقد يستغل وجودها كمسند وحاضن لثقل العوارض الأفقية وأعمدة السقوف، كمـا يمكن أن تُساعد في تصريف مياه الأمطار خصوصاً إذا كانت مبنية من الآجـر المفخـور أو الحجر كما في بعض الزقورات[٣]. وأخيراً فإن استخدام نظام الطلعـات والـدخلات لتقويـة الجدران يخفف من سمكها مما يوفر في مواد البناء[٤].

ويُعد العامل الجمالي السبب الثاني الذي يعزى إليه ظهور هذا العنصر العماري فكمـا هو معروف أن مادة اللبن المستخدمة بشكل رئيس في عمارة المعابد العراقية القديمـة غيـر جذابة في لونها وتركيبها[٥]، إلاّ أنه عند إضفاء عنصر الطلعات والـدخلات كانـت تعطـي لواجهات الجدران المشيدة من هذه المادة بعض التغيرات ونوعاً من الجمالية من خلال تفاوت الظل والضوء عليها، كما أنها تقلل من رتابة الجدران والبيئة المحيطة بها[٦]. وهكذا اكتسـبت الجدران الخارجية منظراً مبهجاً وصفة جمالية بارزة وأضفت على المعبد الحيوية من خـلال تغير زاوية سقوط ضوء الشمس عليها في ساعات النهار وغالباً ما تُكسى هذه الجدران بملاط من الجص ليزيدَ من تحملها للعوامل البيئية مما أسبغ على المباني لوناً ناصع البياض وبهـاءً إضافياً[٧]. وبذلك كان هذا العنصر العماري في أبنية المعابد يلبي كـلا الغرضـين العمـاري والجمالي معاً ويعكس قدرة المعمار العالية في استعمال مواد البناء وأسلوب بنائها واسـتيعابه لعناصر الدعم الرافدة للبناء والعوامل المؤثرة فيه منذ فترة مبكرة.

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص١٨٤.

[٢] الطيب، عبد يوسف،"وسائل وتقنيات العمارة الطينية تجربة تطبيقية في بناء دار سكنية من مادة الطـين"، هندسة الرافدين، المجلد١٣، العدد٢، الموصل، ٢٠٠٥، ص٤٢.

[٣] لايك، المصدر السابق، ص١٨٤.

[٤] عكاشة، المصدر السابق، ص١١٦.

[٥] المنمي، المصدر السابق، ص٧٦.

[٦] الشيخ، المصدر السابق، ١٩٩٥، ص٢٠٧.

[٧] عكاشة، المصدر السابق، ص١١٦.

تشير الأدلة الأثرية إلى أن أقدم استخدام للدعامات البارزة عن الجدران كان في البيوت السكنية العائدة لعصر حسونة في الألف السادس قبل الميلاد، إذ كَشفت التنقيبات الأثرية في موقع حسونة من الطبقة الرابعة عن بيت سكني منتظم التخطيط اسُتعملت فيه الدعائم البارزة لتقوية الجدران الداخلية للغرف[١]. كما تم الكشف في الطبقة الأولى والثانية من موقع تل الصوان العائدة للعصر نفسه عن دعامات تسند جدران الغرف من الخارج للغرف الموجودة في الموقع، واستخدمت هذه الدعامات لتقوية الجدران وربطها من الخارج مع بعضها البعض[٢].

كما تميز الجدار الخارجي للدور السكنية المبنية وفق التخطيط الثلاثي باستخدام طلعات بنائية عند أماكن التقائها بالجدران الداخلية المتعامدة عليها(مخطط٤-ب)[٣] والتي أستمر استخدامها مع الدور السكنية في العصور اللاحقة حتى نهاية العصر البابلي الحديث، إذ كشفت التنقيبات الأثرية في مدينة بابل بيتاً سكنياً يقع إلى الغرب من المسرح الأغريقي. وقد احتوت جدرانه الخارجية على دعامات منسقة، وكانت على شكل أسنان المنشار، وتبلغ المسافة بين دعامة وأخرى ١.٢٥م إلى ٨٥سم ، بينما بلغ عمق كل دخلة ٢٠سم والمظهر العام لهذا التسنن هو عبارة عن مثلث قائم الزاوية يستمر على شكل طلعات ودخلات على طول الجدار الخارجي(مخطط٦٥)[٤]. لكن بالرغم من ذلك كان استعمال هذا العنصر قليلاً جداً جداً في بناء جدران البيوت السكنية وعمارة واجهاتها الخارجية في العراق القديم. وهذه الدعامات تختلف في مفهومها العماري والديني عن الطلعات والدخلات المستخدمة في أبنية المعابد إذ كانت وظيفتها في الدور السكنية عمارية بحتة لأن البناة القدماء قد أنصب اهتمامهم على تقوية جدران بيوتهم أكثر من اهتمامهم بمظهرها الخارجي[٥].

أما في أبنية المعابد فكانت أولى النماذج المكتشفة للطلعات والدخلات فيها تعود إلى عصر العبيد الثالث إذ كُشف في معبد اريدو الطبقة XI عن أولى نماذجها وكانت بهيئة طلعة مفردة مضلعة وتركز توزيعها على الأركان وكانت مبنية باللبن(مخطط٥)[٦]، وأستمر استخدامها بذات الهيئة في معابد الطبقات X و IX وVIII العائدة للعصر

---

[١] سفر، فؤاد،"حفريات مديرية الآثار العامة في تل حسونة"، سومر، مجلد١، ١٩٤٥ب، ص٣٤.

[2] Wailly, F.; Abu-Soof, B.,"The Excavation at Tell Es-Sawwan First Preliminary Report", SUMER, Vol.21, (1965), PP.19-20.

[٣] المنمي، المصدر السابق، ص٩٠.

[٤] البياتي، احمد خضر،"البيت البابلي"، سومر، مجلد ٤١، ١٩٧٩، ص١١٤.

[٥] الجادر؛ رجب، المصدر السابق، ١٩٩٩-٢٠٠٠، ص٢١٤.

[٦] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٨، ص٢٨٠.

نفسه(مخططات٦و١٦)[١]. وأحتوى معبد الطبقة VII العائد لعصر العبيد الرابع في جداره الشمالي الغربي على أربع عشرة طلعة ودخلة يبلغ عرض كل طلعة تقريباً ١م وعرض الدخلة ٠.٥٠سم أما الجدار الشمالي الشرقي والجنوب الغربي فقد ضم في كل جهة تسع طلعات ودخلات تقارب قياساتها قياس الطلعات والدخلات في الجدار الشمالي الغربي[٢]، أما الواجهة الرئيسة للمعبد فكانت تضم أكثر من اثنتي عشرة طلعة ودخلة بلغ قياس عرض كل طلعة تقريباً ١م وعرض كل دخلة ٠.٣٠سم(مخطط١٧)[٣] ضم المعبد الأول في مدينة الوركاء العائد لهذا العصر سبع طلعات مزدوجة في كلا الضلعين الطويلين وأربع طلعات في الأضلاع القصيرة(مخطط٨)[٤]. كما كُشف في موقع تبة كاورا الطبقة XIII عن المعبد الشمالي وكان جداره الخارجي مُدعم من الجهات جميعها بطلعات ودخلات متناسقة وكان قوامها مؤلفاً من بناء ذو طلعتين متقاربتين مع بعضهما، ومن ثم يتوسطهما دخلة صغيرة بمسافة ١م مع دخلة كبيرة بين كل طلعة بمسافة ٤م تقريباً وكان يبلغ عرض الطلعة حوالي ٢م تقريباً، كما استخدمت الطلعات والدخلات في وجه الجدار الخارجي المطل على الداخل وبالقياسات نفسها للطلعات الخارجية(مخطط٧)[٥]. وفي الطبقة ذاتها أُستخدم في المعبد المركزي نظام الطلعات والدخلات في الوجه الداخلي لجدار المعبد وبنسق مشابه لنظيرتها في المعبد الشمالي[٦].

وفي عصر الوركاء أستمر استخدام الطلعات والدخلات في عمارة الجدران الخارجية للمعابد وبشكل ملفت للنظر كما استخدمت في دعم الجدران الداخلية المطلة على القاعة المركزية في المعابد التي اتبعت التخطيط الثلاثي مما أضفى عليها طابعاً جمالياً وغدت عنصراً مميزا لعمارة هذا العصر.

ومن نماذج المعابد التي ضمت جدرانها هذا العنصر العماري معبد الحجر الكلسي من الطبقة IVb-V في منطقة أي-انا في الوركاء إذ أحتوى كلاً من الضلعين الطويلين على إحدى وعشرين طلعة تحصر بينها عشرين دخلة، بينما أحتوى الضلعين القصيرين على إحدى عشر طلعة تحصر بينها دخلات عشرة، أما جدران القاعة المركزية فقد ضمت أضلاعها الطويلة من الداخل أثنتي عشرة طلعة وكانت الدخلات فيها أقل عمقاً من الدخلات في الجدران الخارجية وقد شيدت الطلعات جميعها في هذا المعبد بهيئة مضلعة مستقيمة

---

[1] Safar, et.al, Op.Cit, PP.94-102.

[2] Kubba, Op.Cit, P.116.

[٣] المنمي، المصدر السابق، ص٧٨.

[٤] مهدي، المصدر السابق، ص٧٣

[5] Tobler, Op.Cit, P.30.

[6] Ibid, P.31.

(مخطط١١-أ وشكل٢)[١] ومن معابد هذا العصر التي استخدمت فيها الطلعات والدخلات في تزيين واجهاته الخارجية المعبد D في الطبقة IVa في الوركاء إذ أنشئت هذه الطلعات والدخلات بنسق متقن تتناوب فيه طلعات مركبة مع دخلات مركبة وكانت كل طلعة تضم دخلتين أقل عمقاً من الدخلات الأساسية في الجدار ويعكس هذا الأسلوب في عمارة هذه الجدران مدى مقدرة المعمار في هذا العصر على التعامل مع مواد الإنشاء وتنظيمه للمساحات الطويلة من الجدران بريازة معقدة من الطلعات والدخلات(مخطط١٩-ب)[٢].

أما المعابد العائدة لعصر جمدة نصر التي زينت واجهات جدرانها بهذا العنصر العماري، المعبد الأبيض للإله آنو في الوركاء، إذ استخدمت الطلعات والدخلات في جدرانه الخارجية جميعها وكذلك جدران القاعة المركزية، كما زُينت واجهات المصطبة التي شُيد عليها المعبد بطلعات ودخلات مضلعة مائلة كلما ارتفعت إلى الأعلى(شكل٩١)[٣]. كما كانت الطلعات والدخلات تزين الجدار الخارجي للمعبد المصبوغ في تل العقير وقد بنيت بهيئة مضلعة وكانت مطلية بالجص ومُزينة بخطوط عمودية غائرة تمتد على طول هذه الطلعات أما الدخلات فقد صُممت بشكل مركب أي أن كل دخلة تحتوي على دخلة أخرى أضيق منها[٤] وشمل استخدام الطلعات والدخلات المصطبة التي شُيد فوقها المعبد إذ كانت مضلعة ومتناسقة الأبعاد تحف بالمصطبة من الجهات جميعها(شكل٩٢)[٥].

أستمر استخدام نظام الطلعات والدخلات في عصر فجر السلالات إذ زُين بها الضلع الشمالي الغربي من معبد الإله سين في خفاجة الطبقة VIII وبواقع أربع طلعات منتظمة مضلعة الشكل فضلاً عن وجود طلعتان في الجزء الجنوبي من المعبد(مخطط٣٦)[٦] وأستمر استخدامها في الطبقة IX مع إضافة ثلاث طلعات أخرى في الوجه الخارجي للجدار الشمالي من الجناح المقدس(مخطط٣٨)[٧]. وفي الطبقة X أحيطت الأوجه الخارجية لجدران الجناح المقدس جميعها بالطلعات والدخلات كما أُضيفت أيضاً عند الموضع القديم لمدخل المعبد(مخطط٣٩)[٨] وفي معبد ننتو الطبقة VI دخل عنصر الطلعات في تزيين الجدران

---

[١] لنزن، المصدر السابق، ص٣٢.

[٢] مهدي، المصدر السابق، ص٨٥.

[3] UVB.VIII, P.33.

[4] Lloyd, et.al, Op.Cit, P.139.

[5] Ibid, P.143.

[6] OIP.58, P.60.

[7] OIP.58, P.71

[8] Ibid, P.78.

الخارجية للحجرة المقدسة الرئيسة المرقمة (٤) وقد رتبت بأسلوب منتظم أربع طلعات في كلا الضلعين الطويلين و ثلاث طلعات في الضلعين القصيرين، وكذلك كانت الطلعات موجودة في الجدران الخارجية الشمالية الغربية والجنوبية الغربية من المعبد(شكل٩٧)[١]. كما استخدمت في جدران معبد الإله شارة في تل أجرب، إذ وُزعت بشكل غير منتظم وعلى النحو التالي سبع طلعات في الضلع الشمالي الغربي وثمان في الضلعين الجنوبي الشرقي والشمالي الشرقي وأربع طلعات في الضلع الجنوبي الغربي وكانت بهيئة مضلعة(مخطط٤٨). وفي المعبد البيضوي أُستخدمت الطلعات في الجانب الداخلي من السور الأول للمعبد وربما يعزى هذا لرغبة المعمار في الحفاظ على الشكل البيضوي للمعبد من الخارج[٢]. كما زُينت الأوجه الخارجية للمصطبة التي أقيمت فوقها الحجرة المقدسة بالطلعات والدخلات من الجهات جميعها(شكل٥)[٣].

أما في عصر سلالة أور الثالثة فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن العديد من المعابد وقد أزدانت واجهاتها الخارجية بالطلعات والدخلات ومنها معبد الإله انكي في أور، إذ زَينت جدرانه الخارجية الطلعات والدخلات وكانت ذات قياسات متساوية بلغ مجموعها الكلي خمس وعشرون طلعة، أما المسافة بين طلعة وأخرى فقد كانت تختلف بحسب موضعها، إذ أن طلعات الواجهة تبعد أحداها عن الأخرى مسافة ١م تقريباً أما في باقي أجزاء الجدار فكانت تبعد مسافة ٢.٥م تقريباً[٤]. ودخل أيضاً هذا العنصر في بناية كيك-بار-كو في أور، إذ وزعت الطلعات والدخلات على جدرانه الخارجية جميعها وكانت متساوية القياس وتبلغ المسافة بين طلعة وأخرى ٤.٧٠م تقريبا[٥].

بقي عنصر الطلعات والدخلات مستخدماً في أبنية المعابد العائدة إلى العصر البابلي القديم منها معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل فقد ضم الجدار المحيط بالمعبد العديد من الطلعات والدخلات وخاصة في مدخلها الرئيس في الزاوية الشمالية الشرقية، وضمت جدرانه الخارجية طلعات ودخلات متناسقة الأبعاد والقياسات وشُيد هذا العنصر بشكل متساوٍ، إذ برزت الطلعة التي يبلغ عرضها ٤م تقريباً وتبعد كل طلعة عن الأخرى ما يقارب ١٠م وفي بعضها تحيط بها دخلتان من الجانبين بعرض ٥م تقريباً(شكل٧)[٦]. ومن المعابد التي احتوت واجهاتها

---

(1) Ibid, P.80.

(2) OIP.53, P.20

(3) Ibid, P.42.

(4) UE.VII, P.64.

(5) Ibid, P.42.

(٦) المنمي، المصدر السابق، ص٨١.

الخارجية على الطلعات والدخلات معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي، إذ استخدمت في الضلع الجنوبي من الجدار الخارجي وكانت على نسق منتظم وقد وزعت بشكل متساوي كما زينت أبراج المدخل طلعات تضم خطوطاً غائرة نحو الداخل وكان قياس الطلعة فيها ٢.٣٠م أما الدخلة فيبلغ عرضها ٥.٤٥م[١] كما كانت الجدران المطلة على الفناء الداخلي مُزينة بالطلعات والدخلات وبنفس النمط المستخدم في الجدران الخارجية للمعبد (شكل٦)[٢]. كما ضم معبد الإله شمش أي-ببار في لارسا على طلعات ودخلات ذات أشكال متنوعة ومنها جديدة ظهرت لأول مرة في هذا العصر، إذ كانت الطلعات والدخلات التي زَينت الجدار الخارجي منسقة بأسلوب جذاب فقد أستخدم المعمار الطلعات والدخلات المركبة ذات المقطع المضلع المعروفة سابقاً والتي بلغ عمقها ٣٠.٠سم وعرضها ٣.٦٠م أما الطلعات والدخلات المستخدمة في تزيين الجدار الجنوبي الغربي للحجرة المقدسة المطل على الفناء الداخلي للمعبد والتي استخدمت لأول مرة فكانت بشكل أنصاف أعمدة ملتوية مكونة من سبعة أزواج وقد توزعت على كلا جانبي المدخل(شكل٩٨)[٣]. وأستخدم النوع ذاته من التزيينات الدائرية فضلاً عن تلك المضلعة في معبد اي شاخولا في تل حداد الطبقة الثالثة(شكل٩٩)[٤]. كما زينت واجهة المعبد الكبير في تل محمد الطبقة الثالثة بدخلات مزدوجة بلغ عمق الدخلة الأولى ١٧سم أما الثانية فبلغ عمقها ١٢سم وعرضهما ٢٥سم[٥].

وفي معبد تل الرماح العائد للعصر الأشوري القديم عمد المعمار إلى إبراز العناصر العمارية في مختلف أجزاء جدرانه الخارجية وظهر في هذا المعبد الطلعات والدخلات ذات الشكل الدائري إذ لوحظ استخدامها بشكل واسع في هذا المعبد، كما أستخدم في المعبد نفسه النوع الآخر من الطلعات والدخلات المربعة والقائمة الزاوية(شكل١٠٠)[٦].

كما استخدمت الطلعات والدخلات في أبنية الزقورات فقد زينت واجهاتها بهذا العنصر العماري مما أضفى عليها جمالية ورونقاً فضلاً عن غرضها العماري، ومن أبرزها زقورة اورنمو في أور إذ زُينت واجهاتها جميعها بطلعات ودخلات بلغ عرض الطلعات فيها ٢.٦٠م وتبرز ٤٥سم عن البدن، أما الدخلات فهي بعرض ٤.٤٠م والطلعات الموجودة عند الزوايا

---

(1) OIP.98, P.39.

(2) Ibid, P.21.

(3) Huot, et al., Op.Cit,(1978) P.142; Huot, et al., Op.Cit,(1980) P.101

(٤) سليمان، المصدر السابق، ٢٠٠٤، ص٩٧.

(٥) متاب، المصدر السابق، ص١٣٢.

(6) Oates, Op.Cit,(1986) P.136.

كانت أكبر عرضاً من الطلعات الموزعة على طول الجدار[١]، وتخللت هذه الطلعـات ثقـوب أفقية تظهر في بدن الزقورة مما يساعد على تجفيف بدن الزقورة من الرطوبة، كما تعمل على امتصاص الماء المتسرب إلى بدن الزقورة، فضلاً عن أهميتها كونها شبكة تهوية داخل بـدن الزقورة[٢]. فضلاً عن هذه الزقورة فقد كشفت عن زقورات أخرى كثيرة في كل مدينـة مـن المدن العراقية القديمة، وقد أضفى عليها المعمار عنصر الطلعات والـدخلات علـى طـول جدرانها. كما تعكس مشاهد المخلفات الفنية أيضاً صوراً للزقورات الموجودة في العراق القديم وأسلوب تزيين واجهتها الخارجية بعنصر الطلعات والدخلات (الشكل١٠١)[٣].

في ضوء ما تقدم يمكن إيجاز الخصائص الموضعية والعمارية للطلعات والدخلات في عمارة المعابد العراقية القديمة، إذ كان موضعهما في الغالب عند الواجهات الخارجية للجدران كما في الأمثلة التي وردت الإشارة إليها مسبقا، وفي أحيان نادرة ومبكرة زمنياً وجـدت فـي الوجه الداخلي من الجدار، وربما يعزى ندرة وجودة الطلعات والدخلات في الواجهات الداخلية للجدران إلى كون الجدران العرضية المشكلة للحجرات في المبنى والمتعامـدة مـع الجـدار الرئيس تنوب عن الطلعات والدخلات في إسناد الجدران ومنع ميلانهـا نحـو الـداخل، وإن ظهورها في النماذج المبكرة زمنيا يمكن إرجاعه إلى التجارب العمارية التـي كـان ينفـذها المعمار في عملية البناء لاستخلاص أفضل الطرق البنائية الملائمة للبيئة والمقاومـة لعوامـل المناخ، وفضلاً عن ذلك انتفاء الغرض الجمالي من وجودها، كما قد تعيـق وضـع الأثـاث والمقتنيات داخل الحجرات بشكل ملائم، غير أن ذلك لا يعني عدم استخدامها بشكل مطلق في الجدران الداخلية للمعابد، فقد ضمت العديد من الحجرات المقدسة نوعاً خاصاً مـن الـدخلات يعرف بالكوات، إذ كانت تكتنف تمثال الإله وتحدد موضعه[٤]. كما احتوت الواجهات الداخلية لجدران المعبد الشمالي والمعبد المركزي في الطبقة XIII من تبة كاورا العائدة لعصر العبيد الرابع على طلعات ودخلات، وكذلك ضم الجزء الداخلي من السور الأول للمعبد البيضوي في خفاجة على طلعات بنائية لغرض إسناده والمحافظة على شكله البيضوي من الخارج.

أما بالنسبة للطلعات والدخلات في الواجهات الخارجية للجدران وموقعها من البناء فقد كانت تشغل جدران المعبد الخارجية جميعها كما في معبد الحجر الكلسي ومعبد A من الطبقة IVb-V في منطقة أي-انا(مخطط١١ أ-ب) والمعبد D ومعبد المخاريط الحجرية من الطبقة

---

[1] Woolley, Op.Cit(1955), P.132.

[2] UE.V, P.98.

[٣] المنمي، المصدر السابق، ص٨٨.

[٤] حول موضع هذه الكوات وهيئتها يراجع المبحث الأول من الفصل الثاني ص٨٩.

IVa العائدة لعصر الوركاء(مخطط١٩ب/٢١). وكذلك المعبد الأبيض للإله آنو في الوركاء(مخطط١٢) والمعبد المصبوغ في تل العقير(مخطط١٣) العائدين لعصر جمدة نصر، ومعبد الإله شارة العائد لعصر فجر السلالات(مخطط٤٨) ومعبد انليل الطبقة V في نيبور(مخطط٥٦) وبناية كيك-بار-كو في أور(مخطط٣١) العائدين لعصر سلالة أور الثالثة، وكذلك في معبد شمش أي-ببار في لارسا(مخطط٣٣)، ومعبد الإلهة عشتار كيتيتوم في اشجالي العائد إلى العصر البابلي القديم(مخطط٤٠) ومعبد تل الرماح العائد إلى العصر الأشوري القديم (مخطط٥٨). وقد تُنفذ الطلعات والدخلات في ضلع واحد أو أكثر من البناء كما في معبد الإله سين في خفاجة (مخططات٣٥-٣٩) ومعبد الإلهة عشتار في نفر الطبقة VIIb(مخطط٢٥-أ) العائد لعصر فجر السلالات، ومعبد الإلهة نيسابا في تل حرمل (مخطط٣٢) العائد للعصر البابلي القديم وفي أحيان أخرى يقتصر استخدامها على الضلع الذي يضم المدخل الرئيس للمعبد كما في مصليات الإله آبو في تل اسمر(مخطط٥٠-٥٣). وزينت الطلعات والدخلات واجهات الجدران المطلة على الفناء الداخلي في كثير من المعابد منها معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي ومعبد شمش في لارسا العائدين للعصر البابلي القديم ومعبد تل الرماح العائد للعصر الأشوري القديم، وأُتبع الأسلوب ذاته في تزيين جدران القاعة المركزية في المعابد التي صممت وفق التخطيط الثلاثي، مما قد يثير بعض الشكوك في أن هذه القاعات كانت مسقفة بشكل كلي أو جزئي.

أما فيما يتعلق بعمارة الطلعات والدخلات فيمكن إيجاز خصائصها بثلاثة عناصر أساسية أولاً طبيعة المواد المستخدمة في بنائها، وثانياً أسلوب عمارتها، وثالثاً شكلها الخارجي، إن المواد الداخلة في عملية تشييد الطلعات والدخلات هي ذاتها المستخدمة في بناء الجدران إذ كانت المادة الأساسية التي تبنى منها هي اللبن بمختلف أنواعه.

أتسمت عملية أنشاء الطلعات والدخلات بنظام عماري متقن راعى فيه المعمار عاملي المتانة والجمال وكان الاهتمام بعمارتها يبدأ من الأسس من خلال وضع الأسس لهذا العنصر العماري على طول جدران تلك المعابد[1]. ومن ثم تنشئ قاعدة الطلعة أو الدخلة، وهي الأساس الذي تقام عليها هذه العناصر العمارية والتي تحدد سمكها وهيئتها النهائية، وبعد ذلك يبدأ المعمار بالارتفاع بعمارتها بشكل موازي لعملية بناء الجدران.

ومن خلال النماذج المستظهرة للطلعات والدخلات أثناء عمليات التنقيب فقد أمكن تمييز ثلاثة أشكال أساسية للطلعات والدخلات المستخدمة في العمارة العراقية القديمة هي:

---

[1] بارو، اندريه، بلاد آشور نينوى وبابل ، ترجمة: عيسى سلمان ، وسليم طه التكريتي، بغداد،١٩٨٠، ص٢٣٨-٢٣٩.

١. **الطلعات والدخلات المضلعة:** وهي النوع الأكثر انتشاراً في العمارة القديمة، لذا ظهــرت نماذجها بوضوح على أبنية المعابد منذ فترة مبكرة، وتقسم هذه الطلعات والدخلات إلــى نوعين الأولى بسيطة ومنفردة والثانية طلعات ودخلات مزدوجة ومركبة(شكل١٠٠).

٢. **الطلعات والدخلات ذات الزوايا القائمة :** وهي على شكل أنصاف أعمدة مضلعة مدمجــة بالجدار وتنحصر بين كل طلعتين دخلة بذات الشكل، ولم يظهر هذا النوع فــي العمــائر القديمة بكثرة، إلاّ في بعض المباني ومنها المعبد المكتشف في تل الرماح(الشكل١٠٣)[١].

٣. **الطلعات الدائرية:** وهي على شكل أنصاف أعمدة مدمجة بالجــدار وهــذا النــوع قليــل الاستخدام ولم تظهر لدينا نماذج كثيرة لها في العمارة إلاّ في موقع تل الرماح ولارسا ، إذ أستخدم هذا النوع كحلية عمارية لواجهاتها(الشكل١٠٢).

٢- المداخل

تعد المداخل عنصراً أساسيا في تصميم الواجهات الخارجية وبعض الواجهات الداخلية في الأجزاء الأكثر قدسية في المعبد، إذ افرد لها المعمار موضعاً بــارزاً وخصــها بأســلوب تزيين مميز عن باقي أجزاء الواجهة وبصورة تناسب دوره الوظيفي المهم والمتمثل بإيصــال المتعبدين إلى الداخل، وكذلك لكونه علامة فارقة في التصميم الخارجي للوحدات العمارية[٢].

لكن التنقيبات الأثرية في المعابد الأولى العائدة لعصر العبيد لم تكشف عــن اهتمــام واضح من لدن المعمار في إظهار الجانب الجمالي للمداخل بقدر التزامه بالتقاليد التخطيطيــة والعمارية الموروثة من الأبنية السابقة، وحتى في معابد منطقة أي-انا فــي مدينــة الوركــاء والعائدة لعصر الوركاء وإن أكتسب ترتيب مواضع مداخلها المتناظر في الغالب سمة جماليــة للمعبد إلا أن الغاية الأساسية من وجودها هي تحقيق اعتبارات وظيفية للمبنى حتمــت علــى المعمار وضعها بهذا الأسلوب[٣]. وربما كانت أعمال التزيين في هذه المداخل تنفذ على شكل زخارف هندسية توضع على جوانب المدخل وبصورة تتنافر أو تتقاطع عنده أو تنفــذ علــى مصاريع الأبواب ذاتها، والتي قوامها طبقات من القصب الملون بأشكال هندسية أو تصنع من مواد البناء ذاتها، وهذا الأسلوب من التزيين يتضح في العديد من طبعات الأختام العائدة لهــذا العصر(شكل٦١و٦٢)[٤].

كما افتقرت مداخل المعابد في الأدوار الأولى من عصر فجر السلالات إلى التنســيق مما أفقدها البعد الجمالي وهذا ما نلاحظه في مخطط المعبد الشمالي (مخطط٢٦) ومعبد إنانــا

---

[١] المنمي، المصدر السابق، ص٧٤.

[٢] حول موضع وعمارة المداخل في أبنية المعابد يراجع: المبحث الأول من الفصل الثالث ص١١٠.

[٣] يراجع المبحث الأول من الفصل الثالث ص١١٢.

[4] Heinrich, Op.Cit, P.39.

الطبقتين VII-VIII(مخطط٢٥) في نيبور وفي معبد الإله سين الطبقات VI-IX في خفاجة (مخطط٣٥-٣٨) وكذلك معبد الإله آبو في تل اسمر(مخططات٥٠-٥٣) لكن الدور الفعال لموضع المداخل في تصميم الواجهات برز خلال عصر فجر السلالات الثالث، إذ تُظهر نماذج مخططات المعابد وأساليب عمارة المداخل فيها ذلك التوجه فقد شيد المدخل في المعبد البيضوي في خفاجة عند منتصف الواجهة وبأسلوب مميز(شكل٥) وكذلك الحال في مدخل الجناح المقدس لمعبد الآلهة ننخورساك في العبيد[١]. كما ازدان مدخل معبد الإله سين الطبقة X في خفاجة بالأبراج(شكل٤).

وبالانتقال إلى عصر سلالة أور الثالثة ومع استخدام نظام المحور المستقيم وما يعكسه موضع المدخل وأسلوب عمارته المميز عن بقية أجزاء الواجهة من رغبة المعمار في جذب انتباه المتعبدين إلى رمزية المدخل في هذا الطراز التخطيطي القائم على أساس تتابع المداخل بشكل محوري ابتداءً من المدخل الخارجي وانتهاءً بالحجرة المقدسة والذي بدأ اعتماده في معابد هذا العصر وأستمر في العصور اللاحقة، لذلك التزم المعمار بوضع المدخل في منتصف الواجهة وبشكل أتاح له توزيع العناصر العمارية والفنية على جانبيه.

لم يقتصر الاهتمام باستخدام المداخل في تصميم الواجهات على موضعه فحسب بل شمل معظم العناصر العمارية المكونة له، إذ أحيط المدخل بأبراج زينت في الغالب بطلعات ودخلات أكسبته سمة إيحائية بالصلابة والأهمية، كما تعكس طبعات الأختام العديد من أساليب التزيين المستخدمة على جوانب المداخل وعلى مصاريع الأبواب والتي غالبا ما كانت تزيينات هندسية وربما كانت تطلى بألوان مختلفة(شكل٦١)

٣- النوافذ

النوافذ من العناصر العمارية التي تُنشأ على شكل فتحات في الجدران الخارجية أو الداخلية المطلة على فضاء مكشوف وتؤدي وظيفة بيئية تتمثل في دخول الضوء والتهوية إلى الوحدات العمارية، واستخدمت النوافذ في أبنية العراق القديم بصنفيها الدينية والدنيوية على حدٍ سواء[٢]. ويمكن الاستدلال على استعمال هذا العنصر في العمارة العراقية القديمة من

---

[١] يراجع المبحث الثاني من هذا الفصل ص٢١٣.

[٢] لايك، المصدر السابق، ص٣٣٧.

خلال أسمائه الواردة في النصوص المسمارية، إذ ورد في اللغة السومرية بصيغة AB.LÁ[١] يقابله في اللغة الاكدية المصطلح aptu[٢] وتعني الشباك أو الكوة، وقد جاء ذكر هذا العنصر في السطر(١٣٥) من اللوح الحادي عشر من ملحمة گلگامش بصيغة nappašu أو nampašu وتعني النافذة الصغيرة أو منافذ الهواء المستخدمة في الأفران[٣]. وورد مصطلح أخر في اللغة الاكدية بصيغة kamatu وتعني الكوة[٤].

كما يمكن الاستدلال أيضاً على استعمال هذا العنصر في المباني العراقية القديمة بشكل عام من خلال ما قدمته الحفريات الأثرية من مخلفات مادية ومنحوتات تضمنت صور كثير من الأبنية وقد احتوت واجهاتها على هذا العنصر العماري، ومنها طبعة ختم تعود لعصر جمدة نصر تظهر فيها واجهة معبد كبير له باب مرتفع وأربع أعمدة من النوافذ مربعة الشكل وقد وزعت بصورة متناسقة، ويعلو المعبد ثلاث شرفات وتحتها صف من النوافذ(شكل١٠٤)[٥]. وتُظهر منحوتة تعود لعصر فجر السلالات الأول استخدام النوافذ عند الأجزاء العليا من واجهة المبنى(شكل١٠٥)[٦].

لكن يبقى من الصعوبة تقديم الأدلة للبدايات الأولى لأستخدام النوافذ في العراق القديم، إذ أن عدم وجود الدليل الأثري لا يعني بالضرورة أن مثل هذه النوافذ لم تكن موجودة منذ فترات مبكرة[٧]. وعليه فمن المحتمل أن معرفة الإنسان لهذا العنصر العماري كانت متأخرة نسبياً عن مجمل العناصر التخطيطية والعمارية في أبنية العراق القديم، وربما أنها تطورت من وجود شروخ وتصدعات في جدران البيوت نظمها المعمار وطورها بعد أن لاحظ إمكانية الانتفاع منها لدخول الضوء والهواء، وربما لإمكانية النظر منها إلى الخارج[٨].

إلا أن الشواهد الأثرية على بداية استخدام النوافذ في العمارة العراقية القديمة تنحصر بأمثلة فعلية قليلة[٩]، فقد كشفت بعض التنقيبات الأثرية عن بقايا بنائية كانت تحوي نماذج

---

[١] لابات، المصدر السابق، ص٩٥. العلامة: ١٢٨.

[2] CAD."A", Part II, P.197^{b}.

[٣] باقر، طه، ملحمة كلكامش، بغداد، ١٩٧١، ص١٥٧ وكذلك: CAD."N", Part I, P.311^{a} .

[٤] باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، بغداد، ١٩٨٠، ص١٣٦.

[٥] بصمه جي، فرج، الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي، لندن، ١٩٩٤، ص٧٤.

[6] Aruz, J.J., Art of the First Cities, London(2003), P.53.

[٧] لايك، المصدر السابق، ص٣٣٨.

[8] Kubba, Op.Cit, P.150

[٩] يرجح بعض الباحثين سبب قلة نماذج النوافذ في العمارة العراقية القديمة وصغر حجمها واقتصارها على الجزء العلوي من الجدران إلى أسباب أمنية وأخرى مناخية، إذ أن صغر حجمها وقلة استخدامها توفر حماية

أصلية لفتحات النوافذ، كما قدمت مخلفات أثرية أخرى شيئاً عنها وعن ستائرها، إذ أظهــرت تنقيبات تل مظهور الطبقة II بناية ترجع إلى عصر العبيد وعُثر في الحجرتين (٣ ،١١) منها أمثلة لفتحات نوافذ مستطيلة الشكل وقد كُشف فوق إحدى هذه النوافذ على طبعات قطع خشبية ثخينة أو ربما حزمة قصب كانت تؤلف الجزء العلوي من إطار النافذة[١].

كما عثر في اريدو الطبقة VI العائدة إلى عصر العبيد الرابع على أولى نماذج النوافذ المستخدمة في أبنية المعابد، إذ كُشف في القاعة المركزية لمعبد هذه الطبقة على نافذة يعلوهــا قوس، كما ظهر أن لكل من الحجرتين المرقمتين (٢ ،٣) نافذة مستطيلة تطل علــى الشــارع وترتفع عن مستوى تبليط الحجرتين بمقدار ١.٣٠م[٢] كما كُشف في الوركاء علــى نمــوذج مصغر لبيت مصنوع من الطين المفخور يعود إلى أواخر عصر جمدة نصر ويتألف النموذج من ثلاث غرف آخرها حجرة والتي كانت تستقبل الضوء من خلال نافذة في الســقف شــكلها شبه منحرف وقد أُحيطت بحافة بارزة تماثل حافة السطح لمنع تسرب الأمطــار إلــى داخــل الحجرة(شكل١٠٦)[٣].

وأظهرت التنقيبات الأثرية في تل اسمر مثالاً حقيقياً لنافذة مربعة الشكل وجدت فــي أحد الدور السكنية العائدة لعصر فجر السلالات الأول، ويبلغ طول ضلعها ٩٠سم وكانت تمد حجرة الطعام في هذه البناية بالضوء(شكل١٠٧)[٤]. كما عُثر في الموقع ذاته على ستارة نافذة مربعة الشكل مصنوعة من الطين المفخور تحوي على تسع فتحات دائرية الشكل لنفاذ الضوء والهواء(شكل١٠٨)[٥]. وأستمر استخدام النوافذ في أبنية العصور اللاحقة وهــذا مــا تُظهــره العديد من الشواهد الأثرية والمشاهد الفنية.

في ضوء ما كشفته التنقيبات الأثرية وما صورته الأعمال الفنية من نمــاذج للنوافــذ المستخدمة في العمارة العراقية القديمة يظهر انها أتخذت أشكالاً عديدة كان ابسطها عبارة عن فتحات ضيقة بعرض طابوقة واحدة توضع تحت خط السقف مباشرة أو في أعلى الجدار، كي

كافية للسكان من العواصف الترابية وتقلبات الطقس صيفاً وشتاءاً وأن وضع النوافذ في أعالي جدران الغرف يوفر التهوية الطبيعية من خلال اختلاف درجات الحرارة بين الداخل والخارج خصوصــاً عنــدما لا تكــون هناك رياح.

للمزيد يراجع: ساكز، المصدر السابق، ص٢٠٢. وكذلك : Kubba, Op.Cit, P.150 .

[1] Roaf, Op.Cit,(1984), P.124.

[٢] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٧، ص٢٣٢.

[3] Adams, R.; Nissen, H.J., The Uruk Country Side The Natural Setting of Urban Societies, Chicago(1972), P.215.

[4] OIC.17, P.14.

[5] OIC.17, P.14.

لا تؤثر على قوة بنائه ولتسمح بمرور التيار الهوائي[١] وكان الشكل المستطيل والمربع والذي تطور عن هذه الفتحات الضيقة أكثر نماذج فتحات النوافذ شيوعاً في العـراق القـديم، كمـا استخدمت في بعض الأحيان فتحات نوافذ مثلثة أو دائرية الشكل، إذ تُظهر إحدى نماذج المعابد الطينية المكتشفة في معبد الإلهـة عشـتار فـي أشـور اسـتخدام فتحـات نوافـذ مثلثـة الشكل(شكل١٠٩)[٢] وتظهر كذلك في بعض طبعات الأختام فتحات صغيرة مثلثة تتناوب مـع أخرى مستطيلة، وإن هذا النوع من النوافذ يمكن أن ينشأ من صف طابوقتين إلـى بعضـهما بشكل قطري وبدون الحاجة إلى استخدام الخشب أو القصب كإطار له[٣]. أما النوافذ المـدورة فقد استخدمت في العديد من جدران الدور السكنية في موقـع أم الدباغيـة[٤]. وكانـت تنشـأ بوساطة قوالب دائرية مصنوعة من الخشب أو القصب.

يبدو أن استخدام النوافذ في الواجهات الخارجية لأبنية المعابد لم يقتصـر علـى أداء وظيفة نفعية (بيئية) والمتمثلة بدخول الضوء والتهوية بل تقوم بأداء وظيفة تعبيريـة تعكـس الطابع الجمالي لهذا العنصر، إذ أن الشكل الذي تأخذه النافذة سواء كان المربع أو المسـتطيل أو المثلث أو الدائري أو غيرها من الأشكال تحدده مؤثرات أخرى قد تكون دينية طقوسـية أو تقنية تتعلق بإمكانية التنفيذ، وبذلك فأن اختيار الشكل الذي يمكن أن تأخذه النافذة يتوقف علـى مدى تناسقها مع بعضها وتوافقها مع العناصر العمارية والزخرفية للواجهة التي تتواجد فيها.

وإن هذا التناسق يظهر في العديد من المشاهد الفنية التي تصـور واجهـات المبـاني الدينية، ففي طبعة الختم المكتشفة في خفاجة والعائدة لعصر جمدة نصر وضعت النوافذ بشكل صف عمودي وفي كل واحد أربعة نوافذ مربعة الشكل متساوية القياس ومتناظرة الموضـع، ويفصل بين صف وأخر طلعة بنائية تكمل الشكل الخارجي للواجهة(شكل١٠٤) وان أسـلوب التنفيذ المتبع في تصميم هذه الواجهة والذي يعتمد على وجود أربع نوافذ يعلو إحداها الأخرى في كل صف قد يضعف من صلابة البناء لكثرة الفتحات التي تتخلله، ولذلك فمن المحتمل أن هذه النوافذ لم تكن نوافذ فعلية بل إطارات لنوافذ صماء وهذا ما يؤكد الدور الجمـالي الـذي يؤديه هذا العنصر في تصميم واجهات المباني.

---

[١] لايك، المصدر السابق، ص٣٣٧.

[٢] اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦أ، ص٥٣.

[3] Kubba, Op.Cit, P.150.

[4] Kirkbride, D.,"Umm Dabaghiyah: a fourth preliminary report", IRAQ, Vol.37(1975), P.7.

ويقدم لنا ختمان منبسطان يعود تاريخهما إلى العصر الأشوري الوسيط مشهدين تظهر فيهما واجهات لأبراج معبد وقد احتوى أحدها على صف من أربعة نوافذ مستطيلة الشكل في كل برج(شكل٨٢ أ) بينما ضم الختم الآخر نافذتان متجاورتان في أعلى تلك الأبراج(شكل٨٢ب)(١).

كما يمكن الاستعانة بنماذج البيوت والمعابد المصغرة المصنوعة من الطين المفخور في الاستدلال على دور النوافذ في تصميم واجهات المباني ومنها مجموعة المعابد الصغيرة التي كشفتها التنقيبات الألمانية في معبد الإلهة عشتار في مدينة أشور والتي يعود تاريخها إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، إذ يتبين أن النوافذ في هذه البيوت كانت موزعة على الواجهات الأمامية والجانبية، في حين يفتقر ظهر البيت إلى نماذج منها، وهذا ما يؤكد أهميتها في تصميم واجهات المباني، ومما يتميز به مظهر هذه النوافذ أن أشكالها ظهرت بهيئات مستطيلة ومثلثة رؤوسها إلى الأعلى، وقليل منها ما يبدو مدوراً وأخرى تعلوها أقواس نصف دائرية(شكل١٠٩)(٢).

٤- الشرُفات

الشرُفة لفظة عربية جمعها شرُف أو شرُفات وتعني أعلى الشيء(٣) وأوردت المصادر المسمارية مصطلحات عديدة أطلقت بشكل عام على الأقسام العليا من واجهات الأسوار والمباني، ومن تلك المصطلحات ما ورد في اللغة السومرية بصيغة BAD_3.GI.SI إذ يعني المقطع الأول BAD_3 سور أو جدار أما المقطع الثاني GI.SI فيعني قرن ويصبح معناها قرن السور أو الجدار ويرادفها المصطلح الاكدي samitum(٤). وكذلك ورد مصطلح آخر في اللغة السومرية بصيغة AGU ويرادفه في اللغة الاكدية المصطلح kililum(٥). وتعني الشرفات المسننة التي تعلو جدران المباني(٦).

---

(١) اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦ب، ص٢٩.

(٢) للمزيد من التفصيل حول نماذج البيوت المكتشفة في معبد الإلهة عشتار يراجع : اندريه، المصدر السابق، ١٩٨٦أ، ص٥٣-٥٦.

(٣) أبن منظور، لسان العرب، بيروت، مجلد ٩، ١٩٥٦، ص١٧١.

(4) CAD."S", P.117[a].

(5) CAD."K", P.358[b].

(٦) أستخدم هذا المصطلح منذ العصر الاكدي ليعطي معنى عصبة الرأس أو الإكليل، ويبدو أن اللفظة استعيرت بعد ذلك للدلالة على هذا العنصر العماري الذي كان يتوج قمة المباني الدفاعية والمدنية على حد سواء. الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٣٢٢.

والشرفات بوصفها مصطلحاً عمارياً هي العناصر العمارية التكميلية التي بنيت لتتوج قمة الجدران والبنايات على اختلاف أنواعها ووظائفها[١]، وتأخذ أشكالاً هندسية مختلفة يغلب عليها الشكل المثلث المسنن أو الهرمي المدرج مرتبة بعضها إلى جانب بعض **(شكل١١٠)** وهي لا تخص نوعاً معيناً من العمارة دون الأخرى بل شملت معظم العمائر الدينية والمدنية والعسكرية[٢]. لذلك فإن الشرفات أُبتكرت لخدمة أغراضٍ شتى منها ما هو ديني شعائري يهدف إلى إضفاء طابع من الارتفاع والسمو والهيبة على جدران المعابد ورمزاً للاتصال بالسماء، وهذا ما دلت عليه التسميات التي أطلقت على هذا العنصر العماري بشكل عام[٣]. كما صممت الشرُفات لإغراض دفاعية، إذ يحتمي خلفها المدافعون ويشرفون من خلال الفراغات التي تتوسطها على ميدان المعركة ومنها يطلقون أنواع المقذوفات المختلفة[٤].

واتُخذت الشرفات بوصفها حلية عمارية، إذ يضفي وجودها على واجهات المباني جمالية وإطلالة ملفتة للنظر بتعرجاتها وتسننها وأحياناً بطريقة طلائها وزخرفتها، وكانت أبنية المعابد أولى أنواع المباني التي أستخدمت هذا العنصر العماري في تزيين واجهاتها الخارجية فضلاً عن دورها في بعض الطقوس الدينية المشار إليها سابقاً، لجأ المعمار إلى معالجة النهايات العليا للجدران الخارجية بأسلوب جذاب حدَ من الجمود الذي تخلفه النهايات المستوية وبشكل يعطي إيحاءً لدى الناظرين بتلاشي تلك الجدران في السماء وكناية عن الاتصال بها.

يبدو أن استخدام هذا العنصر كان نتيجة لتطور إمكانية المعمار في تقليد العناصر الزخرفية المنفذة على جدران المعابد والمتمثلة بالأشكال الهندسية كالمربعات والمثلثات وتجسيدها بصورة مجسمة عبر استخدام المواد الإنشائية الداخلة في عملية البناء**(شكل١١١)**.

ربما كان الدافع الطقوسي الرمزي من وجودها ينطلق من فكرة الشمول التي أحاط الإنسان العراقي القديم بها نفسه وطبقها بشكل رمزي في أبنية المعابد من خلال تثبيت المعبد بالأرض المقام عليها عبر وضع تماثيل الأسس ذات النهايات المدببة والتي كانت تغرز في

---

[١] المصدر نفسه، ص٣٢٠.

[٢] بقاعين، المصدر السابق، ص١١١.

[٣] تجدر الإشارة إلى أن بعض نصوص التمائم السحرية أشارت إلى أن التراب الساقط من هذه الشرفات كان يستخدم كعلاج للمرأة عند المخاض، كما كانت واحدة من المواضع المفضلة لوضع التمائم السحرية عندها، وهذا ما يشير إلى أهمية هذا العنصر العماري وأثره في الفكر الديني واحتلاله جانبا مهما في بعض الممارسات السحرية التي ربما تعود جذورها إلى المراحل الأولى في استخدام هذا العنصر العماري حين كان مقتصراً على المباني الدينية بشكل خاص. الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٢، ص٣٢٢ وكذلك: عبد الرزاق، المصدر السابق، ص٢٣٩.

[٤] الاعظمي، المصدر السابق،١٩٩٢، ص٣٢٠ وكذلك: اندريه، فالتر، استحكامات أشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن ونوال خورشيد، بغداد، ١٩٨٧، ص٣٨.

الأرض[١]. وكذلك توجيه زوايا المعبد نحو الجهات الأربع الرئيسة[٢]. وتأتي هـذه الشـرفات كشكل أخر من أشكال التعبير الرمزي عن الاتصال بالسماء موضع إقامة الآلهة.

تعد الشرفات من ابتكارات العمارة العراقية القديمة وتحديداً العمارة الدينية، إذ تشـير الأدلة الآثارية إلى أن استخدامها يعود إلى عصر جمدة نصر في نهاية الألـف الرابـع قبـل الميلاد فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن طبعة ختم اسطواني نُفذ عليه نوع بسيط من الشـرفات قوامه نتوءات مستطيلة الشكل، رصفت على أبعاد متساوية فوق واجهة المعبد(شـكل١٠٤)[٣]. لكن تبقى الأدلة الأثرية المادية للشرُفات والعائدة إلى الفترات المبكرة من اسـتخدامها نـادرة وذلك لتهدم الأجزاء العليا من جدران المباني التي كانت تعلوها الشرفات بفعل مرور الـزمن عليها كما أن ضعف البنية التكوينية لهذا العنصر الذي يشيد بشكل مستقل عن الجدار فضـلاً عن مادة البناء المستخدمة والتي غالبا ما تكون اللبن جعل من الصعب العثور علـى نمـاذج كاملة لهذه الشرُفات أثناء عمليات التنقيب. ورغم ذلك فقد وصلنا تزيينات من أعلـى جـدران زقورة أور بنماذج من الشرُفات والتي تعود لسلالة أور الثالثة[٤].

أستمر استخدام الشرفات في العديد من أصناف المباني التي شـيدت فـي العصـور اللاحقة إذ ظهرت خلال العصر البابلي القديم وكذلك في المبـاني الكشـية إلا أن الشـرفات تطورت وتنوعت أشكالها خلال العصر الأشوري الحديث، وعن العمـارة العراقيـة القديمـة أخذت الحضارات الأخرى الشـرُفات كعنصـر عمـاري وزخرفـي، ومـنهم الاخمينيـون والساسانيون كما أستخدمت أيضاً في العمارة اليونانية والرومانية وصولاً إلى العمارة العربية الإسلامية[٥].

ثانياً : العناصر الفنية

تُعد الأعمال الفنية من العناصر المهمة التي استخدمها المعمار في تزيين المباني التي شيدها عبر مختلف العصور ومن ضمنها أبنية المعابد إذ أن هناك العديد من العناصر الفنيـة التي كانت تزين الجدران الخارجية والداخلية لأبنية المعابد وكانت تضفي على البنـاء طابعـاً جمالياً مميزاً فضلاً عن دورها الطقوسي في الممارسات الدينية التي تتم داخل المعبد أو أثنـاء

---

[١] للمزيد يراجع: رشيد، المصدر السابق، ص٥

[٢] للمزيد يراجع: المبحث الأول من الفصل الرابع، ص١٤٥.

[٣] بقاعين، المصدر السابق، ص١١١.

[4] UE.V, P.118.

[٥] بقاعين، المصدر السابق، ص١١٢.

الدخول إليه. وتقسم العناصر الفنية التي استخدمت في تزيين جدران المباني الدينية على ثلاثة أنواع رئيسة هي الرسوم الجدارية والمخاريط الفخارية والحجرية ونمـاذج النحـت البـارز والمجسم.

١- التلوين والرسوم الجدارية

أهتم الإنسان منذ عصور سحيقة بتزيين أماكن سكنه وتجميلها وبذل في ذلك محاولات شتى كان من أهمها وأقدمها تزيين جدران الكهوف برسومات جدارية ملونة غاية فـي الدقـة والجمال، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك وأقدمها الرسوم التي تركها الإنسان في كهوف لاسـكو والتاميرا[١] والتي نفذت فيها رسوم تعبر عن حياة الإنسان اليومية وعن بعض الطقوس التـي تشير إلى بداية التأمل الديني والروحي لديه(شكل١١٢)، وبغض النظر عن الآراء التي قيلـت حول أسباب اتخاذ تلك الرسومات يبقى شغف الإنسان بحب الجمال ومحاولة تقليـد الطبيعـة وإضفاء البهجة على مكان إقامته واحدة من الدوافع الأساسية لعملية التزيين[٢].

وتعود أولى الشواهد على تزيين المباني وزخرفتها في العراق القـديم إلـى العصـر الحجري الحديث، إذ وجدت الجدران الداخلية للمبنى رقم (٢) من قرية نمريك مُزينة بزخارف قوامها أشرطة ملونة بألوان مثل الأحمر والأسود والأصفر وكانت الأجزاء السفلى من الجدار قرب الأرضية مطلية باللون الأحمر فقط[٣]. أما أقدم نماذج الرسومات الجدارية فإنها تعود إلى بدايات عصر حسونة وتحديداً في الطبقة III من موقع أم الدباغية إذ كانت الرسومات تُـزين الواجهات الداخلية لبعض الغرف وقد نُفذت فوق ملاط جصي معد بصورة جيـدة واسـتخدم اللونين الأحمر والأسود في تنفيذ رسوماتها التي تبدو من بقاياها أنها كانت تصـور مشـاهد

---

[١] تقع مجموعة كهوف لاسكو جنوب غرب فرنسا وقد تم الكشف عنها بطريق الصدفة عام ١٩٤٠م من لدن مجموعة من الفتية، ويعود تاريخ الرسوم التي وجدت به إلى العصر الحجري القديم حوالي ١٥الف سنة قبـل الميلاد، وبلغ عدد الأشكال المنفذة على جدران الكهف ما يقارب ١٥٠٠ نقش و٦٠٠ رسم تنوعت بين أشكال الثيران والغزلان والخيول وقد نُفذت هذه الرسوم بأسلوب جذاب ذا إيحاء حركي جميل.
بينما يقع كهف التاميرا في شمال شرق اسبانيا وقد تم اكتشافه عام ١٨٧٩م من لدن دي سولتولا أحد المهتمين بالكهوف وقد ضم الكهف رسوماً بديعة لحيوانات تقفز وتجري في كل اتجاه، ووفقا للتحاليل التي أجريت على هذه الرسوم تبين أن أقدم نماذجها يعود تاريخه إلى عشـرة آلاف عـام قبـل المـيلاد. للمزيـد يراجـع : عبد الله، عبد الكريم، فنون الإنسان القديم أساليبها ودوافعها، بغداد، ١٩٧٣، ص٣١ وما بعدها.

[٢] الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص١٠.

[3] Kozlowski, et.al, Op.Cit, P.26f.

مألوفة لدى سكان الموقع ومنها مشهد صيد لحصان من نوع الاونيكر وهناك رسومات أخرى عبارة عن خطوط متموجة الواحدة فوق الأخرى(شكل١١٣)(١).

لم يقتصر استخدام الرسوم على تزيين جدران الأبنية السكنية فقط، فمع ظهور أولـــى أبنية المعابد انتقلت الرسوم الجدارية لتزين الواجهات الداخلية والخارجية لجدران المعابد ولعل أقدم نماذج هذه الرسوم ما عثر عليه في تبة كاورا الطبقة XIII العائدة لعصر العبيد، إذ زينت الرسوم الواجهات الداخلية للقاعة المركزية في المعبد المركزي وجدران اثنتين مـــن الغـــرف القريبة منها وكانت مطلية بطلاء أحمر ارجواني(٢).

أستمر استخدام الرسوم الجدارية خلال عصر الوركاء، إذ عُثر في الجانب الغربي من الطبقة الثالثة في قالينج آغا على معبد وقد طليت جدران قاعته المركزية من الـــداخل بـــاللون الأبيض وجدت بقاياه بين ركام الغرفة وعلى أرضيتها كما أن هناك بقايا لإفريز منقوش على أسفل جدارها الشرقي باللونين الأحمر والأسود ونفذت على أرضية بيضاء والنقش عبارة عن أشكال معينية كبيرة متعاقبة وأشكال هندسية أخرى غيـــر واضـــحة المعـــالم؛ بســـبب تلـــف الجدار(٣).

كما استخدمت الألوان كالأحمر والأسود والأبـــيض والأزرق فـــي طـــلاء النهايـــات العريضة للمخاريط الحجرية والفخارية التي شاع استخدامها خـــلال عصـــر الوركـــاء فـــي معابد منطقة أي-انا في مدينـــة الوركـــاء وقـــد وزعـــت هـــذه الألـــوان بأســـلوب خـــاص ووضعيات مختلفة أنتجت في النهاية زخارف هندسية قوامها مثلثـــات صـــغيرة أو معينـــات متعاقبة أو خطوط منكسرة وهذه الزخارف تقليد لنماذج الحصير الملون الـــذي كـــان يغطـــي الجدران الخارجية للمعبد، ويبدو أن مصممي المعابد قد اكتفوا بذلك النـــوع مـــن الزخـــارف عوضاً عن الرسومات الملونة(شكل١٢١)(٤).

وتُعد الرسوم الجدارية المُكتشفة في المعبد المصبوغ بتل العقير مـــن أجمـــل نمـــاذج الرسوم العائدة لعصر جمدة نصر، إذ غُطيت الجدران الخارجية بطبقة من ملاط طيني بسمك ٣-٥سم ثم طليت باللون الأبيض بوساطة طبقة جصية، أما الجدران الداخلية فقد طليت بالماء الملون الرائب عدة مرات، بحيث تحول الملاط إلى طبقة ناعمة من الطين الممزوج بالتبن، ثم طليت باللون الأبيض، وبعد ذلك حددت العناصر المطلوب رسمها باللون الأحمر ثم حُـــددت

---

(1) Kirkbride, Op.Cit, (1975),P.7.

(2) Tobler, Op.Cit, P.33.

(٣) أبو الصوف، المصدر السابق، ١٩٦٩، ص١٠.

(٤) لنزن، المصدر السابق، ص٣٥ وكذلك: الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص٧٣.

مرة أخرى باللون الأسود إلى جانب اللون الأحمر. وكان النظام الأفضل في توزيع الرسوم هو استخدام الحقول الشريطية ذات اللون الواحد والذي كان في العادة اللون الأحمر، كما طليت به الأجزاء السفلى من الجدران إلى ارتفاع متر واحد تقريباً[١]، يعلوه شريط آخر رسمت عليه زخارف هندسية بألوان مثل الأحمر والأسود والبرتقالي والأصفر على أرضية بيضاء وكان قوامها زخارف هندسية بشكل معينات ومثلثات ومربعات[٢]، ربما كانت هذه الأشكال تقليداً لزخارف المخاريط التي شاعت في عصر الوركاء[٣]. ويعلو هذه المشاهد الهندسية رسوم لأشكال بشرية وحيوانات لم يبقى منها سوى الجزء الأسفل للرسوم وحتى مستوى الخصر بسبب تهدم الأجزاء العليا من الجدار(**شكل١١٤ أ**). أما أهم الرسوم التي وجدت كاملة في هذا المعبد هي التي نُفذت على واجهة دكة الإله وكانت ذات طبيعة عمارية، إذ صورت عليها واجهة معبد وقد أُشرت الطلعات والدخلات بالألوان وبواسطة ثلاث خطوط متوازية داخل كل طلعة، بينما ملئت الدخلات بنقوش هندسية، وكانت الطلعات ملونة باللون الأبيض والأصفر بالتناوب، إلا الطلعتين في وسط الواجهة تماماً، إذ كانتا ملونتين باللون الأبيض ويحصران بينهما دخلة طليت باللون الأصفر وربما كانت هذه إشارة إلى مدخل المعبد المرسوم(**شكل١١٤ ب**)[٤]. وعند دكة الإله وجدت صورتين لفهدين رابضين رسم أحدهما عند الجانب الأيمن من دكة الإله ورسم الثاني على الجهة الصغيرة منه وكان أسلوب رسمها أقرب إلى الواقع، إذ صُور أحد الفهدين وهو رابض على قائمتيه الخلفيتين أما الأخر فقد صور وهو مضطجعٌ على بطنه[٥]، وقد نفذت هذه الرسوم على أرضية بيضاء وحددت باللون القرمزي ثم ثُخنت باللون الأسود، ومن ثم ملئ الفك والعيون والاذنين ونهاية الذيل باللون الغامق(**شكل١١٤ج**)[٦].

كما كُسيت الجدران الداخلية للقاعة المركزية في معبد العيون بتل براك العائدة لعصر جمدة نصر باللون الأبيض وكذلك طُليت واجهة وجوانب دكة الإله باللون ذاته، كما زُين الجانب الخارجي من الجدار الجنوبي للمعبد بمخاريط طليت نهاياتها باللون الأحمر[٧].

---

[١] سعيد، مؤيد،"الرسوم الجدارية منذ أقدم العصور" في : حضارة العراق، ج٣، بغداد، ١٩٨٥ب، ص٣٦٧.

[2] Lloyd, et.al., Op.Cit, P.143.

[٣] الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص٧٣.

[٤] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥، ص٢٩.

[٥] الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص٧٣.

[٦] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥ب، ص٢٦٩.

[7] Mallowan, Op.Cit,(1947), P.59.

أستمر تزيين جدران المعابد خلال عصر فجر السلالات بالرسوم الجدارية إلا أن استخدامها قد أنحصر وبشكل ملحوظ خلال هذا العصر على الأجزاء الأكثر قدسية في المعبد كالجناح المقدس ودكة الإله ومما يفسر قلة الرسوم الجدارية في هذا العصر أن المعمار أستخدم بدائل أخرى عوضاً عن الألوان، إذ عَرف السومريون النقوش البارزة والألواح المطعمة والتي استخدموا في تشكيلها المعادن والأحجار والأصداف وكانت أجزاء هذه النقوش تُعمل كلٌ على حدة ثم تجمع بشكل أفاريز تثبت على واجهات المعابد والأعمدة والأبواب وغيرها[١]. ومن أمثلتها الأفاريز التي تزين واجهة وجدران معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد وهي تصور مشاهد حلب الأبقار وصنع الألبان[٢].

أما أبرز ما كُشف عنه من رسوم وزخارف خلال عصر فجر السلالات فهو ما عُثر عليه في معبد الإلهة عشتار في مدينة نيبور الطبقة VII إذ زُينت جدران الحجرة المقدسة بزخارف ملونة على غرار كثير من المعابد العراقية في العصور السابقة[٣]. كما أستخدم اللون اللون الأبيض الذي قوامه ملاط من الجص المخفف بالماء في طلاء الجدران الخارجية والداخلية للعديد من المعابد خلال هذا العصر ومنها معبد الإله سين الطبقة VIII ومعبد الإله ننتو الطبقة V في خفاجة[٤]. بينما لونت أسفل جدران الحجرة المقدسة في معبد الإله سين الطبقة IX في الموقع ذاته باللون الأسود[٥]. وأستخدم اللون الأبيض أيضاً في طلاء دكة الإله الموضوعة في الحجرة L.13:9 في معبد الإله شارة بتل أجرب[٦].

إلا أن الرسوم الجدارية الملونة تعود للظهور مجدداً في العصر البابلي القديم بعد فتورها خلال العصور السابقة ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما عثر عليه من رسوم جدارية كانت تغطي جدران العديد من القاعات والغرف والمصليات والممرات التابعة لقصر الملك زمري–ليم(١٧٧٨–١٧٦١ق.م) في ماري[٧]. وقد تنوعت هذه الرسوم بين الطلاء العام

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٧٠.

[٢] للمزيد يراجع: المبحث الثاني من هذا الفصل ص٢١٣.

[٣] الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص٧٣.

[4] OIP.58, P.55; 92.

[5] Ibid, P.62.

[6] Ibid, P.237; 249.

[٧] حدد مورتكات تاريخ الرسوم الجدارية في قصر زمري–ليم بثلاث فترات زمنية، فقد أرخ الرسم من الغرفة ١٣٢ إلى سلالة أور الثالثة على أساس التشابه في مشهد سكب الماء المقدس مع مسلة اورنمو، وفيما عدا مشهد تولي العرش لزمري–ليم الأول فإن الرسوم الجدارية كافة من القاعة ١٠٦ قد أرخها إلى عهد يسمخ–ادد(١٧٩٩–١٧٨٠ق.م) وذلك على أساس التشابه في الأزياء التي يرتديها الأشخاص في المشهد، مع

لجدران وأعمدة البناء أو الأجزاء السفلى منها وأستخدم فيها اللون الأبيض والأسود والأحمر والبرتقالي والرمادي[1]. ونفذت العديد من الزخارف الهندسية والتي قوامها أشرطة متموجة مزدوجة أو أشرطة متعددة الألوان[2] فضلاً عن الأشكال الهندسية كالمعينات والمثلثات والدوائر وغيرها، إلا أن أهم الرسوم الجدارية المنفذة في القصر تقع في الساحة الرئيسة عند مدخل قاعة العرش ولسنا بصدد ذكرها الآن[3].

ومن النماذج الأخرى العائدة للعصر البابلي القديم ما عثر عليه في معبد تل حداد الطبقة الثالثة من ألوان كانت تغطي العناصر العمارية التي تشكل واجهة الجناح المقدس، إذ طُليت الأعمدة جميعها باللون البني الغامق بينما كانت التماثيل القائمة عند المدخل تحمل آثار طلاء أبيض وأحمر[4]. كما أستخدم اللون الأصفر في طلاء جدران المعبد الصغير المزدوج في تل حرمل[5].

من خلال ما تقدم يبدو أن استخدام الرسوم الجدارية كان مقتصراً في الغالب على تزيين الجدران الداخلية للمعابد وخصوصاً في الأجزاء الأكثر قدسية فيه، بينما أستخدم التلوين في طلاء الواجهات الخارجية للجدران وكذلك عند الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية، وربما تعزى ندرة وجود الرسوم الجدارية في الواجهات الخارجية إلى التأثير السلبي الذي تحدثه عوامل البيئة كالأمطار والرطوبة وأشعة الشمس والغبار على الألوان المستخدمة في

تلك المصورة على مسلة يسمخ-ادد، بينما أشار مورتكات إلى أن تاريخ مشهد تولي العرش يعود إلى السنوات الأخيرة من حكم الملك زمري-ليم في ماري.

للمزيد من التفصيل حول تاريخ وطبيعة الرسوم الجدارية وأساليب التلوين في قصر زمري-ليم يراجع: يوكوتومابيشي،"الرسوم الجدارية وأساليب التلوين في عمارة القصر البابلي القديم في ماري"، سومر، مجلد٤١، ١٩٨٥، ص٨٤-٩٣.

[1] طليت الأجزاء السفلى في أكثر من خمس وعشرين غرفة باللون الأسود وبارتفاع ينحصر بين ١٢-٥٠سم، بينما زُينت بعض الغرف والقاعات والممرات بألوان أخرى كما في القاعة ١٠٦والممر ١١٤ إذ طليت باللون الرمادي والأزرق وبارتفاع ٤٨-٥٢سم. يوكوتومابيشي، المصدر السابق، ص٨٥.

[2] عُثر على مثل هذه الزخارف في الغرف ٣١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٦ وكانت منفذة بالألوان الأبيض والأزرق المائل للرمادي والبرتقالي والأسود. للمزيد يراجع : المصدر نفسه، ص٨٥-٨٦.

[3] يتكون المشهد من لوحة جصية ضخمة تمثل تنصيب الملك زمري ليم الأول وتناوله إشارات السلطة من الإلهة عشتار كما عثر على أجزاء من مشاهد أخرى تظهر جنوداً محاربين، ومنظراً أسطوري يظهر فيه الليل والنهار. للمزيد من التفصيل يراجع: سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٥ب، ص٢٧١. وكذلك يوكوتومابيشي، المصدر السابق، ص٩١.

[4] سليمان، المصدر السابق، ٢٠٠٤، ص٩٨.

[5] ناجي، المصدر السابق، ص٢٠٤.

هذه الرسوم مما يفقدها بريقها، وبالتالي تشوهها وتلفها وضياع قيمتها الجمالية، ولذلك اكتفى المعمار بعملية إكساء الجدران الخارجية بالطلاء وغالباً ما أستخدم اللون الأبيض.

وفضلاً عما سبق فإن المعمار قد أعتمد في تزيين الواجهات الخارجية لأبنية المعابد على العناصر العمارية التي توفر دعماً للبناء وتمنحه إطلالة جذابة عبر تشييدها بأساليب معينة وأهم هذه العناصر الطلعات والدخلات.

وعلى العموم فإن تزيين جدران المعابد بأي نوع من أنواع الرسوم لم يكن الهدف الأساس منه إضافة مسحة جمالية على المبنى فحسب، بل كان الأصل فيها التأثير على المتعبدين الذين يقفون مشدودين أمام سعة المعبد وتعدد مرافقه وما بُذل في تزيينه وزخرفته ليزدادوا تبجيلاً وخوفاً من ذلك الإله وتعلقاً به، وهي ظاهرة يمكن تشخيصها في الأديان الوضعية جميعها التي تعتمد في تثبيت ونشر عقائدها على التأثير الحسي المباشر على المتعبدين أكثر من أعتمادها على الإقناع العقلي والروحي لهم(١).

وتنوعت الأشكال المنفذة في الرسوم الجدارية بين أشكال بشرية وأخرى حيوانية كالأسود والفهود والأبقار والأغنام وغيرها، لكن الزخارف الهندسية والتي قوامها مثلثات أو خطوط منكسرة أو معينات كانت هي المفضلة في تزيين جدران المعابد، وإن الألوان السائدة في عملية التلوين هي الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وهي ألوان يسهل استخراجها من مصادر طبيعية متوفرة وهي تمنح ظلالاً وأطيافاً متعددة.

٢- المخاريط

مصطلح أطلقه المنقبون الألمان لوصف نوع من الزخارف الجدارية المكتشفة في عدد من المعابد العراقية القديمة خلال عصر الوركاء وجمدة نصر في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد وهي عبارة عن قطع مخروطية الشكل تصنع عادة من الطين أو الحجر وتوضع أما على شكل صفوف بين طبقات من المونة أو تغرز بواسطة الضغط داخل جدران اللبن وهي ما تزال رخوة(شكل١٩)(٢). وكانت نهاياتها المدورة المصنوعة بعناية تطلى بألوان مختلفة كالأبيض والأسود والأحمر وترتب بأسلوب معين ينتج عنه أشكال هندسية انحصرت بين ثلاثة نماذج رئيسة، وهي النموذج المعيني ونموذج الخطوط المنكسرة ونموذج ثالث على شكل مثلثات صغيرة بتشكيلات متنوعة(٣). ومن المحتمل أن جميع هذه النماذج كانت مقتبسة من طريقة عمل الحصران التي ربما استخدمت على نطاق واسع في محاولة حماية الجدران

---

(١) الاعظمي، المصدر السابق، ١٩٩٩، ص٧٤.

(٢) لايك، المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٣) لنزن، المصدر السابق، ص٣٤.

المشيدة باللبن وقد ثبتت على الجدران بواسطة مخاريط منحنية والتي ظهرت نماذجها بكميات كبيرة منذ عصر العبيد(شكل٢٤)[١]. غير أن التنقيبات الأثرية لم تنجح في العثور على نماذج لهذه الحصران لكونها من المواد العضوية سريعة التلف، ولكن أمكن الوصول إلى دليل استخدامها من أثار طبعاتها على الجدران(شكل٢٢) فضلاً عما تظهره الأختام من أشكال مشابهة لطبيعة تنظيم النسيج في الحصران المصنوعة من القصب.

لذلك يفترض بأن المخاريط تمثل أسلوباً جديداً أستخدمه المعمار في وقاية الجدران، ورغم صعوبة ترتيبها فقد كانت توفر قشرة مانعة ضد عوامل المناخ وتجعل من الجدران المبنية باللبن محمية وغير قابلة للتلف، وهي في الوقت ذاته تعكس جمالية الحصير الملون من خلال تطابق أشكالها مع أشكال نسيج الحصير وألوانه[٢]، وإن سبب كثرة المخاريط الطينية مقارنة مع الحجرية يعود إلى أن الأولى يمكن توافرها من المادة الأولية مقارنة مع الثانية.

ترجع أولى النماذج المكتشفة من المخاريط إلى عصر الوركاء الوسيط، إذ عثر في معبد اريدو الطبقة I على بقايا مخاريط مصنوعة من الجص وأخرى حجرية تكسو وجهها صفيحة من النحاس ويرجح المنقبون إلى أن واجهة المعبد كانت مزدانة بها أيضاً[٣].

تُعد المخاريط الملونة ميزة أساسية لمعابد عصر الوركاء ومدينة الوركاء نفسها، إذ قدمت قاعة الأعمدة في الطبقة IVb والعائدة لعصر الوركاء الأخير أول مثال قائم للواجهة المزينة بالمخاريط الفخارية الملونة وكانت تغطي أوجه الأعمدة وجوانب الجدران جميعها وقد لونت بألوان متعددة كالأحمر والأبيض والأسود، ووضعت بأسلوب معين بحيث تشكل نماذج هندسية قوامها مثلثات بيضاء وأخرى سوداء، كما زينت النهاية العليا لواجهة المصطبة التي شيدت عليها القاعة بأربعة صفوف من المخاريط الطينية كبيرة الحجم ملونة جميعها باللون الأسود وذات رؤوس مقعرة وأستخدم الأسلوب ذاته عند الواجهة الشمالية الغربية المواجهة لساحة المصطبة الوسطية(شكل١١٥)[٤]، والتي ازدانت جدرانها هي الأخرى بمخاريط ملونة[٥]. وفي الطبقة نفسها قد كُشف عن بناية معبد تقع غرب منطقة أي-انا عرفت بمعبد المخاريط الحجرية لكون جدرانه الخارجية كانت مزدانة بمخاريط حجرية وأخرى فخارية كبيرة الحجم، وقد طليت نهاياتها بألوان أضيفت إلى الطين قبل الشوي إذ يظهر البعض منها

---

[١] عبد الرزاق، ريا محسن، "البيئة وتأثيرها على واجهات المعابد السومرية"، في: ندوة العمارة والبيئة، المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص٦٩.

[٢] المصدر نفسه، ص٧٠

[٣] سفر، المصدر السابق،١٩٤٧، ص٢٢٩.

[٤] لنزن، المصدر السابق، ص٣٥.

[٥] مهدي، المصدر السابق، ص٨٢.

بلون أزرق مسود بينما يظهر الأخر بلون أخضر مائل إلى الصفرة[١]. ومن الطبقة IVa زُينت قاعة الدعائم بمخاريط فخارية باللون بالأحمر والأبيض والأسود[٢].

أستمر استخدام المخاريط خلال عصر جمدة نصر، إذ زينت بها العديد من معابد هذا العصر، ومنها ما عُثر عليه في المعبد المصبوغ في تل العقير، إذ أمتدت المخاريط الفخارية الملونة على شكل إفريز أفقي يعلو الطلعات والدخلات المنفذة على واجهة المصطبة التي أقيم عليها المعبد[٣]. كما أزدانت الواجهة الخارجية للجدار الجنوبي في معبد العيون بتل براك بشريط من مخاريط فخارية طليت نهاياتها باللون الأحمر والذي عُد من سمات التلوين خلال هذا العصر[٤]. وكُشف في هذا المعبد عن نماذج أخرى لمخاريط طينية ملونة تحمل نهاياتها أشكال بهيئة زهرة ثُمانية الأوراق(شكل١١٦) وقد نفذت بأسلوب التطعيم وكانت تزين دكة الإله في المعبد وكذلك الوجه الخارجي للجدار الشمالي منه[٥]. كما عَثرت التنقيبات الأثرية في في معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد العائد لعصر فجر السلالات على نماذج مشابهة لهذه المخاريط، إذ كانت تزين الجزء الغربي من مصطبة المعبد[٦]. ويبدو أن استخدام هذا النوع من المخاريط المطعمة بالأحجار في تزيين الجدران قد أصبح تقليداً أكثر من كونه حاجة لتقويتها[٧].

٣- نماذج النحت البارز والمجسم

كان فن النحت من أهم الفنون التي مارسها العراقيون القدماء و استخدموها في تزيين جدران أبنيتهم وبصورة خاصة أبنية المعابد، إذ كان هذا الفن الأوضح تعبيراً عن الأفكار والمعتقدات الدينية التي رغب الفنان في إيصالها للمتعبدين، والتي تمدنا كذلك بالعديد من المعلومات حول طبيعة الطقوس الدينية التي تقام في المعابد، فضلاً عن أمور الحياة اليومية الأخرى. ولم يقتصر دور النحت في العمارة على الجانب الديني بل كان له دور جمالي من

---

[١] لنزن، المصدر السابق، ص٣٣.

[٢] مهدي، المصدر السابق، ص٨٨.

[٣] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥أ، ص٢٨.

[4] Mallowan, Op.Cit(1947), P.59

[5] Ibid, P.32.

[6] Aruz, Op.Cit, P.86.

[٧] عبد الرزاق، المصدر السابق، ص٧٠.

خلال إكماله الشكل النهائي للجدران وإكسابها زينة ذات طابع حيوي يختلف عن باقي أنـــواع التزيين البنائية أو الفنية، فضلاً عن ذلك كانت بعض أنواع النماذج النحتية تؤدي دوراً وظيفياً من خلال إسناد ودعم الجدران. مثلما أُستخدمت الألواح الحجريـــة المنحوتـــة فـــي القصـــور الأشورية والتي كانت تلصق على أوجه الجدران لتقويتها.

وتكمن أهمية المنحوتات والتماثيل في كونها أكثر العناصر الفنية التي تركت نمـــاذج عديدة ومن مختلف العصور نظراً لطبيعة المواد المستخدمة في تكوينها، كالحجارة بالدرجـــة الأولى ومقاومتها لمختلف العوامل الطبيعية واحتفاظها بأشكالها وهيئتها الأصلية مـــدة زمنيـــة طويلة وتنوعت المنحوتات المنفذة في أبنية المعابد ما بين النحت البارز ويشمل نحت الألـــواح الحجرية والكتابة على المسلات والنصب وغيرها وبين النحت المجسم كنحت التماثيل الآدمية والحيوانية على اختلاف أشكالها وأحجامها، ومن أشكال وأنواع النحت أيضا النحت أو الحفـــر على العاج وأعمال التطعيم.

تُعد الألواح النذرية بمثابة رسائل موجهة للآلهة من لدن الملوك والأمراء يخلدون فيها أعمالهم وما قاموا به من اجل الإله وهذه الألواح من أبرز أعمال النحت البارز وأقدمها التـــي كانت تزيين جدران المعابد، إذ عثر على العديد من نماذجها في أبنية المعابد وهـــذه الألـــواح عبارة عن قطع حجرية مربعة أو مستطيلة وهي مثقوبة من الوسط، بثقب دائري أو مربـــع ، لغرض تثبيتها على الجدار فالفكرة من تعليقها هي إبلاغ محتوياتها للمتلقين وتجسيداً لأهميتهـــا كتوثيق لتاريخ المعبد ونشاطات الملوك في إنشائها وديمومتها. تعرض هذه الألواح في معظـــم أمثلتها مشاهد احتفالية ذات طبيعة دينية، وقد تقسم في الغالب إلى ثلاثة حقول أفقية ومن أشهر أمثلتها اللوح النذري المكتشف في معبد الإله سين الطبقة IX في خفاجة المنحوت من الحجـــر الكلسي بقياس ٢٠×٢٠سم وبسمك ٣.٨سم(شكل١١٧)، وكذلك اللوح المكتشف في معبد مدينة كيرسو المنحوت من حجر الكلس وبقياس ٢٣×٢٩سم وبسمك ٧سم(شكل١١٨) وفـــي بنايـــة كيك-بار-كو في أور عُثر على لوح مـــن حجـــر الكلـــس مســـتطيل الشـــكل تبلـــغ أبعـــاده ٢٢×٢٦سم(شكل١١٩) تعود هذه الألواح جميعها لعصر فجر السلالات الثالث[1].

وفضلاً عن هذه الألواح استخدمت العديد من المنحوتات البارزة والمطعمة في أكســـاء وتزيين جدران المعابد وواجهاتها ويقدم معبد الإلهة ننخورساك أبرز مثال على دور الأعمـــال

---

[1] للمزيد من التفصيل حول أسلوب نحت هذه الألواح وطبيعة المشاهد المنفذة عليهـــا يراجـــع: مورتكـــات، المصدر السابق، ص٨٧، ١٣٦ وكذلك : Aruz, Op.Cit, P.71ff .

الفنية المنحوتة بالنحت البارز والمجسم في تزيين واجهات المعابد وتكاملها مع العناصر العمارية المنفذة فيه(١).

إن معظم نماذج النحت المجسم المكتشفة داخل أبنية المعابد كانت ذات طابع ديني خالص كتماثيل الآلهة والأشخاص والحيوانات حتى تلك التماثيل التي أخذت دوراً وظيفياً كالأواني النذرية ودكاك الآلهة والقرابين المنحوتة بالكامل من الحجر قد أكسبها الفنان صفة جمالية من خلال أسلوب نحتها المتقن.

ومنذ عصر الوركاء بدا استخدام التماثيل والمنحوتات الجدارية في تزيين الواجهات الخارجية لأبنية المعابد وكانت التماثيل الحيوانية الحارسة، أبرز أصناف التماثيل المستخدمة في عمليات التزيين، إذ كانت توضع عند أبواب المعبد الخارجية أو عند مداخل الجناح المقدس واكتشفت أولى النماذج البارزة لهذه الحيوانات بالقرب من مدخل معبد الطبقة IV في اريدو(٢). كما أحيط مدخل الجناح المقدس لمعبد الإلهة ننخورساك بأربعة اسود مضطجعة مصنوعة من البرونز(شكل١٢٠)(٣)، كما كُشف عن تماثيل لأسود رابضة مصنوعة من الطين المفخور تزين مدخل معبد الإلهة نيسابا بتل حرمل العائد للعصر البابلي القديم(شكل١٢١)(٤). كما كان مدخل معبد داجان في ماري مزيناً بصف من الأسود المصنوعة من ألواح برونزية(شكل١٢٢)(٥). واستمرت نماذج الحيوانات الحارسة مستخدمة في تزيين مداخل المباني والمدن خلال العصور اللاحقة وقد وصلت أوج انتشارها في العصر الأشوري الحديث.

---

(١) يراجع المبحث الثاني من هذا الفصل ص٢١٣.

(2) Safar, Op.Cit(1982), P.242.

(3) Forest, Op.Cit, P.51.

(4) Baqir, Op.Cit, P.24.

(٥) بارو، المصدر السابق، ص٣١٣.

المبحث الثاني

نماذج منتخبة لواجهات المعابد

تُعد واجهات المباني الدينية في العراق القديم من أبرز الأجزاء التي أولى لها المعمار اهتماماً خاصاً بأسلوب عمارتها وتزيينها رغبة منه في إضفاء معالم الهيبة والبهاء على البناء وإظهاره بشكل ينسجم ومكانة الإله الذي شُيد لاجله المعبد، إذ يُعبر الطابع الرمزي التي تحمله الواجهات الخارجية أدق تعبير عن الوظيفة الداخلية للمبنى وما تعكسه من قيم دينية وروحية جمة[١].

إن طبيعة المواد المستخدمة في عملية تشييد المعابد دفعت بالمعمار إلى ابتكار أساليب عمارية تضفي على البناء جاذبية وجمالية، ومن أجل تحقيق ذلك قام بتشكيل الواجهات بأنواع متعددة من الحليات العمارية كالطلعات والدخلات والحزوز الطويلة وأنصاف الأعمدة البسيطة والمزخرفة والمركبة والمنحوتات الجدارية المنفذة بالآجر أو بالحجر، كما قام بتنظيم الواجهات الخارجية بشكل متدرج ترجع إلى الخلف أو إلى الأمام بحيث تخلق حركة وخطوط متنوعة متحررة من الرتابة التي تفرضها السطوح الجدارية البسيطة خاصة عندما تكون المباني كبيرة جداً كالمعابد[٢] وإن مجمل هذه العناصر العمارية والفنية أسهمت في تكوين واجهات ذات دلالات رمزية طقوسية تهدف إلى جذب انتباه المتعبدين عند النظر إليها[٣].

إن أسلوب التنفيذ الدقيق للعناصر العمارية والفنية المكونة للواجهات الخارجية في الأبنية عامة والمعابد خاصة تظهر أن التصور الكلي للشكل العام لم يكن قائما على أساس التنفيذ اللحظي وإنما أقيم وفق تصميم مسبق وهذا ما تعكسه دقة قياس وموقع هذه العناصر في الواجهة وتناظرها مع بعضها من حيث التصميم وينسحب الأمر كذلك على العناصر الفنية الداخلة في تزيين الواجهات الخارجية للمعابد.

بالرغم من أن التنقيبات الأثرية لم تنجح في أغلب الأحيان في الكشف عن واجهات كاملة للمعابد إلا في حالات نادرة جداً إلا أنه أمكن استنتاج تصميمها من خلال الأسس التي أنشئت فوقها والمخلفات الأثرية المادية والمشاهد الفنية التي تعكس صور كثير من الواجهات، فضلاً عن عدد من النماذج الصغيرة للمباني نفسها والتي تُظهر طبيعة الشكل الخارجي لهذه

---

[١] ودح، هاني هاشم،"دراسة تحليلية لواجهات المباني المعمارية"، مجلة جامعة تشرين، مجلد ٢٧، عدد٢، اللاذقية، ٢٠٠٥، ص١٨٠.

[٢] سعيد، المصدر السابق، ١٩٨٨، ص٤٢٧.

[٣] ودح، المصدر السابق، ص١٨٠.

الواجهات ومن أبرز تلك النماذج ما عثر عليه في معبد الإلهة عشتار في أشور(شـــكل١٠٩) وعثر كذلك في تل المقدادية على نموذج أخر لبيت طيني تظهر فيه أساليب تـــزيين الجـــدران الخارجية. وفيما يلي عرض لبعض النماذج المنتخبة من واجهات المباني الدينية في العمـــارة العراقية القديمة:-

١- واجهة معبد المخاريط الحجرية في الوركاء

أكتسب معبد المخاريط الحجرية في الطبقة IVb العائدة لعصر الوركاء تسميته مـــن أسلوب تزيينه الخارجي، إذ غطت واجهاته جميعها حلية قوامها مخاريط حجرية طليت نهايتها باللون الأسود والأبيض والأحمر ورتبت بأشكال هندسية أضفت على جدرانه الحيوية وجنبتـــه الرتابة التي قد تنتج بفعل استقامة الجدران وخلوها من الطلعات والدخلات[١].

يحيط بهذا المعبد من جهتيه الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية جدار مشيد بـــالحجر الكلسي غُلف بملاط طيني، ويُعد هذا الجدار جزءً متمماً لواجهة المعبـــد، إذ بنـــي بأســـلوب الطلعات والدخلات المركبة والمكونة لوجهي الجدار، ففي الجانب الخـــارجي تناوبـــت دخلـــة مزدوجة مع دخلة أخرى أكثر انخسافاً من الأولى[٢] وكان هذا الجدار مغلف بالكامل بمخاريط كبيرة الحجم مصنوعة من الطين المشوي وذات نهايات ملونة وقد رصفت على شكل خطوط متقاطعة(شكل٢١)[٣]

لم يحضَ المدخل بدور مهم في تصميم الواجهة على الرغم من موضعه الذي يتوسط الواجهة في الضلع الجنوبي الشرقي، إذ كانت عمارته بسيطة، فقد اكتفى المعمـــار بتـــأطيره بمخاريط ملونة وجعل الزخارف المنفذة من هذه المخاريط تتقاطع وأحياناً أخرى تتنافر عنده.

تشكل واجهة معبد المخاريط الحجرية أنموذجاً من الاهتمام العام لعمـــارة الواجهـــات الخارجية في معابد عصر الوركاء، إذ أولى المعمار اهتماما ملفتاً بها وبتنســـيق عناصـــرها المتناظرة في معظم الأحيان، كما أتسمت بوفرة العناصر الفنية والعمارية التـــي تـــزين هـــذه الواجهات كالطلعات والدخلات واستخدام المخاريط في تغليفها، إن هذا الاهتمـــام قـــد شـــمل الواجهات الخارجية للمعبد جميعها دون استثناء وذلك لكونها بنايات مستقلة بذاتها ولا تـــرتبط بأي أبنية أخرى كما أن توزيع المداخل في أكثر من ضلع أوجب علـــى المعمـــار اســـتخدام أساليب التزيين ذاتها في كل ضلع، ولذلك لم يكن تصميم المداخل مميزا بدرجة كبيرة في هذه

---

[1] UVB.XV, P.8f.

[٢] لنزن، المصدر السابق، ص٣٢.

[٣] مورتكات، المصدر السابق، ص٢٢.

المعابد مقارنة بالعصور اللاحقة. وقد راعى المعمار في تصميم الواجهات الخارجية لمعابد هذا العصر تحقيق رؤية متكاملة للبناء من جوانبه جميعها وذلك عبر انتقاء موضعه بعناية وتمييز واجهاته بأسلوب تزيين مميز معتمداً في ذلك على الساحات الواسعة التي أنشئت في وسطها المعابد كما في معابد الطبقة IV-V في الوركاء.

٢- المعبد المصبوغ في تل العقير

عُرف المعبد المكتشف في تل العقير بالمعبد المصبوغ وذلك لكون واجهاته الخارجية جميعها مطلية بكساء أبيض من الجص على غرار معبد الإله آنو المعاصر له في مدينة الوركاء والذي عُرف بالمعبد الأبيض[١].

تقع واجهة هذا المعبد في الضلع الشمالي الشرقي الطويل وقد ازدانت بطلعات مضلعة منسقة عرضها ١.٢٠م ويبلغ عددها ثلاث عشرة طلعة وتغور في سطح كل طلعة ثلاثة خطوط عمودية، وأربعة في الطلعتين العريضتين عند ركني الواجهة كان الغرض منها إبراز استقامة البناء، وتنحصر بين كل طلعتين دخلة متدرجة بلغ عرضها ٠.٥٠م[٢].

أُقيم المعبد على مصطبتين ترتفع الأولى بمقدار ٥م أما المصطبة الثانية الأصغر حجماً فترتفع بمقدار ١.٦٠م، وأستخدم في تزيين المصطبة الأولى طلعات ودخلات متوالية مضلعة بلغ ارتفاعها ٤.٦٠م يعلوها إفريز من مخاريط فخارية ملونة تتكون من خمسة صفوف(شكل٩٢)[٣]، وان استخدام الإفريز الأفقي في النهاية العليا لهذه المصطبة أدى إلى تحديد ارتفاعها الفعلي ومنحها شكلاً متكاملاً عن بقية أجزاء البناء ومكملاً في الوقت ذاته لمنظر المعبد بشكل عام، إذ أن ترك المعمار لنهايات الطلعات مفتوحة من الأعلى في هذه المصطبة، يؤدي إلى تلاشي فكرة المنظور القائم على أساس التقسيم الأفقي للوحدات البنائية والاستطالة العمودية لوحدات التزيين الخارجية المكونة من الطلعات المضلعة.

استخدمت المصاطب التي شُيدت عليها المعابد بوصفه عنصراً أساسياً في تصميم الواجهات الخارجية لأبنية المعابد منذ عصر جمدة نصر لكونها تمكن المعمار من تحقيق بُعد شامل للمعبد وتكسبه منظراً مهيباً وتميزه بإطلالة جذابة عما يجاوره ويتم ذلك عبر خلق تكامل في أساليب التزيين بين المصطبة والجدار الخارجي للمعبد، إذ زينت واجهات هذه المصاطب بالطرق ذاتها المتبعة في تصميم الواجهات الخارجية وكانت الطلعات والدخلات المضلعة أبرز

---

[١] سفر، المصدر السابق، ١٩٤٥أ، ص٢٨.

[2] Lloyd, et.al, Op.Cit, P.146.

[3] Ibid, P.143.

عناصر التزيين المنفذة فيها، كون هيئتها العمودية تنسجم مع طبيعة الغـرض الـذي أنشـئت لأجله المصطبة وهو إضفاء طابع من الارتفاع على البناء يستشعره المرء عند النظر إليهـا، وأستمر أسلوب التزيين هذا معتمداً في أغلب المصاطب التي شـيدت عليهـا المعابـد فـي العصور اللاحقة.

٣- معبد الإله سين في خفاجة الطبقة X

تقع واجهة هذا المعبد في الجزء الشمالي ويبلغ طولها ٣٥م تقريباً، كانت تمتد بشـكل منحرف من الجانب الشمالي الشرقي إلى الجانب الجنوبي الغربي، وقـد أتسـمت ببسـاطتها وافتقارها للتنظيم بشكل عام، إذ ضمت هذه الواجهة في الجهة الغربية منهـا أربـع طلعـات مضلعة تحصر بينها ثلاث دخلات يبلغ عرض اثنين منها ٣.٧٠م أما الدخلة الأخيرة فقد بلـغ عرضها ٢.٣٠م ويرجع هذا التفاوت في قياسها إلى كون الطلعات المحددة لها تمثـل امتـداداً للجدران الداخلية المشكلة للجناح المقدس، أما بقية أجزاء الواجهة فكانت خالية من الطلعـات والدخلات، إذ أمتد الجدار مع نهاية الطلعة الرابعة وبموازاتها بصورة مستقيمة وصولاً إلـى المدخل الوحيد للمعبد عند الجانب الشمالي الشرقي وكان يكتنف هذا المدخل برجان أصـمان يبرزان عن الجدار بينما كان المدخل غائراً نحو الخلف وذلك لكي يتيح المجال أمـام وضـع مدخل ثاني جانبي للسلم المؤدي إلى السطح خلف البرج الأيسر(شكل٤)[1] وقد طليت بمـلاط من الجص مما أكسب البناء بريقاً.

إن أسلوب التصميم البسيط المتبع في تنفيذ هذه الواجهة وافتقاد عناصرها للتناسق قـد انعكس سلباً على الشكل الخارجي للبناء بشكل عام، وهذا ما نلاحظه في معظم أبنية المعابـد العائدة لعصر فجر السلالات، لكن هذا لا يدل بالضرورة على الارتجال في عملية التصـميم الخارجي للبناء بقدر ما يتعلق الأمر باعتبارات التخطيط الداخلي التي أولـى لهـا المعمـار اهتماماً كبيراً بهدف إظهارها بأفضل صورة فضلاً عن التزامه الكبير بإعـادة البنـاء وفـق المخططات السابقة، كما أن بناء المعبد وسط الدور السكنية وضيق الأزقة التي تفصلها عـن هذه الدور حد بصورة كبيرة من أفق الرؤية الكلية وبالتالي أدى ذلك إلى تشتتها لعدة أجـزاء وبالتالي لا تعطي انطباعاً كلياً لهيئة المعبد الخارجية من أول وهلة.

---

(1) OIP.58, P.78.

٤- **معبد الإلهة ننخورساك في تل العبيد**

تشرف واجهة الجناح المقدس في معبد الإلهة ننخورساك على الجانب الجنوبي الشرقي من المعبد ويبلغ طولها ٦.٧٠م وقد صُممت بدقة متناهية وزينت بأساليب زخرفية جميلة(شكل١٢٣)[١]. إذ غُطيت معظم جدران هذه الواجهة بعناصر فنية بديعة التكوين تحمل مشاهد ذات مواضيع متنوعة كانت موزعة بشكل متناظر على جانبي المدخل[٢] الذي أقيم وسط الواجهة وبلغ عرضه ١.٣٥م يُزين الجزء العلوي منه اسكفة كبيرة صُنعت من لوحة نحاسية تبلغ أبعادها ٢.٣٨× ١.٧٠م نقش عليها نحت بارز يمثل منظراً لنسر برأس أسد جاثم فوق غزالين(شكل١٢٤)[٣]. ويتقدم المدخل زوج من الأعمدة يبلغ ارتفاعها ٢.٥٠م وقد طُعمت هذه الأعمدة بأحجار ملونة باللون الأسود والأبيض فضلاً عن قطع الصدف التي كانت ذات أشكال مثلثة رُصفت مع بعضها لتشكل زخرفة تشبه جذع النخلة(شكل١٢٥)[٤] ويتقدمهما عمودان نحاسيان يحملان سقيفة المدخل ويشير **وولي** إلى وجود عدد أخر من هذه الأعمدة موزعة على جوانب الحجرة كانت وظيفتها حمل سقيفة المعبد وتشكل رواقاً يحف بالحجرة المقدسة من جميع الجهات[٥].

يتقدم المدخل زوجان من التماثيل لأسود مضطجعة بلغ ارتفاعها ٣٥.٧سم وطولها ٣٠.٥سم[٦] ويصطف على جانبي المدخل وأمام واجهة الحجرة المقدسة أربعة تماثيل لثيران نحاسية موزعة على الجانبين وقد بلغ ارتفاعها ٧١سم وطولها ٨٥سم وعرضها ٢٨سم(شكل١٢٦)[٧] ويعلو هذه الثيران إفريز يبلغ عرضه ٢٢سم نُحتت عليه مجموعة من العجول الصغيرة الراقدة والمنفذة بأسلوب النحت البارز بينما طُعمت العجول الأخرى بالحجر

---

[١] عكاشة، المصدر السابق، ص١٤٥

[٢] وجدت معظم العناصر الفنية لواجهة الحجرة المقدسة في معبد الالهة ننخورساك عند قاعدة المصطبة التي أقيم عليها المعبد ومن المعتقد أنها سقطت حينما أنهار البناء وتحطم وعندما قام **وولي** بالتنقيب في الموقع ووضع مخططاً لشكل المعبد اقترح ترتيباً لأساليب التزيين التي كانت منفذة على واجهة المعبد وذلك بالاعتماد على طبيعة المكتشفات الفنية وتماثل تصميم الواجهة عند جانبي المدخل. للمزيد حول موضع اكتشاف المخلفات الفنية وأسلوب ترتيبها من لدن **وولي** يراجع : forest, Op.Cit, P.41f.

[3] Ibid, P.53.

[4] Aruz, Op.Cit, P.86.

[5] Forest, Op.Cit, P.42.

[٦] عثر على ثمانية أزواج من تماثيل الأسود ذات وضعيات متشابه لكنها مختلفة القياس ويشير **وولي** إلى أنها كانت موجودة حتماً خارج الحجرة المقدسة وكانت موزعة عند أبواب الحجرة والمصطبة والتي ربما استخدمت لإغراض الحراسة. للمزيد يراجع : Ibid, P.51.

[7] Ibid, P.52.

الجيري(شكل١٢٧) يعلو هذا الإفريز إفريز أخر بالعرض نفسه صورت فيه مناظر تشابه تلك المنفذة على الأختام الاسطوانية، إذ يظهر في هذا الإفريز حظيرة على أحد جوانبها رجال يجلسون القرفصاء ويقومون بحلب الأبقار وعلى يسارها يعمل آخرون على صناعة الألبان وقد صنعت هذه الأشكال من حجر الكلس الأبيض والأصداف وطُليت بألوان فاتحة وثبتت بالقار على ألواح خشبية وأطرت من الأعلى والأسفل بشريط من لوح نحاسي(شكل١٢٨)[١]. بينما ضم الإفريز العلوي والذي بلغ عرضه ٢٠سم مشهداً لطيور متعاقبة وقد صُممت بالأسلوب ذاته(شكل١٢٩)[٢]. وبقي أن نشير إلى إن المساحة التي تفصل بين إفريز وآخر كانت خالية من أية زخارف ويظن أنها مطلية باللون الأبيض.

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن واجهة معبد الإلهة ننخورساك تُعد من النماذج الفريدة والرائعة خلال عصر فجر السلالات والتي تعكس قدرة المعمار على توظيف العناصر العمارية والفنية لتحقيق تكامل الشكل الخارجي، إذ جعل المدخل عنصراً رئيساً في توزيع المشاهد الفنية على جانبيه والتي صيغت بأسلوب حيوي جذاب.

٥- المعبد الملحق بقصر شو- سين في تل اسمر

تشغل واجهة المعبد الملحق بقصر شو- سين الضلع الجنوبي الشرقي منه، يبلغ طولها ٢٦م وقد قام المعمار بتصميمها بشكل منفصل وبارز عن القصر لغرض إعطاء المعبد الخصوصية التي تميزه عن البناء الذي الحق به[٣].

صُممت هذه الواجهة بأسلوب بسيط متناظر ووفق قياسات دقيقة إذ شكل المدخل محوراً أساسياً في توزيع عناصرها على جانبيه فقد أحيط المدخل ببرجين يبلغ عرضهما ٣.٥م وازدان كل برج بثلاث دخلات مركبة وإن هذا التنسيق المتميز لموضع المدخل وعمارة برجيه أعطى انطباعاً لدى الناظرين بأهمية المدخل التي توخى المعمار إظهارها بشكل يعكس جانباً من طبيعة نظام الدخول المستقيم الذي بدأ اعتماده في عمارة المعابد خلال عصر سلالة أور الثالثة[٤]، أما بقية أجزاء الواجهة فقد خلت من أية حلية عمارية عدا طلعتين مضلعتين عند ركني الواجهة بلغ عرضها ٤م، كما شكلت المصطبة التي أقيم عليها المعبد جزءً من تصميم الواجهة الخارجية، إذ زُينت بالأسلوب ذاته المتبع في الجدار وكانت تبرز عن الجدار بمقدار ١م تقريباً وعند مقدمة الأبراج امتدت المصطبة بالقياس نفسه، إلا أنها كانت خالية من

---

[١] مورتكات، المصدر السابق، ص١٥٠.

[2] Aruz, Op.Cit, P.87.

[٣] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٧.

[4] OIP.43, P.16.

أية حلية عمارية، كما كان ركني المصطبة مبني بشكل مدور مختلف عن أركان الواجهة(مخطط٢٩)[١].

أتسمت واجهات المعابد في عصر سلالة أور الثالثة بدقة التصميم وبساطته وابتعاده عن المبالغة في استخدام العناصر الفنية والعمارية فغالباً ما أقتصر تزيينها على عنصري الطلعات والدخلات ذات الهيئة المضلعة والمركبة، كما نلاحظ ذلك في واجهة معبد شو- سين في اشنونا وكذلك في واجهة معبد الإله انكي وبناية كيك-بار-كو في أور. كما أُستخدم المدخل بوصفه عنصراً أساسياً في تصميم الواجهة الخارجية لمعابد هذا العصر ومحوراً لتوزيع عناصرها بشكل متناظر على جانبيه، وان موضع المدخل وأسلوب عمارته المميز عن بقية أجزاء الواجهة يعكس رغبة المعمار في جذب انتباه المتعبدين في الخارج إلى طبيعة نظام الدخول المتبع في هذه المعابد القائم على أساس تتابع المداخل بشكل محوري ابتداءً من المدخل الخارجي وانتهاءً بالحجرة المقدسة والذي بدأ اعتماده في معابد هذا العصر.

٦- معبد عشتار كيتيتوم في اشجالي

تقع واجهة معبد الإلهة عشتار كيتيتوم في الضلع الجنوبي الطويل من المعبد وتمتد لمسافة ١٠٠م، تتألف هذه الواجهة من جزئين أساسيين، يشغل الجزء الأول وهو الأكبر مساحة والتي تبلغ (٧١م) الجانب الشرقي منها، وقد ضم هذا الجزء المدخل الرئيس للمعبد والذي يؤدي إلى الركن الجنوبي الشرقي من الفناء الرئيس (A)[٢] لقد صُمم المدخل بأسلوب ملفت للنظر إذ أُطر بدخلتين متعاقبتين تحفان به من جميع الجوانب وأحيط المدخل بأبراج ضخمة يبلغ عرضها ٧م تقريباً أضفى عليه طابعاً من الهيبة وازدانت هذه الأبراج بخمسة صفوف من الأخاديد كانت على هيئة الحرف اللاتيني(T)[٣].

أستخدم المعمار عنصر الطلعات والدخلات المضلعة بصورة أساسية في تزيين هذا الجزء من الواجهة وبشكل أضفى عليها طابعاً مميزاً وأبعدها عن الرتابة التي يفرضها طول الجدار، وكان عدد الطلعات المستخدمة فيها خمس طلعات بلغ عرضها ٤م وقد أقتصر وجودها على الجانب الشرقي من الواجهة(شكل٦)[٤].

---

(1) OIP.43, P.13.

(2) OIP.98, P.37.

(٣) بنيت هذه الأخاديد على شكل الحرف اللاتيني U باستخدام الطابوق والملاط الطيني ثم أكسيت الزوايا الداخلية للأخاديد بوساطة ملاط طيني أكسبها شكلها الخارجي الذي يشبه الحرف اللاتيني T.

Ibid, P.36.

(4) Ibid, P.37.

أما الجزء الثاني من واجهة معبد الإلهة عشتار كيتيتوم فقد شغل الجانب الغربي وبلغ طوله ٢٩م، لقد ميز المعمار هذا الجزء من المعبد عن طريق رفع مستوى المصطبة التي شيد عليها عن باقي أجزاء المعبد الأخرى، وكذلك أتسمت هذه الواجهة بتصميم مستقل عن الواجهة الخارجية وبشكل يوحي بأهمية هذا الجزء من البناء كونه يؤدي إلى الحجرة المقدسة الرئيسة للمعبد. وصُممت هذه الواجهة بأسلوب دقيق ومتناظر، إذ كان المدخل يتوسطها وقد أحيط به برجان مشابهان لبرجي المدخل في الجانب الشرقي من حيث القياس والتصميم(١)، ويتاخم هذه الأبراج من الخارج دعامتان بلغ عرضهما ٥م تبرزان عن مستوى جدار الواجهة(شكل٦).

كما ازدانت واجهة المصطبة التي شيد عليها المعبد بالطلعات والدخلات لكن موضعها وعددها لم يكن يطابق الطلعات والدخلات المقامة في واجهة المعبد على غرار ما هو متبع في العادة، إذ بلغ عددها اثنتي عشرة طلعة وبعرض ٣م توزعت على طول جدار المصطبة، وربما يعود سبب ذلك الاختلاف إلى رغبة المعمار في زيادة مقاومة جدار المصطبة للضغط الجانبي الذي يحدثه وزن كتلة البناء عليه ومن المحتمل أن تكون المصطبة التي أقيم عليها المعبد تعود لفترة بنائية سابقة(٢).

يبدو من تصميم الواجهة الخارجية لمعبد عشتار كيتيتوم أن المعمار قد نجح في خلق شعور لدى الناظرين بوجود جزئين متمايزين في التصميم متحدين في البناء فعلى الرغم من تشابه العناصر العمارية المستخدمة في تصميم كلا الجزئين إلا أن المعمار عبر عنهما بوضوح في أساليب التحلية العمارية المنفذة فيهما، وذلك من خلال تصميم واجهة الجانب الغربي بشكل مستقل ورفعها بمستوى أعلى من الجانب الشرقي.

---

(١) قدر المنقب **هيل** ارتفاع جدران الأبراج في هذا الجزء من الواجهة بما يقارب ٥م تقريباً وذلك بالاعتماد على مقارنة بقايا البناء المكتشفة في المعبد والرسومات الموضوعة لها (ينظر: OIP.98, Figs.5-8) وهذا ما قاده للاعتقاد بأن ارتفاع هذه الجدران كان ثلاثة أضعاف ارتفاع جدار الكيسو الذي أتى وصفه في أحد النصوص المسمارية العائدة للملك أور بابا التي يذكر فيها عملية بناء معبد للإله ننكرسو في مدينة كيرسو ويشير فيها إلى ارتفاع جدار Kisu بـ١٠ أذرع ([3]uš murub-bi mu-ak [4]u gu_x(SAG X ugu_4)-bi-a ki-sá-a 10 kùš-àm bí-dù [5]ugu_x(SAG X ugu_4)-ki-sá-a-ka [6]É-ninnu-bar_6-bar_6 30 kùš-àm [7]mu-nà-dù) (بنيت الأسس في باطن الأرض وأقمت فوقها الـ Kisu بارتفاع ١٠ أذرع وفوقه أقمت بناء معبد الطير اللامع للإله (ننكيرسو) أيننو ليكون بارتفاع ٣٠ ذراعاً). Ibid, P.37f.

(2) Ibid, P.20.

٧- معبد الإلهة نيسابا في تل حرمل

تقع هذه الواجهة في الضلع الشمالي الشرقي من المعبد ويبلغ طولها ١٨م وقد احتوت على مدخل وحيد منحرف نحو اليسار عن منتصف الواجهة، وإن هذا الانحـــراف يمكـــن أن يعزى إلى وجود بعض الوحدات العمارية في الجانب الشمالي من المعبد وحُـــرص المعمـــار على مطابقة محور المدخل الخارجي مع مدخل الجناح المقدس وفقاً لما كان متبعاً في تخطيط المعابد التي أنشئت وفق الطراز البابلي[١].

لقد شكل مدخل المعبد محور هذه الواجهة، إذ أقتصر الاهتمام فـــي تنفيـــذ عمليـــات التحلية العمارية على الأبراج المحيطة به بينما خلت بقية أجزاء الواجهة من أي حلية عمارية أخرى. وقد صُممت هذه الأبراج بأسلوب متناظر قوامه دخلتان مركبتان في كل بـــرج، كمـــا أحيط المدخل ذاته بحلية عمارية قوامهـــا دخلتـــان متعاقبتـــان تحفـــان بـــه مـــن الجوانـــب جميعها(شكل٧)[٢].

دخل في تصميم هذه الواجهة عناصر فنية أضفت عليها شيئاً من الحيوية فضلاً عـــن الغرض الديني الطقوسي المناط بها، إذ وجدت بقايا تمثالين فخاريين لأسدين بالحجم الطبيعـــي كانا ينتصبان على جانبي المدخل(شكل١٢١)[٣].

يبدو أن تخطيط معبد تل حرمل قد لعب دوراً في شكل التصميم الذي اعتمده المعمار للواجهة والقائم على أساس توفير مدخل فخم ينسجم وطبيعة نظام الدخول المنفذ في تخطـــيط المعبد، وفضلاً عن ذلك أن صغر حجم واجهة المعبد والبالغة ١٨م فقط وانحراف المدخل عن منتصفها أدى إلى قصور وحدة المساحة في تلبية متطلبات التناسق المتناظر للعناصر العمارية المستخدمة في تصميم الواجهة مما دفع بالمعمار إلى التخلي عن تزيين بقية أجـــزاء الواجهـــة والاكتفاء بتصميم المدخل وذلك كي لا تفقد الواجهة التناسق بين عناصرها وهو النظام الـــذي كان معتمداً في تصميم الواجهات خلال العصر البابلي القديم.

٨- معبد تل الرماح

يُعد الضلع الشرقي لمعبد تل الرماح الواجهة الرئيسة للمبنى وذلك لأسلوب عمارتـــه المتميز عن الضلعين الشمالي والجنوبي، وكذلك لكونه يضم المدخل الرئيس للمعبـــد والـــذي يتعامد محورياً مع الحجرة المقدسة[٤]. يبلغ طول هذه الواجهة ٤٥م، وقد نفذت بأسلوب جذاب

---

[1] Baqir , Op.Cit, P.23.

[2] Ibid, P.25.

[٣] حنون، المصدر السابق، ٢٠٠٦، ص١٩.

[٤] المصدر نفسه، ص٢٨.

أتقن فيه المعمار توزيع عناصر الواجهة بعناية فائقة تنم عن تصميم مسبق[١]، إذ كان المدخل يتوسط واجهة البناء وقد خلت جوانبه من أي حلية عمارية عدا دخلتان مركبتان تحدان الإطار الخارجي للمدخل والذي ينتهي من الأعلى بعقد بيضوي الشكل[٢].

يحيط بهذا المدخل برجان كبيران يبلغ عرض الواحد منها ٧م وإن وجودهما يحدد نقطة المركز في الواجهة ويلفت النظر نحو محور البناء المتجه مباشرة إلى الجناح المقدس وقد تميز البرجان بأسلوب تزييني فريد ومتناظر، إذ احتوت أطراف كل برج على دخلتين صغيرتين تضم كل واحدة منها نصف عمود بشكل جذع النخلة وقد زخرفت واجهة هذه الجذوع بهيئة نخلة مكربة، لكن الجزء الأكثر أهمية وجمالاً في تصميم هذه الأبراج هو العمود الكبير الذي أنشئ وسط دخلة مركبة بلغ عرضها ٣.٧٥م ويتألف هذا العمود من أربعة أنصاف أعمدة متداخلة مع بعضها البعض إذ صُمم العمودين الجانبيين بشكل جذع نخلة وقد زخرفت واجهاتها بهيئة معينية، ويتقدمهما زوج من الأعمدة اللولبية المتضادة(شكل ١٣٠)[٣].

أما طريقة تنفيذ هذه التحلية العمارية فقد أستخدم المعمار اللبن في بناء الأعمدة جميعها سواء أكانت على هيئة جذع نخلة أم الأعمدة اللولبية، وكانت الواجهات الخارجية للبن تحمل نقوشاً بارزة وبتكرار رصف قطع اللبن وبشكل متسلسل أُنتج الموضوع المطلوب. وكان الشكل الأساسي للطابوق المستخدم الذي بنيت به الأعمدة الاسطوانية المزخرفة جميعها ذات مقطع يبدأ بزاوية حادة قياسها ٦٠° وينتهي من الخارج بشكل دائري وقد بلغ نصف قطرها ٢٩سم ويقترح **اوتس** أن أسلوب صناعة هذا النوع من الطابوق كان يتم عبر قوالب خاصة أعدت لهذا الشكل تحديدا أو عن طريق قطعها من طابوق تم وضعه في قالب مربع قياسي، أما الزخرفة الخارجية فقد نفذت في السطح المنحني، ففي العمود الذي كان على هيئة جذع النخلة من نموذج النخلة المكربة تشكل ساف بعد أخر، إذ تحمل كل طابوقة ثلاثة أقواس تشبه قوس الميزان، أما النموذج المعيني فيتطلب أربعة صفوف من الطابوق لإظهار النقش(شكل ١٣١ أ)، وفي الأعمدة اللولبية فإن كل طابوقة كانت تحمل أجزاء من جذلتين متقاربتين يفصلها تجويف منحدر الزاوية والتي من خلالها يتم تحديد التفاف اللولب(شكل ١٣١ب)[٤].

أما بقية أجزاء الواجهة فقد قُسمت إلى حقول متساوية في القياس وبواقع قسمان في كل جانب من جوانب المدخل واستخدمت أساليب التزيين ذاتها المتبعة في برجي المدخل، إذ أحتوى كل حقل على دخلة مركبة ضمت ثلاثة أنصاف أعمدة وكانت الحقول الأبعد عن برجي

---

[١] اوتس، جون، بابل تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٩٠، ص١٢٦.

[2] Oates, Op.Cit,(1967), P.72.

[3] Ibid, P.84

[٤] للمزيد يراجع: Ibid, P.88f .

المدخل تتألف من زوج من الأعمدة اللولبية المتضادة تحيط بعمود مزين بهيئة جذع نخلة من النموذج المعيني، بينما كانت الحقول الداخلية القريبة من المدخل تتألف من عمودين بهيئة جذع نخلة مـــن النمـــوذج المعينـــي أيضـــاً يتوســـطهما جـــذع أصـــغر مـــن نمـــوذج النخلـــة المكربة(شكل١٣٠)[١].

حظي تصميم هذا المعبد بعناية فائقة وذلك حرصاً على التأثير في نفسية المتعبدين من جانب، وتأكيداً على قدرة المعمار الكبيرة في صياغة العناصر الفنية الزخرفية باستخدام المواد الإنشائية ذاتها ودمجها بتناغم أخاذ في كتلة البناء، وقد أسهم هذا الأسلوب في التصميم بمـــنح البناء طابعاً يوحي بالسمو والارتفاع والذي تكامل مع أساليب عمارة وتزيين الزقورة الملحقـــة بالمعبد.

لم يقتصر هذا الأسلوب على الواجهة الرئيسة للمبنى، بل أستعمل كذلك في الواجهات الخارجية الشمالية والجنوبية للمعبد وكذلك عند الجدران المطلة على الفناء الداخلي وأيضاً في واجهة الزقورة، إذ بلغ عدد أنصاف الأعمدة الداخلة في تزيين هذه الواجهات أكثر مـــن٢٧٠ عمـــود كـــان خمســـون منهـــا أعمـــدة حلزونيـــة ونـــوعين بشـــكل أشـــجار النخيـــل[٢]. وإن هذه الأساليب الفريدة المتبعة في تزيين واجهة هذا المعبد من النماذج المبكـــرة لعمليـــات التزيين التي ظهرت في العصور اللاحقة واتبعت الأساليب ذاتها.

حقق المعمار خلال العصر البابلي والأشوري القديم تكاملاً بديعاً للعناصر العماريـــة والفنية المستخدمة في تزيين واجهات المباني الدينية في هذا العصر والتي تعد امتدادا للخبرات المتراكمة من العصور السابقة، وكان نتيجتها ظهور واجهات مباني أتســـمت بدقـــة قياســـاتها وتناظر عناصرها وبأسلوب بنائها المتقن، كما أستخدم المعمار العديد مـــن العناصـــر الفنيـــة والزخرفية وأبدع في تنسيقها ضمن كتلة البناء.

وبقت المداخل تشكل ركيزة أساسية في عملية تصميم واجهات المعابـــد خـــلال هـــذا العصر والعصور اللاحقة وخصوصاً في المعابد التي اتبعت الطراز البابلي في تخطيطهـــا، إذ استخدمت بوصفها عنصراً أساسياً في تناظر أجزاء الواجهة على الرغم من أن بعـــض هـــذه المداخل لم تكن تتوسط واجهة المعبد كما في معبد الإلهة نيسابا بتل حرمـــل ومعبـــد الإلهـــة عشتار كيتيوم في اشجالي.

ويلاحظ خلال هذا العصر أن المعمار أهتم بتصميم الواجهات الخارجية للمعبد جميعها ولم يقتصر على الواجهة الرئيسة كما يظهر ذلك في الواجهات الخارجية لمعبد تـــل الرمـــاح ومعبد أي–ببار في لارسا، ويعود ذلك إلى سعة هذه المباني وحرية المعمار في تحديد مساحة البناء وموضعه بعيدا عن الأبنية المجاورة أو الملاصقة له.

---

(1) Oates, Op.Cit(1967), P.84.

(٢) اوتس، المصدر السابق، ص١٢٥.

ABSTRACT

Temple buildings are considered as one of the most important architectural forms that prevailed in the architecture of ancient Iraq, where the society was extremely influenced by the religious values and beliefs at that time. It paid much attention to its temples for they were the houses of gods on earth, therefore the buildings of temples occupied the highest percentage of the examples of the public buildings discovered during the archaeological excavations. Many of them spread out because of the religions deterrent in all of the ancient cities of Iraq that their number reached hundreds. The ancient writings reflected the care and interest of the rulers in their architecture in order to get the content of gods. So. The religious architecture was characterized by schematic and architectural properties that distinguished them from the remainder of the other building classes; these properties, within all of their features, did not come from nothing, but they are in fact the translation of spiritual philosophy that found its materialistic realm within the religious building, and they are considered as the actual applications of what the art and text were unable to embody intellectually within in a materialistic frame, So. the uniqueness of the temple appeared with those distinguished properties.

The archaeological excavations carried out in the buildings of temples depending on their schemes and following up the architectural orders followed in their construction and strengthening helped to limit a number of their distinctive properties, whose existence acquired the property of stability and it became one of the distinctive features of the ancient Iraqi temple architecture. The existence of these properties helped the excavators and researchers considerably in inferring the nature of building and distinguishing the building of temple from among the surrounding buildings on the one hand, and tracing the stages of its developments on the other. Among the most prominent of these features are the sacred pavilion, i.e., the position wherein the god is resident, the

sacred platforms, the system of entering the temple, and orientating its corners to the direction of the cardinal points, constructing the temple on an artificial platform and containing an inner courtyard, as well as a sum of architectural and artful ornamentations of the distinguished style, of most prominent are the buttress and recesses.

These features contributed to put the foundations and bases of the development of the temple architecture in ancient Iraq. So, the research depended on studying the basic elements constituting the planning and architecting temples, then comparing them with each other, and then trying to set a limit to their origins and developments. The comparative study of the timely contemporary architectural properties and following up their development lead to constitute a comprehensive and exact consciousness about the nature of establishment of these properties and their effect on the building of temples, and the return effect the sacrament of the temple in the appearance of some of these properties and their development.

The importance of this study lies in that it covered an important period of time extended from the beginning of Early Dynasties Period in the beginnings of third millennium (2900 B.C.) until end of the Old Babylonian Period at the middle of the second millennium (1595 B.C.). In terms of civilization, this period is characterized by a considerable prosperity covered all aspects of life, and the result of these developments was that the Iraqi civilization passed in four of the most important of its periods namely, the Early Dynasty Period, the Akkadian Period, Ur III Dynasty and Period then the two Old Babylonian and Assyrian Periods.

All those factors left their clear effect on architecting temples and their arrangement, developmental and architectural properties through which the religious architecture was developed considerably, and became various in order and styles followed in their planning and architecting, and that was followed by little relative stability at the end of the Old Babylonian Period. It can be made sure of the importance of this period of time, as our subject, through knowledge that the number of temples

which the research deals reaches sixty buildings discovered through the archaeological excavations which were carried out in many of the ancient Iraqi cities. This number is enough to provide us with a clear picture about the nature of these buildings and it enables us to study their properties and development.

The study included five chapters preceded by a preface in which the researcher presented establishment the religious thought in ancient Iraq. The first chapter deals with classes of the temples and the development of their schemes. The second chapter is about the sacred pavilion. The third chapter explains the order of entering. The fourth chapter is about the schematic and architectural elements. The fifth one presents the architectural ornamentations. The conclusion of the research included an interview of the most important outcomes of the research, besides the thesis consisted of many schemes, forms, as well as tables that constitute a clarifying importance for the reader.

Ministry of Higher Education
University of Mosul
College of Art



Temple architectural Characteristics
From Early Dynastic To The End of Old Babylonian Period

A Thesis Submitted by

Ali Salim Abdullah Al-Khatabi

In

Ancient Archaeology

Supervised by

Prof. Dr. Jaber khaleel Ibrahim

2011A.D. **1432A.H**